مراحل النمو الانسانى
من منظور نفسى اجتماعى

د. مهدى محمد القصاص
كلية الآداب – جامعة المنصورة

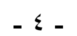
مقدمة

في البدايه وحتى نستطيع فهم تطور الطفل بشكل صحيح لا بد من تتبع المراحل التي يمر بها، والتي ترجع بنا إلى مرحله ما قبل الولادة، لارتباط هذه المرحلة ارتباطاً وثيقاً بمرحلة ما بعد الولادة.

كما يعد العمر الزمني مقياساً رئيسياً للنمو وفي تحديد المراحل، فالعمر الزمني من اكثر المقاييس نفعاً من الناحية النفسية التطبيقية، فجميع المؤسسات التربوية والتعليمية تعتمد اعتماداً أساسياً على العمر الزمني.

يمكن القول أن لسيكولوجية النمو هدفين أساسين : أولهما الوصف الكامل والدقيق قدر الإمكان للعمليات النفسية عند الناس في مختلف أعمارهم واكتشاف خصائص التغير الذي يطرأ على هذه العمليات في كل عمر ، وثانيهما : تفسير التغيرات العمرية (الزمنية) في السلوك أي اكتشاف العوامل والقوى والتغيرات التي تحدد هذه التغيرات ، ثم أضيفت أهداف أخرى تتصل بالرعاية والمعاونة والتحكم والتنبؤ ، أو باختصار التدخل في التغيرات السلوكية.

وتعد الجغرافيا عامل مؤثر فى حياة الإنسان منذ بداية ظهوره حتى الوقت الحالي ، فقد أدت الجغرافيا دوراً مهماً في تحديد الموطن الأصلي للإنسان وطرق انتشاره فى أرجاء العالم ، ويمكن تبين هذا التأثير من خلال عرض الجغرافيا والموطن الأصلي للإنسان وانتشاره ، ودور البيئة الجغرافية فى التنوع السلالي .



الفصل الأول

مراحل النمو البشري

مفهوم النمو:

يتعرض الكائن الحي للكثير من التغيرات والتطورات التي تلحقه، فالطفل يكون جنيناً، فوليداً، فرضيعاً، فطفلاً، فمراهقاً، فشاباً، فرجلاً، فشيخاً، فهرماً.

وتحدث الكثير من التغيرات في المراحل الاولى من الحياة تتجه نحو تحقيق غرض ضمني غير واضح في ذهن الكائن الحي، وهو النضج والبناء، على حين تعتبر تلك التغيرات التي تحدث في أدوار متعاقبة من حياته – وخاصه في طوري الشيخوخة والهرم – من النوع الهدام الذي ينهي الحياة.

ونقصد بالتطور والنمو تلك التغيرات الانشائية، البنائية التي تسير بالكائن الحي إلى الأمام حتى ينضج، وكلمه التطور – النمو– في معناها الخاص الضيق، تتضمن التغيرات الجسدية والبدنية، من حيث الطول والوزن والحجم، نتيجه التفاعلات الكيماوية التي تحدث في الجسم، لكن معناها العام يشمل بالإضافة إلى ما سبق، التغير في السلوك والمهارات نتيجة نشاط الإنسان، والخبرات التي يكتسبها عند استعمال عضلاته وأعصابه وحواسه وباقي أعضاء جسمه، ويتضمن هذا المعنى كذلك، التغيرات التي تطرأ على النواحي العقلية والانفعالية والاجتماعية والحسية والحركية.

في البدايه وحتى نستطيع فهم تطور الطفل بشكل صحيح لا بد من تتبع المراحل التي يمر بها، والتي ترجع بنا إلى مرحله ما قبل الولادة، لارتباط هذه المرحلة ارتباطاً وثيقاً بمرحلة ما بعد الولادة.

يعد العمر الزمني مقياساً رئيسياً للنمو وفي تحديد المراحل، فالعمر الزمني من اكثر المقاييس نفعاً من الناحية النفسية التطبيقية، فجميع المؤسسات التربوية والتعليمية تعتمد اعتماداً أساسياً على العمر الزمني.

وقد أوضحت الدراسات أن تحديد السن غرضاً أساسياً يُستند عليه عند معالجة المشكلات النمائية والتربوية والاجتماعية المتعلقة بالنشاط العقلي أو

السلوك الحركي أو التعبير الانفعالي.

العوامل المؤثره على النمو البشري :

في المرحلة الأولى:

منذ لحظه الإخصاب وحتى ٢٨٠ يوماً.

المرحله الثانية:

منذ الميلاد وحتى نهاية العام الثاني.

• لا تقل المرحلة الأولى أهمية عن أي مرحلة قد تأتي لاحقاً، بل قد تكون هذه من أهم المراحل، والتي قد يتعدى تاثيرها إلى مراحل متأخرة جداً من حياة الطفل. ففي الرحم يتشكل الطفل ويكتسب الخصائص الوراثية من الآباء والأجداد.

وقد يرث الطفل من الآباء والأجداد مايلي:-

الشكل العام للجسم:

كالطول، القصر، لون البشره، لون العينين وغيره من المبنى العام للجسم.

الأمراض:

تكون الوراثة مسؤولة عن تكرار ظهور بعض الأمراض في عائلات معينة بنسبة معينة أكثر من غيرها وخاصة في العائلات التي يكثر فيها زواج الأقارب.

وقد تتعرض الأم لأمراض معينة كالحمى التي تؤدي إلى الضعف العقلي عند الطفل، وسوء التغذية يؤدي إلى ميلاد الطفل ضعيفاً هزيلاً، ومرض السكر يؤدي إلى إصابة الجنين ببعض الاضطرابات الهرمونية، وقد اختلف العديد من الباحثين حول مسالة أيهما أكثر تاثيراً على النمو: الوراثة أم البيئة؟.

وحول الإجابة على هذه المسألة، توصلت بعض الدراسات إلى أن النمو الإنساني يعتمد على العوامل الوراثية أكثر من العوامل البيئية، بينما أوضحت دراسات أخرى إلى أن النمو الإنساني يعتمد على العوامل البيئية أكثر من

العوامل الوراثية. أما الدراسات التجريبية الحديثة تؤكد على أهمية التفاعل بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية إذ لا يمكن بحالٍ من الأحوال فصل أحدهما عن الآخر.

تختلف سرعة النمو الجسمي باختلاف عمر الطفل، والتطورات تحدث في حياتنا بشكل مستمر، فعند الأطفال تبدأ هذه الدورة سريعاً ثم تزداد سرعة إلى حد كبير، ثم تعود إلى سرعتها عند المراهقة، ثم تتعادل قوتها عند النضج وبعد ذلك تتراجع عند الشيخوخه.

فمثلا : النمو الطولي يزداد في سرعته في النصف الأول من السنة ويصبح بطيئاً في النصف الثاني بينما النمو الوزني يزداد في سرعته في النصف الثاني من السنة الأولى.

مظاهر النمو الجسمي:

١- وزن الطفل:

يزن الطفل عادة عند ولادته ٣٢٥٠ جرام ، لكن الطفل يفقد في أيامه الأولى كثيراً من وزنه، لأنه يطرح من جسمه بخار الماء والبول والبراز، ولا يتناول الا كميات قليلة من الغذاء في هذه الأيام الأولى، ولكن سرعان ما يستعيد وزنه في العشر أيام الأولى، ثم يبدأ وزنه بالزيادة بمعدل ٢٠٠ جرام أسبوعياً خلال الستة أشهر الأولى. ويزيد وزنه خلال الستة أشهر الثانية بمعدل ١٠٠ جرام أسبوعياً، وفي نهاية السنة الثانية من عمر الطفل، يزيد وزنه بمعدل ٢.٥ كجم تقريباً عن وزنه في نهاية السنة.

٢- طول الطفل:

يولد الطفل وطوله يتراوح بين ٤٧-٥٠ سم، يصل في نهاية العام الأول إلى ما يقرب ٧٤سم في نهاية العام الثاني يصل طول الطفل إلى ٨٤ سم.

وتختلف معايير الطول باختلاف عوامل الوراثة والبيئة، وباختلاف الفروق الجنسية بين الذكور والإناث حيث يزداد متوسط طول البنين عن البنات

حتى المراهقة، ثم يسبق طول البنات طول البنين خلال المراهقة، ثم تعتدل النسبه كما كانت من قبل وتصبح الأسبقية للبنين.

٣- الحرارة:

تكون حراره الطفل بين ٣٧.٥ و٣٨ درجة مئوية، ثم تهبط وتصبح ٣٧ ولا تختلف إلا قليلاً في الصباح والمساء، ولكن أقل طارىء يجعلها تتبدل تبدلاً محسوساً فقد تصعد حتى ٣٩ أو تهبط لتصل الى ٣٥.

٤- النبض:

يختلف نبض الطفل في الأيام الأولى من حياته بين ١٣٠-١٥٠ في الدقيقة الواحدة، وهذا العدد يهبط شيئاً فشيئاً بالنسبة للسن حتى يصبح ٧٠-٨٠.

٥- التنفس:

من المعلوم ان الكهل يتنفس من ١٦-١٨ مرة في الدقيقة، أما الطفل فإن تنفسه أسرع بكثير من الكهل حتى أنه قد يصل إلى ثلاثة أضعافه، فيجري في الدقيقة ٥٠حركه تنفسيه، لكن هذا النهج التنفسي يبدأ بالهبوط تدريجياً حتى يصل إلى مرحلته الطبيعية كلما تقدم الطفل في العمر.

٦- الهيكل العظمى:

عظام الطفل غضروفية لينه ومرنه، وبمرور الزمن تتحول إلى عظام أكثر صلابة بسبب ترسيب المواد المعدنية (الكالسيوم،الفوسفور)، هذا وقبل أن تنتهي السنة الأولى تكون قد نمت ٣ عظام من أصل ٢٨ عظمة باليد والرسغ، كذلك جمجمه الطفل يكون بها ٦ مواضع طريه (اليافوخ) تتصلب تدريجياً. ويمكن جس عظام الجمجمة بسهولة ، أهمها اليافوخ الكبير الموجود فوق الجبهة، وعلى كل والده أن تعرف كيف تجس هذه اليوافيخ بين الحين والآخر،لكي تراقب حسن نمو طفلها وحالته الصحية حيث أن التوتر الشديد فيها ينبئ عن مرضه كذلك انخفاضها بشده، ويتفاوت الأطفال من حيث معدلات التصلب والنمو العظمي بالنسبه للجنس حيث يتفوق البنات على البنين في معدل النمو العظمي منذ

الولادة وبتقدم العمر، كذلك تؤثر العوامل الوراثيه تاثيراً واضحاً في معدل النمو العظمي وكذلك المرض وسوء التغذية وأنواع الحساسية.

٧- الأجهزة العصبية-العضلية:

في السنه الأولى يكون الجهاز العصبي لم ينضج بعد حيث توجد الألياف العصبيه غير الناضجة في حزم.

أما بالنسبه للعضلات : فتكون عضلات الطفل صغيره تتاثر لأقل مجهود ، ولا يستطيع الطفل أن يسيطر تماماً على عضلاته، هذا وتنمو المجموعات العضليه بمعدلات متفاوته فالعضلات القريبه من الرأس والرقبه تنمو مبكراً من العضلات الموجوده بالأطراف السفلى.

في السنه الثانية: بالنسبه للجهاز العصبي يزداد تعقيداً وتمايزاً وتفصيلاً حيث تنعزل الألياف العصبية بعضها عن بعض وينمو لكل منها غمد دهني واقي .

أما بالنسبة لعضلات الطفل فإنها تزداد قوة ويصبح الطفل قادراً على القيام بحركات جديدة أكثر دقة وذلك بفضل نمو الجهاز العصبي.

٨- الأسنان:

تبدأ الأسنان بالظهور في الشهر السابع أو الثامن، وفي نهاية السنة يبلغ عدد الأسنان حوالى ٦ ، أربعه منها في الفك العلوي واثنتين في الفك السفلي. وفي السنة الثانية تظهر معظم الأسنان اللبنيه تكون قد ظهرت حيث يبلغ عددها في نهاية السنة الثانية ما يقارب ١٦ سناً.

جدول لمواعيد الأسنان المؤقتة:

العمر بالأشهر	**ظهور الأسنان المؤقتة أو اللبنية**
(٦-٩ شهور)	يبدأ ظهور الاسنان قاطعان أوسطان أسفلان.
(٩-١٢شهر)	٤ قواطع علوية.
(١٢-١٨شهر)	قاطعان جانبيان أسفلان.
(١٥-١٨ شهر)	٤ أضراس أمامية.

(١٨-٢٤شهر)   ٤ أنياب.

(٢٤-٣٠شهر)   ٤ أضراس خلفية.

النمو الحركي :

السنه الأولى:

نمو الطفل – الشهر الأول

حركة الرأس و الجسم

-إذا لم تسند الرأس فإنها تتأرجح إما إلى الامام او إلى الخلف.

-عند وضع الطفل على بطنه يحاول ان يدير رأسه ليبعد انفه عن السرير وقد يحاول ان يرفع رأسه لوهلة.

حركة اليدين

عادة يحافظ على الكفين منقبضتين

الأصوات المسموعة

إلى جانب البكاء يمكن ان يأتي الطفل ببعض الأصوات من الحلق

- يسمع وينفعل للأصوات العالية بأن (ينتفض)

التطور العقلي والإدراك الذهني:

- خلال معظم فترات اليقظة تكون عيناه تائهين يغلق جفن العين امام الضوء.
- قد ياتي بحركات متوافقة للعين جانبيه متابعة ضوءا او شيئا مرتبا.
- يمكن ان يتابع لعبة متحركة من جانب جسمه إلى منتصف جسمه ولكى يتم هذا التتابع يجب ان تمر في مدار رؤيته فهو لن يبحث عنها إذا ابتعدت عن هذا المدار.
- يهدأ عند حمله يبكي حين يحتاج إلى مساعدة.
- يثبت نظره على وجه الأم كاستجابة لابتسامتها.
- ديخال أن يبتسم للوجه او الصوت قد يبدأ في التعرف على صوت الأبوين.

تقسيم مراحل النمو :

تنقسم مراحل النمو البشري إلى:

١- مرحلة التكوين.

٢- مرحلة الطفولة.

٣- مرحلة المراهقة.

٤- مرحلة البلوغ.

٥- مرحلة الشيخوخة.

* **مرحلة التكوين** : تتم في هذه المرحلة تكوين الصفات الجسمية للإنسان مثل (الأعضاء ، العقل ... الخ) .

* مرحلة الطفولة : يكتسب الإنسان من المؤثرات الخارجية بعض الخصائص المساعدة في عملية نموه.

* **مرحلة المراهقة** : تسمى أيضا المرحلة الحرجة لأن الإنسان فيها يتعرض للعديد من الخصائص النمائية والعقلية الكثيرة التي تحدد مستوى النمو لديه.

* **مرحلة البلوغ** : في هذه المرحلة تكتمل لدى الإنسان الخصائص العقلية بحيث يصبح قادراً على تحديد النهج الذي سيسلكه في حياته.

* **مرحلة الشيخوخة** : الإنسان في هذه المرحلة تبدأ الأعضاء بعدم القدرة الكافية للقيام بالوظائف الفيسولوجية ، وتقل الثقة بالنفس والاعتماد الكلي على نفسة (أي يصبح شخص اتكالي) وتزيد احتمالية اصابته بالأمراض بالإضافة إلى المشاكل النفسية . ... الخ. [١]

مراحل النمو بشري

وتشمل على أربعة مراحل صنفها علماء نفس النمو لتسهيل الدراسة وهي :-

أولا : مرحلة الطفولة :

وتشمل حركة النمو في مختلف أبعاده في التكوين والنمو والتطور خلال اثني عشر سنة وتتميز بأربع مراحل جزئية هي :-

أ- مرحلة ماقبل الميلاد (المرحلة الجنينية): وتبدأ من لحظة التكوين وتنتهي بالولادة .

ب- مرحلة المهد (الرضاعة): وتبدأ من الميلاد وتنتهي بنهاية السنة الثانية.

ج- مرحلة الطفولة المبكرة: تبدأ من العام الثالث وتنتهي بنهاية السنة الخامسة.

د- مرحلة الطفولة المتأخرة: وتبدأ من السنة الثالثة حتى المراهق.

ثانياً : مرحلة المراهقة :

وتشمل حركة النمو وتطور الفرد ما بين الطفولة والرشد والمشكلات التي يواجهها وتفاعله مع البيئة وتشمل ثلاث مراحل هي :-

أ- مرحلة المراهقة المبكرة : تبدأ من السنة الثانية عشر حتى نهاية الرابعة عشر عند البنت وعند الولد من بداية الثالثة عشر حتى نهاية السادسة عشر.

ب- مرحلة المراهقة الوسطى : وتكون من بداية الخامسة عشر حتى نهاية السابعة عشر عند البنت ومن بداية السابعة عشر حتى نهاية الثامنة عشر عند الولد.

ج- مرحلة المراهقة المتأخرة : وتكون من بداية الثامنة عشر وتستمر حتى نهاية العشرين عند البنت ومن بداية التاسعة عشر حتى نهاية العشرين عند الولد.

ثالثاً : مرحلة الرشد :

ويظهر على حركة النمو التكويني والوظيفي النضج وقلة السرعة وتكون على ثلاث مراحل هي :-

أ- مرحلة الرشد المبكرة : وتقع بين (٢١ – نهاية ٣٩ سنة من العمر)

ب-مرحلة الرشد الوسطى : وتقع بين (٤٠ – نهاية ٥٩ سنة من العمر)

ج – مرحلة الرشد المتأخرة : وتبدأ من (٦٠ – نهاية ٦٥ سنة من العمر)

رابعاً : مرحلة الشيخوخة :

وتكون بدايتها غالباً في نهاية الخامسة والستين ، ويستمر تناقص القدرات الجسمية ووظائف الحواس ويحصل فيها الوهن والهِرم ثم الانحدار وأخيراً الموت.

علم نفس النمو Developmental Psychology

يعرف علم النفس بأنه : العلم الذي يهتم بدراسة السلوك .

والسلوك هو (أي نشاط جسمي أو عقلي أو انفعالي أو اجتماعي).

ويعرف علم نفس النمو بأنه : فرع من فروع علم النفس الذي يهتم بدراسة مظاهر النمو االبشري من مرحلة ماقبل الميلاد حتى الشيخوخة .

ويعرف أيضا : العلم الذي يهتم بدراسة مراحل النمو المختلفة للإنسان بمظاهرها الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية .

وان موضوع هذا العلم هو: دراسة سلوك الأطفال والمراهقين والراشدين والشيوخ.

أهمية علم نفس النمو : Importance of Developmental Psychology

وتتلخص أهميته بما يأتي :

١- يزيد من معرفتنا للطبيعة الإنسانية وعلاقة الإنسان مع بيئته .

٢- يحدد معايير النمو في كافة مظاهره وخلال مراحله المختلفة .

٣- يزيد من قدرتنا في توجيه الأطفال والمراهقين والراشدين والشيوخ .

٤- يساعد أخصائيِّ علم النفس الإرشادي والتربوي في مساعدة الأطفال والمراهقين .

٥- يساعد المربين في التعرف على خصائص نمو الأطفال والمراهقين ووضع المناهج المناسبة لنموهم واقتراح الطرائق التعليمية المناسبة لهم .

٦- أن فهم النمو العقلي والعمليات العقلية يؤدي إلى أفضل طرائق التربية والتعليم .

٧- يساعد الوالدين في تعرف خصائص أطفالهم ومراهقيهم مما يعينهم في إتباع أفضل أساليب التنشئة والتربية .

٨- يساعد الفرد في فهم مستوى نموه وطبيعة المرحلة التي يعيشها وفي أن يحيا بأفضل وأكمل صورة ممكنة .

نظرة تاريخية لتطور علم نفس النمو :

ظهرت أولى المحاولات لهذا العلم عند الفيلسوف اليوناني (أفلاطون) الذي تكلم عن مبادئ نمو الأطفال في تقييمه لجمهوريته واهتم (أرسطو) بدراسة النمو الجنيني للحيوانات ووصف مراحل نمو المراهق .

وورد عند العرب أوصاف لنمو الإنسان تبدأ بـ (الجنين ، الوليد ، الفطيم ، الدارج ، الخماس ،المثغور ، المتفرد ، الناشئ ، اليافع) ووردت إشارات عديدة في القران الكريم إلى مراحل نمو الإنسان منها الاية (٥) من سورة الحج .

وأكد الإمام علي (ع) على مبادئ عديدة في التعامل مع الأطفال والمراهقين في (نهج البلاغة) ، وجاءت تعاليم أئمة أهل البيت (ع) في التأكيد على مراعاة الجوانب الأخلاقية والتربوية في عمليات نمو الأطفال والمراهقين .

وذكر (جون لوك) في القرن السابع عشر العديد من عادات الطفل واشتهر بمقولته :" الطفل يولد صفحة بيضاء، يفعل المربي فيها ما يشاء " وكتب (روسو) عن إعطاء الحرية المطلقة في تربية الطفل ، وقدم (فروبل) أراء عن استمرار النمو ، وطرح العالم (محمد مهدي النراقي) ، في القرن التاسع عشر نظرية في النمو الأخلاقي للأطفال والمراهقين ، وقد ســــاهم عالم البايولوجيا (دارون) في ١٨٧٧م ، في نشر تحليل دقيق لتاريخ طفله الأول ، وســاهم (ستانلي هول) في نشر دراسات عن الأطفال والمراهقين، ويعد مؤسس علم نفس النمو الحديث .

وفي عام ١٩٠٤ طور(بينيه) مقياسا لذكاء الأطفال ، وساهم (برير) في شرح نمو الشعور والذكاء في كتابه (عقل الطفل) وفي ١٩١٤ ألف (ستيرن) كتاباً في سيكولوجية الطفولة المبكرة ، وذهب (فرويد) رائد مدرسة التحليل النفسي إلى أن خبرات الطفل في السنوات الخمس الأولى هي التي تحدد سلوكه المستقبلي .

وقدم (بياجيه) نظرية في النمو العقلي ونشر (ترمان) في ١٩٣٠ دراسات رائدة عن الأطفال والمراهقين الموهوبين ، ثم برز بعده علماء كثيرون منهم جيزل ، جودانف ، ليفين... وغيرهم .

معنى النمو : Growth

النمو بمعناه البيولوجي يعني :الزيادة في حجم الكائن الحي وكتلته .

أما بمعناه النفسي يعني : التغيرات الجسمية والفسيولوجية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي يمر بها الفرد في مراحله المختلفة .

ومن أهم عناصر النمو التغيرات التخصصية للأعضاء ووظائفها ويتجه النمو نحو النضج .

والنضج : هو عملية التغير في عضو معين وصولا إلى مرحلة الاستعداد الوظيفي .

مظاهر النمو البشري:

وللنمو البشري مظهران رئيسان هما :

١- دراسة النمو العضوي (التكويني) : ويشمل دراسة النمو الجسمي من حيث صفات الجسم كالطول و الوزن وغيرها .

٢- النمو الوظيفي : ويشمل نمو الوظيفة النفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية .

القوانين والمبادئ العامة للنمو البشري:

توصلت الدراسات إلى العديد من القوانين والمبادئ العامة للنمو ، وأهمها ما يأتي :-

١- النمو عمليه مستمرة متدرجة تتضمن نواحي التغير الكمي والنوعي :

ويعني أن النمو عمليه دائمة متصلة منذ بدء الحمل حتى تمام النضج وأن كل مرحله من مراحل النمو تتوقف على ما قبلها ولا توجد ثغرات أو وقفات في النمو ولكن يوجد نمو كامن ونمو ظاهر ونمو سريع وآخر بطيء.

٢- النمو يسير في مراحل : ويعني أن النمو يسير في مراحل تتداخل مع بعضها البعض حتى ليصعب التميز بين نهاية المرحلة وبداية المرحلة التي

تليها الا أن الفروق تتضح في منتصف المرحلة عن المرحلة السابقة واللاحقة لها .

٣- كل مرحله لها سمات خاصة ومظاهر مميزة :

تتميز كل مرحله من نمو الإنسان بأنها لها سماتها الخاصة بها فمثلا لعب الأطفال في الطفولة المبكرة يتميز بخاصية وتنظيم يختلف عن اللعب في الطفولة المتأخرة وذلك تبعا للمرحلة النمائية التي يمر بها الطفل .

٤- سرعة النمو ليست ثابتة :

يسير النمو بسرعة تعتبر ليست على وتيرة واحدة ويكون النمو في مرحلة ماقبل الميلاد أسرع ما يكون ثم يبطئ نسبيا ولكن يبقى سريعا في مرحلة المهد الا أنه في الطفولة المتأخرة يبطئ ثم يسرع في بداية المراهقة ويبطئ بعدها .

٥- مظاهر النمو تسير بسرع مختلفة :

لكل مظهر من مظاهر النمو سرعته الخاصة به ولا تنمو أجزاء الجسم بسرعة واحدة ولا تنمو جميع الوظائف العقلية والانفعالية والحسية بسرعة واحدة.

٦- النمو يتأثر بالظروف الداخلية والخارجية:

من الظروف الداخلية المؤثرة في النمو الوراثة وإفرازات الغدد ومن الظروف الخارجية المؤثرة التغذية ، التعلم ، الراحة.

٧- ترتبط مظاهر النمو يبعضها ارتباطاً وثيقاً :

النمو مظهر عام معقد وكل مظهر من مظاهره يرتبط مع المظاهر الأخرى فمثلاً النمو العقلي يرتبط مع مظاهر النمو الجسمي والانفعالي والاجتماعي .

٨ – وجود الفروق الفردية في النمو :

على الرغم من أن الأفراد يمرون بمراحل النمو بنفس التتابع إلا انهم يختلفون في ما بينهم من حيث سرعة النمو كماً ونوعاً، وحينما نتحدث عن متوسطات الأعمار مثلا لظهور الأضراس الأولى أو بداية المشي فهذه كلها متوسطات وهذا يعني أن الأفراد رغم أنهم يمرون بنفس التتابع العام من النمو إلا أن توقيت المظاهر السلوكية والجسمية يتباين من فرد إلى آخر.

٩– النمو يتخذ اتجاهاً طولياً من الرأس إلى القدمين :

يتجه النمو في التطور العضوي والوظيفي طولياً من الرأس إلى القدمين وبذلك فإن وظائف الأجزاء العليا من الجسم تسبق السفلى فمثلا يكون الطفل بداية قادراً على تحريك الرأس قبل أن يحرك يديه ثم قدميه .

١٠– النمو يتخذ اتجاهاً مستعرضاً من المحور الرئيسي للجسم إلى الأطراف الخارجية :

يتجه النمو اتجاهاً مستعرضاً من الجذع إلى الأطراف ويسبق تكوين الأجزاء الوسطى من الجسم الأجزاء البعيدة ، أي النمو المتعلق بأجهزة التنفس والهضم يسبق النمو الخاص بأطراف الذراعين والساقين .

خصائص النمو االبشري:

حتى يتوجه فهمنا لطبيعة النمو الانسانى وجهه صحيحة نعرض فيما يلى الخصائص الجوهرية لهذه العملية الهامة:

١) النمو عملية تغير:

كل نمو فى جوهرة تغير ، ولكن ليس كل تغير يعد نمواً حقيقيا ، وعموما يمكن القول أن علم نفس النمو يهتم بالتغيرات السلوكية التى ترتبط ارتباطاً منتظما بالعمر الزمنى . فإذا كانت هذة التغيرات تطرأ على النواحى البيولوجية والفسيولوجية وتحدث فى بنية الجسم الانسانى ووظائف اعضاءة نتيجة للعوامل الوراثية (الفطرة) فى اغلب الأحيان ، فان هذة التغيرات تسمى نضجاً Maturation اما إذا كانت هذة التغيرات ترجع فى جوهرها الى آثار الظروف البيئية (الخبرة) تسمى تعلماً Learing وفى كلتا الحالتين ، النضج والتعلم قد تدل التغيرات على تحسن أو تدهور ، وعادة ما يكون التدهور في الحالتين في المراحل المتأخرة من العمر.

أما التغيرات غير النمائية فانها على العكس تعد نوعا من حالة الانتقال التى لا تتطلب ثورة أو تطوراً ، فالشخص قد يغير ملابسة إلا أن ذلك لا يعنى نمواً ، فتتابع الاحداث فى هذا المثال لا يتضمن وجود علاقة بين الحالة الراهنة للشخص وحالتة السابقة ، ومن السخف بل ومن العبث ، أن نفترض مثلاً أن ملابس الشخص التى كان يرتديها فى العام الماضى نمت بالتطور أو الثورة إلى ما يرتديه الآن.

وهناك خاصية أخيرة فى التغيرات النمائية أنها شبة دائمة باعتبارها نتاج كل من التعلم والنضج ، وفى هذا تختلف عن التغيرات المؤقتة أو العارضة أو الطارئة مثل حالات التعب أو النوم أو الوقوع تحت تأثير مخدر ، فكلها ألوان

من التغير المؤقت فى السلوك ولكنها ليست نموا لأن هذة التغيرات جميعا تزول بزوال العوامل المؤثرة فيها وتعود الأحوال إلى ما كانت علية من قبل.

٢) النمو عملية منتظمة:

توجد أدلة تجريبية على ان تغيرات النمو تحدث بطريقة منتظمة ، على الأقل فى الظروف البيئية العادية ، ومن هذة الأدلة ما يتوافر من دراسة الاطفال المبتسرين (الذين يولدون بعد فترة حمل تقل عن ٣٨ أسبوعا) والذين يوضع الواحد منهم فى محضن يتشابة مع بيئة الرحم لاكتمال نموة كجنين ، فقد لوحظ انهم ينمون بيولوجيا وفسيولوجيا وعصبيا بنفس معدل نمو الأجنة الذين يبقون فى الرحم نفس الفترة الزمنية.

وتحدث تغيرات منتظمة مماثلة بعد الولادة ، وأشهر الأدلة على ذلك جاء من بحوث جيزل وزملائة الذين درسوا النمو الحركى للأطفال فى السنوات الاولى من حياتهم ، فقد لاحظوا الاطفال فى فترات منتظمة وفى ظروف مقننة ووصفوا سلوكهم وصفا دقيقاً ووجدوا نمطا تتابعيا للنمو الحركى ، ومن أمثلة ذلك ، الاتجاة من اعلى الى أسفل ، والاتجاة من الوسط الى الأطراف ، كما تظهر خصائص الانتظام فى سلوك الحبو والوقوف والمشى واستخدام الايدى والاصابع والكلام ، هذه الألوان من السلوك تظهر فى معظم الأطفال بترتيب وتتابع يكاد يكون واحداً ، ففي نضج المهارات الحركية عند الاطفال نجد أن الجلوس يسبق الحبو ، والحبو يسبق الوقوف ، والوقوف يسبق المشى وهكذا ، فكل مرحلة تمهد الطريق للمرحلة التالية ، وتتتابع المراحل على نحو موحد.

٣) النمو عملية كلية:

إذا كان النمو عملية كلية فالعلاقات الموجودة بين جوانب النمو تسير فى اتجاه واحد سواء فى طور البناء أم فى طور الهدم ، وهو ما يمكننا من التنبؤ بمعدل النمو في أحد الجوانب إذا عرفنا معدله فى جانب آخر لأن هناك تلازما فى معدل سرعة النمو فى الدورات المختلفة سرعة أو بطأ ، فإذا كان هناك طفل

ينمو ذكاؤة بمعدل أعلى من المتوسط فيمكن التوقع بأن نموه الجسمى سيكون أعلى من المتوسط أيضاً ، والعكس صحيح أيضاً فقد يكون التأخر فى أحد المهارات الحركية كالمشى مثلا دليل على التأخر فى الذكاء.

٤) النمو عملية فردية:

يتسم النمو الانسانى بأن كل فرد ينمو بطريقته وبمعدله ، ومع ذلك فإن الموضوع يخضع للدراسة العلمية المنظمة ، فمن المعروف أن البحث العلمى يتناول حالات فردية من أى ظاهرة فيزيائية أو نفسية ، ثم يعمم من هذه الحالات الى الظواهر المماثلة ، إلا أن شرط التعميم العلمى الصحيح أن يكون عدد هذة الحالات عينة ممثلة للأصل الاحصائى الذى تنتسب اليه ، وبالطبع فان هذا التعميم فى العلوم الانسانية يتم بدرجة من الثقة أقل منه فى العلوم الطبيعية وذلك بسبب طبيعة السلوك الانسانى موجود فى الفئة الاولى من هذه العلوم.

والنمو الانسانى على وجه الخصوص خبرة فريدة ، ولهذا فإن ما يسمى القوانين السلوكية قد لا تطبق على كل فرد بسبب تعقد سلوك الانسان ، وتعقد البيئة التى يعيش فيها ، وتعقد التفاعل بينهما ، ومن المعلوم فى فلسفة العلم أن التعميم لا يقدم المعنى الكلى للقانون اذا لم يتضمن معالجة مفصلة لكل حالة من الحالات التى يصدق عليها ، ومعنى هذا أن علم نفس النمو له الحق فى الوصول الى قوانينة وتعميماته ، إلا أننا يبقى معنا الحق دائماً فى التعامل مع الانسان موضع البحث فية على انة كائن فريد ، ولعلنا بذلك نحقق التوازن بين المنحى العام والمنحى الفردى ، وهو ما لا يكاد يحققة أى فرع آخر من فروع علم النفس.

٥) النمو عملية فارقة:

على الرغم من أن كثيراً من المعلومات التى تتناولها بحوث النمو تشتق مما يسمى المعايير السلوكية ، إلا أننا يجب أن نحذر دائماً من تحويل هذه المعايير

الى قيود . وهذا اللفظ ضرورى وإلا وقع الناس فى خطأ فادح يتمثل فى اجبار أنفسهم واجبار الآخرين على الالتزام بما تحددة هذه المعايير ، ويدركونة بالطبع على أنه النمط (المثالى) للنمو . ومعنى ذلك أن ما يؤديه الناس على انه السلوك المعتاد أو المتوسط ، أو ما يؤدى بالفعل (وهو جوهر المفهوم الأساسي للمعيار) يتحول فى هذه الحالة ليصبح ما يجب أن يؤدى ، ولعل هذا هو سبب ما يشيع بين الناس من الاعتقاد فى وجود أوقات ومواعيد " ملائمة " لكل سلوك. وهكذا يصبح المعيار العمرى البسيط تقليداً اجتماعياً ، ويقع الناس أسرى الساعة الاجتماعية ، بها يحكمون على كل نشاط من الأنشطة العظمى فى حياتهم بأنه فى وقته تماما أو أنه مبكر أو متأخر عنه ، يصدق هذا على دخول المدرسة أو أنهاء الدراسة أو الالتحاق بالعمل أو الزواج أو التقاعد مادام لكل ذلك معاييره ، فحينما ينتهى الفرد من تعليمه الجامعى مثلا فى سن الثلاثين فإنة يتصف بالتأخر حسب الساعة الإجتماعية ، بينما انجازه فى سن السابعة عشرة يجعله مبكراً.

وتوجد بالطبع أسباب صحيحة لكثير من قيود العمر ، فمن المنطقى مثلا أن ينصح طبيب الولادة سيدة فى منتصف العمر بعدم الحمل ، كما ان من العبث أن نتوقع من طفل فى العاشرة من عمرة أن يقود السيارة ، إلا أن هناك الكثير من قيود العمر التى ليس لها معنى على الإطلاق فيما عدا أنها تمثل ما تعود الناس عليه ، كأن تعتبر العشرينات أنسب عمر للزواج فى المعيار الامريكى ، وهذه المجموعة الأخيرة من القيود هى التى نحذر منها حتى لا يقع النمو الإنسانى فى شرك " القولبة " والجمود بينما هو فى جوهرة مرن على أساس مسلمة الفروق الفردية التى تؤكد التنوع والاختلاف بين البشر.

٦) النمو عملية مستمرة:

بمعنى أن التغيرات التى تحدث للفرد فى مختلف جوانبة العضوية والعقلية لا تتوقف طوال حياتة ، ويغلب على هذة التغيرات طابع البناء فى المراحل الأولى

من العمر. بينما يغلب عليها طابع الهدم فى المراحل الأخيرة منة ، والنمو بهذا المعنى سلسلة من الحلقات يؤدى اكتساب حلقة منها الى ظهور الحلقة التالية ، فاذا اخذنا النمو الحركى مثلا فاننا نجد أن الطفل يمر بالتطورات الآتية : إنتصاب الرأس ثم الجلوس فالحبو فالوقوف فالمشي والقفز والتسلق ، ولا بد أن تتم هذة العمليات بنفس الترتيب ، فلا يمكن أن يمشي الطفل قبل أن يقف ، ولا يمكن ان يجرى ويقفز قبل أن يتعلم المشى هكذا ، وإذا كان النمو مجموعة من الحلقات فهى حلقات متصلة فى سلسلة واحدة ، وهي سلسلة النمو أو دورة النمو (٢)



الفصل الثانى

دور العوامل الجغرافية فى النمو البشرى



تأثير الجغرافيا على النمو البشري :

الجغرافيا عامل مؤثر فى حياة الإنسان منذ بداية ظهوره حتى الوقت الحالي ، فقد أدت الجغرافيا دوراً مهماً في تحديد الموطن الأصلي للإنسان وطرق انتشاره فى أرجاء العالم ، ويمكن تبين هذا التأثير من خلال عرض الجغرافيا والموطن الأصلي للإنسان وانتشاره ، ودور البيئة الجغرافية فى التنوع السلالي :

أهداف علم نفس النمو:

يمكن القول أن لسيكولوجية النمو هدفين أساسين : أولهما الوصف الكامل والدقيق قدر الإمكان للعمليات النفسية عند الناس في مختلف أعمارهم واكتشاف خصائص التغير الذي يطرأ على هذه العمليات في كل عمر ، وثانيهما : تفسير التغيرات العمرية (الزمنية) في السلوك أي اكتشاف العوامل والقوى والتغيرات التي تحدد هذه التغيرات ، ثم أضيفت أهداف أخرى تتصل بالرعاية والمعاونة والتحكم والتنبؤ ، أو باختصار التدخل في التغيرات السلوكية.

١) وصف التغيرات السلوكية:

على الرغم من أن هدف الوصف هو أبسط أهداف العلم إلا أنه أكثرها أساسية ، فبدونه يعجز العلم عن التقدم إلى أهدافه الأخرى ، والوصف مهمتة الجوهرية ان يحقق الباحث فهما افضل للظاهرة موضع البحث ، ولذلك فالباحث فى علم نفس النمو علية ان يجيب أولاً على أسئلة هامة مثل : متى تبدأ عملية نفسية معينة فى الظهور ؟ وما هى الخطوات التي تسير فيها سواء نحو التحسن أو التدهور؟ وكيف تؤلف مع غيرها من العمليات النفسية الأخرى أنماطا معينة من النمو ؟ مثال ذلك اننا جميعا نلاحظ تعلق الرضيع بأمه وان الأم تبادل طفلها هذا الشعور ، والسؤال هنا : متى يبدأ شعور التعلق فى الظهور ؟ وما هى مراحل تطورة ؟ وهل الطفل المتعلق بأمة تعلقا آمنا يكون أكثر قدرة على

الاتصال بالغرباء أم أن هذه القدرة تكون أكبر لدى الطفل الأقل تعلقا بأمه ؟ هذه وغيرها أسئلة من النوع الوصفى.

ويجاب عن هذه الأسئلة بالبحث العلمي الذى يعتمد على الملاحظة ، أى من خلال مشاهدة الاطفال والاستماع اليهم ، وتسجيل ملاحظاتنا بدقة وموضوعية . ولا شك أن مما يعيننا على مزيد من الفهم أن ملاحظاتنا الوصفية تتخذ فى الاغلب صورة النمط أو المتوالية ، وحالما يستطيع الباحث أن يصف اتجاهات نمائية معينة ويحدد موضع الطفل أو المراهق أو الراشد فيها فأنة يمكنة الوصول الى الاحكام الصحيحة حول معدل نموة ، وهكذا نجد أن هدف الوصف فى علم نفس النمو يمر بمرحلتين أساسيتين : أولاهما الوصف المفصل للحقائق النمائية ، وثانيهما ترتيب هذة الحقائق في اتجاهات أو انماط وصفية ، وهذة الأنماط قد تكون متآنية في مرحلة معينة ، أو متتابعة عبر المراحل العمرية المختلفة.

٢) تفسير التغيرات السلوكية:

الهدف الثاني لعلم نفس النمو هو التعمق فيما وراء الأنماط السلوكية التي تقبل الملاحظة ، والبحث عن أسباب حدوثها أي بهدف التفسير ، والتفسير يعين الباحث على تعليل الظواهر موضع البحث من خلال الإجابة على سؤال لماذا ؟ بينما الوصف يجيب على السؤال : ماذا ؟ وكيف؟

ومن الأسئلة التفسيرية : لماذا يتخلف الطفل فى المشى أو يكون أكثر طلاقة فى الكلام ، أو أكثر قدرة على حل المشكلات المعقدة بتقدمة فى العمر؟ والى أي حد ترجع هذه التغيرات إلى " الفطرة " التي تشمل فيما تشمل الخصائص البيولوجية والعوامل الوراثية ونضج الجهاز العصبى ، أو إلى "الخبرة " أي التعلم واستثارة البيئة.

فمثلاً إذا كان الأطفال المتقدمون في الكلام في عمر معين يختلفون وراثياً عن المتخلفين نسبياً فية نستنتج من هذا أن معدل التغير في اليسر اللغوى

يعتمد ولو جزئيا على الوراثة ، أما اذا كشفت البحوث عن أن الأطفال المتقدمين فى الكلام يلقون تشجيعاً أكثر على انجازهم اللغوى ويمارسون الكلام أكثر من غيرهم فإننا نستنتج أن التحسن فى القدرة اللغوية الحادث مع التقدم في العمر يمكن ان يرجع جزئياً على الأقل إلى الزيادة في الاستثارة البيئية.

وفى الأغلب نجد أن من الواجب علينا لتفسير ظواهر النمو أن نستخدم المعارف المتراكمة في ميادين كثيرة أخرى من علم النفس وغيرة من العلوم مثل نتائج البحوث في مجالات التعلم والادراك والدافعية وعلم النفس الاجتماعي والوراثة وعلم وظائف الأعضاء والأنثروبولوجيا.

٣) التدخل في التغيرات السلوكية:

الهدف الثالث من أهداف الدراسة العلمية لنمو السلوك الإنسانى هو التدخل في التغيرات السلوكية سعياً للتحكم فيها حتى يمكن ضبطها وتوجيهها والتنبؤ بها.

ولا يمكن ان يصل العلم إلى تحقيق هذا الهدف إلا بعد وصف جيد لظواهره وتفسير دقيق صحيح لها من خلال تحديد العوامل المؤثرة فيها ، لنفرض أن البحث العلمى أكد لنا ان التاريخ التربوى الخاطىء للطفل يؤدى به إلى أن يصبح بطيئا فى عملة المدرسى ، ثائرا متمردا فى علاقاتة مع الافراد ، أن هذا التفسير يفيد فى اغراض العلاج من خلال تصحيح نتائج الخبرات الخاطئة ، والتدريب على مهارات التعامل مع الآخرين ، وقد يتخذ ذلك صوراً عديدة لعل أهمها التربية التعويضية ، والتعلم العلاجى.

العوامل الجغرافية وتأثيراتها على النمو البشري :

المناخ والإنسان :

يعد المناخ من العناصر الطبيعية البارزة التى تؤثر على النشاط البشرى وتطوره ، ذلك لأنه العامل الرئيسي الذى يكون الحياة النباتية ويحدد مظاهر

الارتباط النباتي والحيواني فى البيئة الطبيعية ، ولذا فإن النطاقات المناخية الرئيسية على سطح الأرض تكون الإطارات الرئيسية التى تتمثل بها أوجه النشاط البشرى ، ولذلك يعتقد كثير من الجغرافيين أن المناخ أهم عنصر من عناصر البيئة الطبيعية التى تؤثر فى الإنسان ونشاطه فى جميع مناطق العالم سواء كانت بدائية أو متقدمة .

ومن أمثلة هذه التأثيرات أن الغطاء النباتي يعتمد على ظروف درجات الحرارة ، فلكل نبات حد أدنى من درجات الحرارة (صفر النمو) يتوقف نموه إذا هبطت الحرارة عن هذا الحد ، وكذلك هناك درجة حرارة مثلى يكون النبات فى أقصى درجات حيويته أثناءها . ولذا فإن صفر النمو والحرارة العالية يعتبران من العوامل المحددة لنمو النباتات فى البيئات الطبيعية المختلفة .

المناخ وجسم الإنسان :

يتأثر الإنسان . ككائن حي . بعناصر المناخ وأهمها الضغط الجوى والإشعاع الشمسي ودرجة الحرارة والرطوبة والرياح ، فانخفاض الضغط الجوى بالارتفاع يؤثر على الإنسان تأثيراً مباشراً ، فمناطق مرتفعات الإنديز فى بيرو يسكنها شعوب قليلة استوطنت مثل هذه المناطق .

ومن المعروف أن الإنسان إذا ارتفع من سطح البحر إلى ارتفاع ٣٠٠٠ متراً (١٠٠٠٠) فإنه يصاب بدوار الجبل Mountain Sickness وبضيق فى التنفس والصداع والإعياء وإذا ارتفع عن ذلك بكثير فانه يصاب بانهيار تام ثم تعقبه الوفاة .

أما درجة الحرارة فهي عنصر مناخي هام ومؤثر فى حياة الإنسان ، فتبلغ حرارة الجسم البشرى الطبيعية ٣٧.٥ درجة مئوية (٩٨.٤ ف) ، فجماعات الأكالوف فى أقصى جنوب شيلي تلائمت فسيولوجياً مع الحرارة

المنخفضة فى تلك المناطق ، فى حين يحتوى غذاء الإسكيمو علي كميات من الشحوم . التى يستحيل على غيرهم من الأجناس الأخرى هضمها . التى تعطيهم أكبر قدر من الطاقة الحرارية ، وتتميز أجسامهم بتراكم الشحوم فيما تحت الجلد.

ويرى بعض الأنثروبولوجيين ومن بينهم بكستون Buxton أن الأنف الطويلة ذات الفتحات الضيقة التى تميز بعض الجماعات البشرية التى تعيش فى المناطق الباردة والجافة تقوم بوظيفة هامة فى تدفئة وترطيب الهواء المتنفس قبل أن يصل إلى الرئتين .

من ذلك يبدوا أن النشاط البشرى والطاقة الجسمانية تتأثران بالمناخ تأثيراً كبيراً ، فالحرارة العالية والرطوبة الشديدة لا تساعدان على العمل ، كذلك الهواء الحار مع الرطوبة المنخفضة تؤذى الجلد وتؤدى إلى تشققه وينتج عنها جفاف الحلق والأنف وتزيد من قابلية الإنسان لنزلات البرد ، كذلك فإن هناك الأمراض التى تكثر فى بيئات معينة كالحشرات والأوبئة فى البيئات الحارة والرطبة مثل الملاريا والحمى الصفراء والكوليرا والتيفود وكذلك مرض النوم الذى تسببه ذبابة تسى تسى فى المناطق الاستوائية والمدارية ، أما فى المناطق الباردة فتكثر أمراض الرئة والأنفلونزا .

المناخ وتوزيع السكان :

ويلعب المناخ دوراً كبيراً فى توجيه حركة الهجرة البشرية ، فكثيراً ما كانت ذبذبات المناخ وحدوث موجات جفاف فى بعض الأقاليم مثل وسط آسيا تدفع الجماعات للانتقال إلى مناطق أكثر أمطاراً ، فمناخ مثل إقليم التندرا كان له أثر فى توزيع وتوجيه قبائل اللاب والياقوت فى شمال سيبيريا وانتشر الإسكيمو فى شمال شرق سيبيريا والأسكا حتى شمال غرب جرينلند .

ويتأثر توزيع السكان تأثراً مباشراً بالمناخ ، فالمناطق قليلة الكثافة السكانية يتفق توزيعها مع أقاليم الجفاف وندرة المطر وذلك نتيجة قلى غطاءها النباتي وقلة مواردها المائية وإنتاجها الزراعي ، كذلك تقل كثافة السكان فى الأقاليم الاستوائية رغم غزارة أمطارها وذلك نتيجة الحرارة العالية وكثافة الغطاء النباتي وكثرة العوائق الطبيعية التى تعوق النقل . ويفضل الإنسان دائما سكنى الجهات المعتدلة المناخ ويبدوا ذلك بوضوح إذا ما قارنا خريطة توزيع الأمطار والحرارة من ناحية وخريطة توزيع السكان من ناحية أخرى ، فنلاحظ أن توزيع السكان بكثافة عالية يسود فى الأقاليم المعتدلة بالعروض الوسطى وإن كانت هذه العلاقة ليست منطبقة على بعض الجهات مثل جزيرة جاوة التى يتمثل بها المناخ الاستوائي الجزرى ولكن تزداد بها كثافة السكان بشكل واضح ، وذلك لأن المؤثرات البحرية تلطف من قوة المناخ الاستوائي وكذلك وجود التربة البركانية الخصبة ، كما يتركز السكان فى إقليم شابا فى زئير لوجود المعادن .

ولكن إذا علمنا أن حوالي ٥٥ % من سكان العالم يحترفون الزراعة ، وأن المناخ هو العمل الحاسم فى أنماط الزراعة وتوزيعها لأدركنا أن المناخ هو من أكثر العوامل تأثيراً على توزيع السكان .

المناخ والإنتاج الاقتصادي :

يؤثر المناخ على توزيع الغلات الزراعية وعلى توزيع الحيوانات وغذائها سواء كانت برية أو مستأنسة . فالمناخ هو الذى يضع حدوداً على إنتاج الأرض وعلى سكنى الإنسان لبعض جهات الأرض كالمناطق الشديدة البرودة والجهات الجافة ذات الرمال المتحركة ، وهو عامل رئيسي فى تكوين الترىات واختلاف أنواعها وخصوبتها .

والمناخ أهم عناصر البيئة المؤثرة فى الإنتاج الزراعي ، لأنه هو الذى يحدد نوع الغلات التى يمكن أن يتخصص فيها إقليم ما ، كما يتأثر نوع الإنتاج

الزراعي وكميته وجودته بالعوامل المناخية وظروف الطقس . وتشمل عناصر المناخ التى تؤثر فى توزيع الغلات : درجات الحرارة وكميات الأمطار وتوزيعها الفصلي ومدى كفايتها بحاجة النباتات ونسبة الرطوبة وسقوط الثلج والندى وحدوث الضباب وغطاء السحب وهبوب الرياح وكمية الضوء الذى يتعرض لها النبات .

وتختلف أهمية عناصر المناخ المختلفة من محصول لأخر ، فقد تكون كمية المطر أهم عنصر لمحصول ما ، وقد تكون درجات الحرارة أو كمية الرطوبة أو الرياح ...

ويتوقف نجاح الزراعة على كميات الأمطار الملائمة لاحتياجات الغلات المختلفة وعلى فصلية سقوط الأمطار ، إذ تختلف الاحتياجات المائية للنباتات والمحاصيل المختلفة ، فالقمح مثلاً يحتاج إلى كمية أمطار لا تقل عن ١٠ بوصات أو ما يعادلها من مياه الري فى الأقاليم المعتدلة الباردة ولا تقل عن ٢٤ بوصة فى الأقاليم المعتدلة الدفيئة . كما يؤثر تذبذب كمية المطر على الإنتاج الزراعي وجودته ، وقد يؤدى تأخر الأمطار إلى وقوع المجاعات كما فى بعض جهات الهند وأفريقيا .

والمناخ هو العامل الذى يتحكم فى توزيع التجارة الدولية باستثناء التجارة فى المعادن والصخور .إذ أن المناخ يحدد نوع النباتات والغلات والمنتجات الحيوانية وبالتالي يحدد طبيعة ونوع المصنوعات المتباينة بين جهات العالم المختلفة .

ويبدو أثر المناخ واضحاً فى الجهات الغربية من القارات وفى العروض العليا حيث تكون أكثر صلاحية للسكن والاستقرار من الجهات الشرقية من القارات فى نفس العروض ، ويرجع ذلك إلى أثر التيارات البحرية الدافئة وهبوب

الرياح الغربية الدافئة نوعاً على السواحل الغربية للقارات ومرور التيارات البحرية الباردة وهبوب الرياح القطبية الباردة على السواحل الشرقية وينجم عن ذلك تجمد مواني البحيرات والبحار وتوقف حركة التجارة بها .كما تتعرض البحار الداخلية والأنهار للتجمد أيضاً بفعل عامل القارية وينتج عن ذلك تعطيل مختلف نواحي الحياة الاقتصادية الأخرى كطرق النقل والمواصلات وما يعتمد عليها من نشاط بشرى .

والمناخ هو الذى يحدد طرق المواصلات التى يسلكها المسافرون والسلع التجارية فى الفصول المختلفة فى كثير من البيئات ، فمثلاً تغلق مواني نهر سانت لورانس فى فصل الشتاء بينما تظل مواني النرويج مفتوحة للتجارة فى هذا الفصل بسبب تيار الخليج . وتعمل الرياح وسقوط الثلج والسيول على تعطيل حركة السير على الطرق المختلفة . كما يحدد المناخ أيضاً أنواع وسائل النقل المستخدمة فى بعض الجهات كاستخدام الزحافات فى الأقاليم القطبية .

وللمناخ آثار قوية على الطيران ، وعليه يتوقف اختيار مواقع المطارات ومسارات الخطوط الجوية حتى لا تتعرض الطائرات للضباب والعواصف ، كما أن تخطيط المطارات والممرات الأرضية يعتمد على اتجاهات الرياح السائدة . ويؤدى سوء الأحوال الجوية إلى كثير من كوارث الطيران ، ولذا يجب أن يكون الطيار على دراية بعلم الميتيورولوجيا (الأرصاد الجوية) .

وللعناصر المناخية أثرها فى نشأة المناطق السياحية ونشاط حركة السياحة التى لها تأثير كبير على نمو الدخل القومي لبعض الدول مثل سويسرا ذات الطبيعة الجبلية ولكن يقصدها السياح للممارسة رياضات التزحلق وغيرها.

ويتأثر تخطيط المدن كذلك بالأحوال الجوية فيكون تجاه الشوارع فى العروض المعتدلة عمودياً على اتجاه الشوارع وموازياً لاتجاه الرياح فى العروض

الحارة . ونجد أن الشوارع والطرقات فى مدن المناطق الحارة عادة ضيقة بينما تمتاز مدن المناطق الشمالية الباردة بشوارع فسيحة ليمكن الحصول على أكبر قدر من أشعة الشمس ، ومن أمثلة هذه التأثيرات نجد أن الإسكيمو تبنى منازلها على هيئة قباب من الجليد والثلج تعرف باسم الايجلو Iglo بينما تبنى الجماعات التى تعيش فى الأقاليم الاستوائية منازلها من الأغصان وفروع الأشجار على أشكال مخروطية لتقيها الحر الشديد والمطر الغزير .

وللعناصر المناخية أثرها فى نشأة الصناعات وتوطينها ، فرطوبة الهواء مثلاً تساعد على قيام صناعة القطن كما حدث فى لانكشير نتيجة مناخها الرطب الذى لا تتقصف فيه التيلة ، فى حين قامت صناعة الصوف فى يوركشير للجفاف النسبي الذى تتميز به . ولكن يمكن القول أن هذا الاعتبار ينصرف إلى الماضي وأنه أصبح فى الإمكان الآن التحكم فى هذه الضوابط المناخية داخل المصانع ذاتها .

مظاهر السطح والإنسان :

تلعب مظاهر السطح فى البيئة الطبيعية دوراً بارزاً فى أنماط النشاط البشرى وتوجيهها . فبالرغم من أن عناصر المناخ يؤثر بدوره فى تحديد الأقاليم الرئيسية التى تضم أنماطاً مختلفة من الحياة البشرية فإن العوامل الفيزيوغرافية هى المؤثر الرئيسي فى تباين استغلال الأرض وفى اختلاف الدور الذى يقوم به الإنسان فى هذا الصدد .

وبصفة عامة فإن أشكال السطح الرئيسية تتمثل فى السهول والتلال والهضاب ثم الجبال ، وتعتبر السهول ذات التربات الخصبة والمناخ المعتدل أكثر الجهات ملائمة لنشاط السكان ومن ثم فانهم يتركزون بها أكثر من آي مظهر تضاريسي أخر كما الحال فى السهول الوسطى فى أمريكا الشمالية

وسهول البمبا فى أمريكا الجنوبية والسهل الأوروبي الشمالي وسهل الجانج والسند فى الهند والسهل الصيني الشمالي ، وقد نتج هذا التركز عن عوامل متعددة توفرت فى هذه السهول أهمها سهولة زراعتها وجودة تربتها وملاءمتها لإنتاج كثير من المحاصيل ، كذلك فإن استواء السطح فى المناطق السهلية يسهم فى سهولة النقل وامتداد طرق المواصلات ، فمثلاً الأنهار التى تجرى فى المناطق الجبلية تعترضها الشلالات والجنادل بعكس أنهار السهول فهي صالحة للملاحة وبالتالي القيمة الاقتصادية العالية .

أما الجبال فيمكن القول أنها مناطق مخلخلة سكانياً بينما تمثل الأودية مناطق كثيفة سكانياً ، كما الحال فى السهول الوسطى بالولايات المتحدة الأمريكية وجبال الروكى . فى حين تمثل الجزر بيئة جغرافية منعزلة ساعدت على بناء أشكال قديمة ومستوطنة من الحياة سجلها الكثير من الباحثين ، فقد اكتشف أن سكان جزر كارولين ما زالوا يعيشون فى العصر الحجري . وتتميز الجزر بمناخ متميز ساعد على الاستقرار البشرى وكذلك عوامل ساعدت على قيام أنشطة مختلفة أهمها الصيد .

ومظاهر السطح لها تأثير كبير على النشاط الاقتصادي ، فالمناطق السهلية التى تتوفر بها مياه الأمطار أو المياه الجارية أمكن قيام حرفة الزراعة وبخاصة فى مناطق السهول الرسوبية فى وديان الأنهار الكبرى كوادي النيل وسهول دجلة والفرات . فى حين تعد الجبال أعظم المناطق غنى بثروتها المعدنية التى ساعدت على قيام حرفة التعدين وبعض الصناعات المتصلة بها. وكثيراً ما يؤدى اختلاف مظاهر السطح إلى قيام حركة تبادل تجارى بين الأقاليم السهلية من جهة وبين الأقاليم الجبلية من جهة أخرى ، مثل حركة التبادل التجاري بين سكان جبال الألب وسكان سهل البو (إيطاليا) وقيام انتقال

فصلى للرعاة بين المناطق السهلية والمناطق الجبلية فى كل من سويسرا والنمسا وإيطاليا وفرنسا والنرويج .

وللتضاريس تأثيرها على الأحوال السياسية والأوضاع الاستراتيجية ، ويتمثل ذلك فى اختيار المواقع الدفاعية فى بناء القلاع والحصون والأسوار والمدن . ويجب ألا نغفل أثر الجبال والتضاريس المعقدة فى حماية الدولة واستقرارها وخاصة فى بدء نشأتها ، على أنها قد تكون عاملاً من عوامل الجمود وضيق الأفق والتمسك بالقديم وينطبق ذلك هذا على بعض الجهات المنعزلة مثل التبت أو منطقة الطوارق فى جبال تبستى وهضبة الأحجار فى الصحراء الكبرى وأقاليم القبائل الهندية الأمريكية فى بوليفيا وبيرو .

ولذا كان التطور الاقتصادي لمناطق الجبال أكثر بطئاً من التطور الاقتصادي لمناطق السهول بسبب عزلة سكان المناطق الجبلية ومحافظتهم على القديم فيما عدا المناطق التى اكتشفت فيها المعادن أو التى تطورت صناعتها إلى إنتاج سلع ذات قيمة كبيرة بالنسبة لوزنها كصناعة الساعات والآلات الدقيقة كما هو الحال فى سويسرا واليابان .

وتقوم انحدارات الجبال بدور كبير فى الدفاع ولذا نجد الدول القوية أو المنتصرة تعمل على امتلاك قمم الجبال وما وراء الجبال ليتسنى اتخاذها كخط دفاع أول . كما تعظم أيضاً قيمة الممرات وخاصة المنخفضة منها . وكثيراً ما وقفت الأنهار الواسعة والمستنقعات فى طريق الجيوش الغازية . بينما تتعرض المناطق السهلية للاجتياح كما هو الحال فى سهول بولندا التى تعرضت للاجتياح أربع مرات فى تاريخها وكذلك هولندا وبلجيكا التى اخترقت أراضيها فى الحربين الأولى والثانية .

كما أن الأقاليم السهلية يمكن السيطرة عليها من مكان وسط يتخذ مقراً للحكم ، وهكذا اتحدت مصر منذ أقدم العصور بينما نجد أن المناطق الجبلية صعبة فى إخضاع سكانها كما هو حال الأكراد فى كل من العراق وتركيا وإيران ، وكذلك الحال فى يوغسلافيا التى كانت تتبع النظام الفيدرالي بين أقاليمها المختلفة .

ومن تأثيرات أشكال السطح أيضاً أنه فى كثير من الأحيان تتخذ الظاهرات الطبيعية حدوداً سياسية بين الدول مما أدى إلى قلة مشكلات الحدود بين الدول وبعضها البعض .

الحياة النباتية والإنسان :

تعتبر الحياة النباتية من العوامل الطبيعية المؤثرة فى حياة الإنسان ، ذلك لأنها تؤثر فى إنتاج الإقليم الاقتصادي وتحدد نوع الحرفة التى يقوم بها الإنسان وطريقة ومستوى معيشته ، فمناطق الحشائش صالحة تماماً للرعى كما أنها صالحة للزراعة إذا ما أمكن حرق الحشائش بعكس الحال فى مناطق الغابات التى تقل صلاحيتها للزراعة .

وعلى الرغم من أن الإنسان قد أزال أجزاء من الغطاء النباتي الطبيعي فى معظم بقاع العالم سواء لإحلال الزراعة محلها أو لآي غرض آخر ، فإن أهميتها بالنسبة للإنسان أهمية كبيرة إذا ما أدركنا أن استهلاكه من الأخشاب فى أغراض البناء أو صناعة الأثاث أو فى مد السكك الحديدية وصناعة السفن وغيرها فى تزايد مستمر تبعاً لتزايد أعداده ، كذلك إذا أدركنا ما يستهلكه العالم من لحوم وجلود وأصواف يأتى فى معظمه من المناطق ذات المراعى الطبيعية التى تربى عليها قطعان ضخمة من الماشية والأغنام كما هو الحال فى الأمريكتين واستراليا ونيوزيلندا .

وقد يكون الغطاء النباتي حائلاً للتقدم البشرى فى كثير من الأحيان حيث تعوق الغابات الكثيفة طرق النقل المتنوعة التى يصعب مدها فيها مثل طرق السيارات أو السكك الحديدية كما يبدو فى حوض الكونغو والأمازون واللذين مازالا حتى الآن مناطق طرد بشرى وتسود بهما حرف بدائية كالصيد والجمع ، وغير ذلك فقد قامت مناطق الغابات بدور الحماية للجماعات المستضعفة فى مواجهة الجماعات القوية فمناطق غابات الكونغو كانت ملجأ للأقزام التجئوا إليها تحت ضغط جماعات الزنوج السودانيين وجماعات البانتو .

والغابات مناطق قليلة السكان للغاية ولا يعيش بها إلا جماعات مستضعفة قليلة العدد ولا يختلطون كثيراً بالجماعات الأخرى مما يجعلهم معرضين للانقراض . كما يسكنها بعض عمال قطع الأخشاب أو الصناعات القائمة عليها ، والواقع أن الغابات ليس فيها ما يغرى على السكنى إلا إذا كان بها موارد اقتصادية هامة .

أما مناطق الحشائش فهي أقاليم الرعاة التى تعج بأعداد كثيرة من الحيوانات البرية والمستأنسة ، وتعيش فيها قبائل رعوية لها تنظيمها الاقتصادي والاجتماعي الخاص الذى يتناسب مع البيئة . وتؤدى ظروف البيئة وقلة الأمطار والفروق بين مناطق الحشائش إلى شيوع الهجرات الرعوية بحثاً عن الكلأ وموارد المياه ، وفى تلك الأقاليم يصعب تخطيط الحدود السياسية ولذلك كثيراً ما تتجول القبائل فى أكثر من دولة واحدة وكثيراً ما تقوم المشاكل السياسية على الحدود كما هى بين الصومال وأثيوبيا .

ومن الأمثلة الواضحة لتأثير الغطاء النباتي هو ذلك التأثير على سكان المناطق القطبية الباردة ، إذ عليها تتوقف حياة الحيوانات التى تعيش هناك وأهمها الرنة والكاريبو ، ولذلك كانت هجراتها بحثاً عن الطحالب والحشائش القطبية هى التى تنظم هجرات الإنسان فى هذه المناطق وتنظيم حياته

الاجتماعية . واختفاء الغطاء النباتي من الصحارى جعلها مناطق مقفرة من حيواناتها وسكانها ما عدا مناطق الواحات والتعدين وذلك لاستحالة معيشة الحيوان والإنسان فى بيئة يختفي فيها الغطاء النباتي .

وقد لعبت الغابات دوراً كبيراً فى قيام حرفة صيد الأسماك فى الجهات الساحلية ، إذ اعتمدت عليها جماعات الصيادين فى بناء السفن كما هو الحال فى مناطق الصيد بالنرويج واليابان وشرق كندا وشمال شرق الولايات المتحدة . على أن أهمية الغابات الرئيسية فى الوقت الحاضر تنحصر فى مواردها من الأخشاب ، وتؤدى زيادة الطلب عليها فى الأسواق العالمية إلى تقليل مساحاتها فى الأقاليم المعتدلة الدفيئة والباردة وهذا يدفع إلى الاهتمام باستغلالها استغلالاً منظماً دون إسراف أو إهمال .

تأثير الإنسان فى الجغرافيا : (دور الإنسان فى بيئته الجغرافية)

الإنسان ليس عاملاً سلبياً فى بيئته الجغرافية ، بل نه عامل إيجابي مؤثر استطاع أن يعدل من ظروف البيئة وأن يتلاءم معها ، وذلك لما وهبه الله من قدرة ذهنية لا تتوفر لغيره من الكائنات الحية . وحتى فى أولى مراحل تطوره الحضاري إلا أنه كان يغير من ظروف البيئة بقدر معلوم ، وكلما ارتقى الإنسان فى سلم الحضارة كلما تزايد دوره فى تعديل البيئة والتكيف معها .

وليست مكونات البيئة الطبيعية . والتي سبق ذكرها . فى متناول التحكم البشرى كلية ، فرغم أن الإنسان تمكن من تعديل لبعض مظاهر السطح والنبات والمياه فإنه حتى الآن يقف عاجزاً أمام بعض الظاهرات الطبيعية مثل الزلازل والبراكين والعواصف واتجاه الرياح وتفاوت درجات الحرارة وعوامل التعرية الرئيسية أو الظاهرات الناجمة عنها .

وعلى أية حال فإن هناك عناصر فى البيئة الطبيعية استطاع الإنسان أن يعدلها ويتحكم فيها ، فقد غير من أشكال السطح هنا وهناك وشق الطرق والممرات عبر السلاسل الجبلية مثلما حدث فى جبال الألب التى شقت فيها الممرات التى تربط بين فرنسا وإيطاليا والنمسا ، وأزال الغابات لاستغلال الأرض فى الزراعة مثلما حدث فى أقاليم السهول الوسطى فى الولايات المتحدة الأمريكية والتي أصبحت من أغنى الأقاليم الزراعية فى العالم ، وكذلك ردم البراري والمستنقعات مثلما حدث فى شمال الدلتا فى مصر ، وأضاف المخصبات للتربة لزيادة إنتاجها ، واستثمر موارد البيئة الطبيعية كالثروة المعدنية الكامنة فى قشرة الأرض ، كما استأنس الحيوان منذ القدم ، ووجه الأنهار واستغلها لخدمته فى النقل والصناعة ، وقد ساعد على ذلك كله أن الإنسان هو أوسع المخلوقات انتشاراً على سطح الأرض ، ولم يمنع انتشاره قسوة الظروف المناخية ولا العقبات الطبيعية الأخرى وإن كانت حدت من تكاثفه فى بعض الأقاليم .

والواقع أن الإنسان . على امتداد تاريخه . اعتمد فى مغالبته للبيئة على معارفه وابتكاراته وكان أبرزها معرفة النار واهتدائه إلى طريقة إشعالها ، وقد صاحب اختراع النار منذ البداية اختراع الأدوات ، وهى من أم عناصر الحضارة المادية المبكرة التى مكنت الإنسان من التغلب على عوائق البيئة الطبيعية المحيطة .

ويعد استخدام النار فى استخلاص المعادن من خاماتها من أبرز مراحل التطور الحضاري فى حياة الإنسان ، وكان له الدور الكبير فى تطوره الاقتصادي . وكان هذا الكشف ثورة اقتصادية هائلة دفعت بالإنسان إلى الأمام واستخدامه فى أدوات الصيد والزراعة وكان بداية للثورة الصناعية فى العصر الحديث .

ويرتبط دور الإنسان فى تعديل بيئته الجغرافية بعدد من العوامل أبزها فى أعداده وتوزيعها ومستواها الحضاري والمدة الزمنية التى يقضيها الإنسان فى بيئته ، فالأقاليم التى يكثر بها السكان والتي شهدت العمران البشرى لفترات طويلة هى أكثر الجهات تغيراً عن حالتها الطبيعية الأولى . كما أن الأنشطة الاقتصادية البسيطة البدائية كالصيد والجمع والالتقاط والرعي البدائي والزراعة المتنقلة لم تحدث سوى تغيرات بسيطة فى سطح الأرض وشكلها ، أما المجتمعات التى تعيش على الزراعة المستقرة ومجتمعات الحضارة الميكانيكية والزراعية الراقية فهي التى أحدثت أعظم تغير فى شكل الأرض .

ومع التقدم العلمي والتكنولوجي فى العصر الحالي ، استطاع الإنسان أن يتحكم فى بيئته الجغرافية إلى حد كبير مقارنة بالفترات السابقة ، فقد استطاع أن يعدل من مظاهر البيئة الطبيعية المحيطة به ، فتغلب على المرتفعات وشق فيها الكباري والطرق والممرات الجبلية واستخدام أساليب مختلفة للتنقل خلالها . وخير مثال لذلك اليابان تلك الدولة ذات الطبيعة الجبلية التى استغلت طبيعتها الجبلية الاستغلال الأمثل سواء فى الزراعة أو المعادن أو الصناعة ، وكذلك سويسرا التى تعتبر دولة جبلية ولكنها الآن من أكبر الدول السياحية ى العالم وذلك بفضل استغلالها لطبيعتها الجبلية . ، وتغلب على أثر الظروف المناخية من خلال تعديل لآثارها كالزراعة من خلال الصوبات الزجاجية التى مكنته من زراعة محاصيل بيئات أخرى كانت لا تصلح لبيئته ، واستطاع أن يتحكم فى عملية سقوط المطر من خلال تحويل مسار السحب من منطقة لأخرى وإن كانت لا تزال هذه العملية فى مرحلة التجارب .

فالتقدم العلمي والتكنولوجي مكنه من استغلال مواد ومعادن نادرة كانت غير قابلة للاستخدام ، وتمكن من خلال الهندسة الوراثية فى اكتشاف عقاقير جديدة وعلاجات وطرائق جديدة للسيطرة على الأمراض ، كما تبشر النجاحات

المتحققة فى تكنولوجيا الفضاء بآفاق واعدة ، حتى للاقتصاديات التى تعتمد على الزراعة ، فى تقديم المعلومات التى تفيد فى استغلال الموارد الطبيعية الاستغلال الأمثل .

ومن الواضح أن الإنسان كلما قطع شوطاً كبيراً فى التطور والتقدم عظم تغييره لعناصر بيئته ، على أنه يلاحظ أن الإنسان لا يعدل فقط من صفات البيئة التى يسكنها ولكنه كثيراً ما يتجه بهذا التعديل وجهة ضارة تصيب موارده فى النهاية بالخسران ، مثل إسرافه فى اجتثاث الأشجار مما يؤدى إلى القضاء على مساحات كبيرة من الغابات وتعريض التربة للتعرية وحدوث الفيضانات ، واستنزافه للمعادن ، والإسراف فى الصيد بطرق غير سليمة مما يؤدى إلى انقراض أنواع من الحيوانات والطيور والأسماك ، وحتى هواء المدن لم يسلم من تدمير الإنسان فقد تأثر بما تنتجه المصانع من أدخنة وما تنفثه السيارات من عوادم وأدى ذلك إلى تلوث الهواء فى داخل المدن بشكل حاد خاصة فى كثير من المدن الكبرى فى الدول النامية . [٣]

النمو الطبيعي للسكان

- يرتبط نمو السكان بالزيادة الطبيعية (وهي الفرق بين المواليد والوفيات دون أن تدخل الهجرة في حسابها) .
- إذا كانت ا لزيادة الطبيعية لدولة ١٠في الألف في السنة فإنه يزيد بمعدل ١% سنوياً ، وإذا استمر هذا المعدل ثابتاً فإن عدد السكان سيتضاعف في مدي ٧٠عاماً فقط وذلك لأن السكان يزيدون وفقاً لمبدأ الفائدة المركبة وليس مبدأ الفائدة البسيطة .
- حسب معدلات النمو السكاني للعالم عام ١٩٨٥ فإن سكان العالم سيتضاعفون في مدة ٤٠ سنة .

- أدني مدة تضاعف للسكان (الباكستان و الفلبين و تايلاند ٢١سنة) وأعلي مدة تسود في (فنلندة والنمسا ١٧٥سنة) .
- معدل النمو السكاني يحسب بطريقتين :

١. حساب الفرق بين أعداد السكان في تعدادين مختلفين (الطريقة الشائعة) .
٢. تقدير معدل التغير من سجلات المواليد والوفيات والهجرة (باستخدام طريقتي المتوالية العددية والهندسية) .

تطور النمو السكاني في العالم :

- عام ١٦٥٠يعد بداية التقدير المعقول للسكان .
- يعد تقدير كارسوندرز وتقدير لكوكس أبرز تقديرات السكان .
- تربو الزيادة السنوية للسكان في العالم عن ٨٠مليون نسمة .
- قدر خبراء الأمم المتحدة أن سكان العالم سيصلون إلي مابين ٦٠٠٠-٧٠٠٠مليون نسمة عام ٢٠٠٠.
- زاد معدل السكان بسبب العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، حيث أدي تطور الزراعة إلي تزايد قدرة الأرض علي إنتاج واستيعاب أعداد من السكان ، وكذلك أدى التصنيع و ما صحبه من تحسن فنون الإنتاج والتنظيم الاجتماعي إلي تركيز السكان وتزايدهم بشكل واضح لأن التنمية الاقتصادية تطلبت توفير أيد عاملة لازمة للإنتاج الكبير كما تطلبت أسواقاً كبيرة تسهم في استمرار الإنتاج .

الضوابط البيئية للنمو السكاني :

- كان معدل النمو السكاني بطئياً حتى أوائل القرن العشرين وكان هذا الانخفاض راجعاً إلي ارتفاع مستوى الوفيات الذي كان مرتبطاً بعدة عوامل أبرزها :

١. **المجاعات :**

- لم تسلم منها قارات ا لعالم القديم ، وكانت تنتج عن الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو نقص الأمطار (الجفاف) لعدة سنوات متتالية ، ومما يترتب عليها تناقص كبير في عدد السكان حتى أن بعض المناطق تفقد سكانها تماماً . وقد ذكر رولفورد قائمة بالمجاعات التي شهدها العالم حتى أوائل هذا القرن بلغت ٣٥٠مجاعة ، منها ٢٠١حدثت في الجزر البريطانية ، ٧٠في أجزاء أوروبا ، ٣١في الهند ، ١٧في حوض البحر المتوسط ، ٣٠في أجزاء العالم وخاصة في الهند والصين .
- أبرز المجاعات التي شهدتها أوروبا في العصر الحديث التي تعرضت لها ايرلندا عام ١٨٤٦-١٨٥١ (مجاعة البطاطس) .
- المجاعات من المؤثرات الهامة في تحديد نمو السكان خاصة أنه يعقبها الأمراض والأوبئة .
- أسوأ المجاعات التي حدثت للصين القرن الماضي نتيجة الجفاف الحاد عام ١٨٧٦- ١٨٨٩ حيث قدر عدد الضحايا من ٩-١٣ مليون نسمة أي $1/5$ سكان الإقليم ، وكذلك فيضان نهر اليانجتسى أدي لحدوث مجاعات أخرى .
- تعرض إقليم البنغال في الهند عام ١٧٦٩-١٧٧٠المجاعة ضخمة أودت بحياة $1/3$ السكان أي ما يقدر بحوالي ١٠مليون نسمة ، كما أن الهند شهدت مجاعات ضخمة في سنوات متتالية كان ضحاياها بالملايين مما أثر تأثيراً كبيراً علي نمو السكان فيها .

٢. **الأمراض الوبائية :**

- كانت الأمراض الوبائية (والتي يمكن التحكم فيها اليوم) .
- من الأسباب التي أثرت في إنقاص حجم السكان من قبل وخاصة المناطق التي تميزت بارتفاع الكثافة السكانية و ما يؤديه ذلك من

سهولة انتقال هذه الأمراض وخاصة في الفترات التي تعقب المجاعات و من أبرز تلك الأمراض : التيفوئد – الجدري – السل وغيرها .

- ما يقرب من ربع ثلث الأطفال يتعرضون للوفاة قبل إتمامهم السنة الأولي .
- قبل عام ١٩٥٠كان حوالي $\frac{1}{2}$ عدد الأطفال المولودين يموتون قبل وصولهم سن العاشرة .
- الموت الأسود (مرض الطاعون) انتشر في الفترة ١٣٤٨–١٣٥٠ في قارة أوروبا وأدي إلي فقدانها حوالي $\frac{1}{4}$ عدد سكانها (٢٥–٣٥مليون نسمة).
- مرض الإنفلونزا انتشر عام ١٩١٨–١٩١٩ وبلغت ضحاياه في الهند ٨ مليون .

٣. **الحروب :**

- تتسبب في إحداث خسائر بشرية ومجاعات تؤدي لتزايد معدل الوفيات لذلك فهي في نظر مالتوس العامل الثالث مع المجاعات والأوبئة الذي كان يتحكم في حجم السكان .
- الحروب تؤدي لخسائر في الأرواح ، وانخفاض معدل المواليد بسبب تعبئة الشباب في الجيش وابتعادهم عن زوجاتهم ، تأخير سن الزواج لديهم .
- أكبر خسائر الحرب العالمية الأولي كانت من نصيب روسيا حيث بلغت ٢مليون نسمة خسائر مباشرة باستثناء المدنين والنقص في المواليد .
- خسائر أوروبا في الحرب العالمية الثانية لم تكن أقل من خسائرها في الحرب العالمية الأولي ويقدرها البعض بحوالي ٥ مليون نسمة .

- **عوامل النمو السكاني في العصر الحديث :**

١. الثورة الزراعية في وسائل الإنتاج الزراعي وأساليبه (التي استطاع البشر أن يواجهوا بها أثر الكوارث في تخفيض أعداد السكان) .

❖ بدأت الثورة الزراعية الحقيقية في دول الغرب منذ أوائل القرن ١٨ وقد صاحبها انقلاب صناعي .

٢. الانقلاب الصناعي في القرن ١٨ الذي أثر في زيادة الإنتاج وتطور وسائل النقل وأبرز مظاهر هذا الانقلاب اختراع الآلة البخارية عام ١٦٩٨.

٣. الوسائل التقنية في الزراعة والصناعة والنقل.

٤. الاستقرار السياسي .

❖ مما زاد من قدرة الإنسان علي إنتاج الغذاء والضرورات الأساسية الأخرى .

❖ كان يسكن أمريكا الشمالية $1/2$ مليون نسمة من الهنود الحمر قبل الهجرة الأوروبية .

❖ عام ١٨٠٠-١٨٠٢كتب روبرت مالتوس نظريته المشهورة محذراً من عواقب التزايد السكاني والصراع بينه وبين الموارد الغذائية السائدة .

❖ بدأت معدلات المواليد في دول شمال غرب أوروبا في الهبوط منذ عام ١٨٥٠.

❖ الطفرة السكانية في العصر الحديث نتجت عن الزيادة الطبيعية الكبيرة والتي نتجت عن انخفاض معدل الوفيات مع بقاء معدلات المواليد ثابتة أو انخفاضها انخفاضاً طفيفاً .

❖ ارتبط انخفاض معدلات الوفاة بارتفاع في متوسط أعمار الأفراد.

❖ بدأ الانخفاض الواضح في معدلات الوفيات في دول شمال أوروبا في وقت مبكر من القرن ١٩.

❖ لم تشهد الدول الأوروبية في تاريخها معدلاً للنمو السكاني كالذي تشهده حالياً كثير من الدول النامية .

❖ يبدو التباين في معدلات النمو السكاني حيث يمكن تقسيم العالم لنطاقين كبيرين :

١. الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا الشمالية والاتحاد السوفيتي حيث ينخفض معدل النمو بها.
٢. الدول النامية في قارة آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يرتفع معدل النمو بها .

❖ تعد أفريقيا أكثر قارات العالم في معدل النمو السكاني تليها أمريكا اللاتينية ثم آسيا حيث يصل معدل النمو بها إلي ٢% سنوياً وهو ضعف مثيله في الدول المتقدمة.

❖ تعتبر الأوقيانوسية من القارات المتقدمة ولكنها ذات معدل نمو مرتفع وذلك ناتج عن الأثر القوي الذي أحدثته الهجرة التي تسهم بحوالي ٢٠% من جملة نمو السكان بها .

* **مراحل النمو السكاني :-**

❖ الارتباط بين معدلي المواليد والوفيات هو الذي يؤدي إلي تغير حجم السكان ، لأن الفرق بين هذين المعدلين (الزيادة الطبيعية) هو العامل الأساسي في نمو السكان ، ويزيد معدل المواليد عن الوفيات في كل دول العالم ، ولكن الفرق بينهما يختلف بين الدول .

❖ أدت دراسة النمو السكاني لتقسيمه لمراحل (دورات ديموغرافية) تتميز كل منها بسمات خاصة معتمدة علي تطور المواليد والوفيات وتعرف هذه النظرية بنظرية النمو الطبيعي للسكان أو بالنظرية الديموغرافية الانتقالية وقد أقيمت علي تجارب بيولوجية معملية قام بها ريموندبيرل ،

وقد استنتج أن النمو الطبيعي يحدث في دورات مميزة حيث يبدأ النمو بطيئاً ، ثم يتزايد بالتدريج وبنسبة ثابتة حتى يصل لمنتصف الدورة .

- رأي جيني الايطالي أن دورة النمو السكاني تشبه دورة حياة الفرد ، وهي تتميز بمرحلة نمو   سريع مبكر ثم مرحلة نضج وثبات ، وبعد ذلك مرحلة الشيخوخة.
- يري الباحثان بيرل وجيني أن دورة النمو السكاني تتأثر تأثراً كبيراً بعامل المواليد و هبوطه وينتج عن هذه الدورات في النهاية منحني يأخذ شكل حرف S المائل .
- نظرية الانتقال الديموغرافي : تعد من أبرز المظاهر المرتبطة بدراسة السكان وهي تمثل العلاقة بين معدل المواليد ومعدل الوفيات، وتعتمد علي عنصر الزمن لتحديد تطور منحني النمو وتقسيمه إلي مراحل مميزة لكل منها سماتها الخاصة:

المرحلة الأولي (المرحلة الابتدائية) :

- تتميز بارتفاع معدل المواليد والوفيات .
- يتعرض السكان فيها لأوبئة ومجاعات ترفع معدل الوفيات.
- ترتفع فيها معدل وفاة الأطفال الرضع (٢٥٠ في الألف) وأكثر من $1/2$ الأطفال يموتون قبل سن ١٥.
- مرت كل شعوب العالم بهذه المرحلة ، وموجودة حالياً في أواسط أفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية حيث يتعدى معدل المواليد والوفيات (٣٠في الألف) وبالتالي لا يزيد معدل النمو السكاني زيادة كبيرة ، ويظل مرتبطاً بظروف التخلف الصحي و الاجتماعي .

المرحلة الثانية (مرحلة التزايد السكاني المبكر) أو (المرحلة الديموغرافية الشابة) :

- ❖ تتميز بالنمو السريع والتزايد للسكان بسبب انخفاض معدل الوفيات مع استمرار معدل المواليد مرتفعاً وبذلك ترتفع نسبة الزيادة الطبيعية ، ويتميز الهرم العمري باتساع القاعدة ، أي ارتفاع نسبة الصغار.
- ❖ تعيش معظم دول العالم النامي هذه المرحلة .
- ❖ تعيش دول هذه المرحلة ، مرحلة الانفجار السكاني الذي يعد أبرز مشكلاتها المعاصرة .
- ❖ يرجع الهبوط الكبير في معدل الوفيات إلي التطور التكنولوجي الذي مكن الدول من السيطرة علي الأوبئة مما أدي لزيادة عدد السكان فيها (انفجار سكاني) .

المرحلة الثالثة (مرحلة التزايد السكاني المتأخر):

- ❖ تعيش الدول ذات الخصوبة المتوسطة (معدل المواليد أكثر قليلاً من ٢٠في الألف) ووفيات منخفضة (معدل وفيات ١٠في الألف) ، ويتميز النمو السكاني بأنه أقل من مستواه في المرحلة السابقة ، وتمثله كوريا الجنوبية ، تايوان ، الصين ، الاتحاد السوفيتي ، فلسطين ، الأرجنتين ، بارجواي .
- ❖ في هذه الدول يلعب تنظيم الأسرة دوراً هاماً في خفض مستويات الخصوبة.
- ❖ تضم هذه المرحلة دولاً من العالم المتقدم والعالم النامي معاً .

المرحلة الرابعة (مرحلة الاستقرار) :

- ❖ المرحلة الأخيرة في الدورة الديموغرافية .
- ❖ تشمل الدول التي وصلت إلي مرحلة الثبات والاستقرار الديموغرافيين ، حيث انخفض فيها معدل المواليد ، ومعدل الوفيات انخفاضاً ملحوظاً ،

وبالتالي هبط معدل النمو السكاني إلي أدني مستوياته في العالم كما هو الحال في شمال وغرب أوروبا .

- هناك دول وصل معدل النمو فيها صفر عام ١٩٨٣وهي النمسا ، لكسمبورج ، السويد .
- بعض الدول تعرضت لنقص طبيعي في معدل النمو مثل الدنمارك ، المجر ، ألمانيا .
- اليابان الدول الآسيوية الوحيدة التي تعيش المرحلة الرابعة .

مستقبل النمو السكاني في العالم :

يعد تقدير حجم السكان في المستقبل نتاجاً هاماً للدراسة الديموغرافية بل هو هدفها .

أهمية التقديرات السكانية في المستقبل :

١. تلعب دوراً كبيراً في التخطيط الاقتصادي والاجتماعي علي مستوى الدولة أو الإقليم المحلي .
٢. تحديد حجم السكان في المستقبل وخصائصهم الرئيسية من حيث تركيبهم العمري أو النوعي أو من حيث تحديد عدد المستهلكين لخدمات معينة والمستفيدين منها مثل : تقدير عدد التلاميذ في مراحل التعليم المختلفة ، وتقدير عدد المساكن اللازمة في المستقبل .

- تقدير السكان لفترة زمنية طويلة يقلل من فائدته ، وتعتبر الفترة التقديرية من ٢٠–٢٥سنة كافية لمواجهة متطلبات التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .
- تقديرات السكان في المستقبل (الإسقاطات السكانية) عبارة عن مجرد عمل امتداد لنمط معقول معين للنمو من الماضي إلي المستقبل مبني

علي افتراضات محددة للواقعات الحيوية (المواليد والوفيات) في ضوء المشاهد منها والمتوقع لها .

- ❖ هناك طريقة رئيسية تستخدم في تقدير السكان في المستقبل وهي الطريقة التركيبية حيث تؤخذ أعداد الذكور والإناث في كل فئة عمرية في تاريخ الأساس كقاعدة لتقدير عدد الباقين علي قيد الحياة في فئات السن المتتالية الأعلى في تواريخ متعاقبة في المستقبل اعتماداً علي كل جيل من المواليد بتطبيق معدلات الخصوبة المقدرة علي الإناث في سن الإنجاب .
- ❖ جرت العادة علي وضع ثلاث تقديرات للسكان ، تقدير عالي ، تقدير متوسط ، تقدير منخفض ، حيث يرتبط التقدير العالي بافتراض ثبات معدلات الخصوبة والوفيات بينما المنخفض يرتبط بهبوط الخصوبة والمتوسط وسط بينهما .[٤]

الفصل الثالث

علم نفس

الأهداف والمجالات والمدارس

تعددت تعريفات علم النفس تعدداً غير قليل، واختلفت تبعاً للنظرية التي يعتنقها واضع التعريف، وتبعاً – كذلك – لاختلاف المرحلة التاريخية التي مر بها علم النفس عبر العصور. ومن الأقوال المأثورة عن عالم النفس الأمريكي الشهير (وودوورث) قوله : «أن علم النفس بدأ بدراسة الروح، لكن زهقت روحه، ثم أصبح علم العقل، لكن ذهب عقله، ثم أصبح علم الشعور، وأخشي أن يفقد شعوره». وقد فقده فعلاً بعد أن أصبح علم السلوك!

ومن تعريفات علم النفس أنه العلم الذي يدرس الأنسان، وعلى الرغم من أن علم النفس يدرس الأنسان فعلاً، فإن هذا التعريف غير دقيق نظراً لما يلي:

أ) تدرس كل العلوم الإنسان إلا قليلاً، وذلك من زوايا مختلفة بطبيعة الحال، لذا فهذا التعريف جامع ولكنه غير مانع.

ب) لا يدرس علم النفس الإنسان فقط بل الحيوان كذلك، ذلك أن موضوع علم النفس يتسع ليشمل بالدراسة جانباً من جوانب النشاط لدي معظم أنواع المملكة الحيوانية.

ومن بين تحديات موضوع الدراسة في علم النفس أيضاً، التعريف الذي يقول بأنه العلم الذي يدرس الحياة العقلية للإنسان. وهو تعريف أكثر تحديداً من سابقيه، ألا أنه لا يشمل كل ما يدرسه هذا العلم، إذ لا يدرس فقط الجوانب المعرفية cognitive (المجالات العقلية المتصلة بالأفكار وتجهيز المعلومات)، بل الجانبين النزوعي conative (الإرادي) والوجداني aflective(الانفعالي) كذلك. (٥)

وهنا نتساءل ما هو علم النفس أو ما هو موضوع دراسة علم النفس؟ كان قديماً ينظر إلى علم النفس على أنه علم دراسة الروح، ثم تطور وأصبح علم دراسة العقل الإنساني، ولكن تبين أن هذه الموضوعات أمور غيبية وفلسفية

أو دينية ولا يمكن إخضاعها للدراسة العلمية التي يقوم على أساس الملاحظة والتجربة. فالروح مثلاً ليست جسماً مادياً بحيث يمكن قياسه وملاحظته ملاحظة مباشرة. وعلى ذلك أصبح ينظر لعلم النفس على أنه علم دراسة السلوك behavior . ولكن لابد لعلم النفس من تطبيق المنهج العلمي في دراسته للسلوك الإنساني. ومعني ذلك أنه العلم الذي يدرس السلوك الإنساني دراسة علمية، أي مستخدماً الأدوات والمفاهيم والمقاييس والمناهج والطرق التي يستخدمها العلم. ولكن ما معني قولنا أن علم النفس يدرس السلوك؟ معني ذلك أنه يطبق على السلوك المناهج العلمية، من ناحية، ومن ناحية أخرى يسعى إلي تحقيق الأهداف التي يسعى إليها أي علم آخر. (٦)

أهمية علم النفس

إن دراسة علم النفس تحقق أهدافاً كثيرة تختلف باختلاف الدارسين، فهناك من يدرسه لمعرفة الدلالة السيكولوجية للأحداث التاريخية الكبرى، وهناك من يهتم به للبحث عن حلول لمشاكله الخاصة في الحياة والعمل، وهناك من يدرسه بقصد اكتساب الخبرة التي تؤهله لمساعدة الآخرين، وهناك من يستهدف من وراء دراسته اكتساب القدرة على تفسير السلوك الإنساني المعقد. والواقع أننا جميعاً نحب أن ندرس الناس وأن نفهم دوافعهم وميولهم واتجاهاتهم وسمات شخصياتهم. وعلم النفس من أهم العلوم التي تدرس الناس، فجميع الناس لها تأثير سيكولوجي علينا، كما أننا بدورنا نؤثر تأثيراً سيكولوجياً على غيرنا من الناس. وآباؤنا وأقاربنا ورؤساؤنا وأصدقاؤنا وزملاؤنا يؤثرون فينا، ويعتقد بعض الناس أن علم النفس يدرس السلوك الشاذ أو المنحرف أو الشخصيات الشاذة كمرضي العقول أو النفوس أو الأطفال أصحاب المشكلات والصعوبات النفسية ولكن هذا الاعتقاد يجانبه الصواب لأن علم النفس يهتم بالشخص السوي كاهتمامه بالشخص الشاذ.

ويفيد علم النفس الدارس نفسه، وذلك عن طريق معرفة دوافعه وعواطفه، وميوله، وذكائه وقدراته معرفة موضوعية بعيدة عن الشطحات الذاتية أو عن الميل إلى الحط من قدر نفسه، فالفرد في مرحلة المراهقة مثلاً يبدأ يتساءل عن أصل العالم وعن حدوده وذلك بغية أن يجد لنفسه مكاناً فيه، كذلك يتساءل عن أصل المطلق والمجرد، وعن جوهر الألوهية، وعن المذاهب السياسية والاجتماعية مثل الشيوعية والرأسمالية، وعن الصواب والخطأ، وعن أصل التطور، وعن النسبية ومعناها، وغير ذلك من المشكلات الفلسفية والاجتماعية التي يشعر بها.[٧]

أهداف علم النفس

ماذا يهدف عالم النفس من وراء نشاطه العلمي؟ إنه يهدف في النهاية إلى الوصول إلى المعرفة التي بواسطتها يستطيع أن يفسر العلاقة النظامية بين جملة العوامل الممهدة وبين النواتج التي هي بمثابة السلوك. فالعلم هو كما نعرف نشاط موضوعي موجه للكشف عن العلاقات تحدده وتنظمه قواعد معينة في الملاحظة والكشف والوصول إلى البراهين. وعلم النفس كسائر العلوم يسعي وراء كشف العلاقات النظامية القائمة وراء قانونية السلوك. فالسلوك هو النتاج النهائي الذي تسبقه جملة عوامل تمهد لظهوره، وهذه هي التي تعرف عادة بمسببات السلوك التي قد يختلف العلماء حول عملها وتأثيرها الفعلي على الإنسان الذي تصدر عنه الاستجابة. وهذا الهدف النهائي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال أهداف أصغر هي أيضاً في جملتها أهداف أي علم، إلا وهي الفهم والضبط والتنبوء.

١- الفهم understanding

يتمثل الهدف الأول لعلم النفس بالإجابة على سؤالين (كيف؟ ولماذا؟) يحدث السلوك. إن كل واحد منا يريد أن يعرف كيف تحدث الأشياء

ولماذا تحدث على الشكل الذي تحدث به. ونحن نشعر شعوراً أفضل عندما نستطيع أن نفسر ظاهرة ما. وكثيراً ما قيل أن الفهم عبارة عن الهدف الأساسي للعلم، إلا أن سكنر skinner، عالم النفس الأمريكي المشهور، يقول أن الفهم هو أبسط شئ يمكن أن نحصل عليه، ففي تسميتنا للظواهر أو تحديد مسبباتها نحاول فهم الظاهرة، كأن نقول (يأكل الرجل لأنه جائع) ، (ويدخن لأنه اعتاد على التدخين)، (ويقاتل لأن لديه غريزة المقاتلة)، (ويعزف على العود لأن لديه قدرة موسيقية عليا).

أما وجهة النظر العلمية التحليلية للسلوك فهي تري معني كبيراً في هذه العبارات، وذلك لأنها عبارة عن أوصاف مكرره هي بذاتها بحاجة إلى تفسير. إن خيال الإنسان خصب للغاية، ولذا فإنه قادر على أن يضع قائمة لا متناهية بالأسباب المحتملة للسلوك، ولنفترض أن طفلاً سقط في أحد الأنهار ومات غرقاً. ونفترض أننا سألنا مجموعة من الناس عن الأسباب المحتملة لموت الطفل فإننا من المتوقع أن نسمع إجابات كالتالية كلها تمثل محاولات للفهم:

(١) إن آلهة الأنهار كانت جائعة في ذلك اليوم.
(٢) كان للطفل دافع قوي للإستقلال مما حدى به للمغامرة والابتعاد عن البيت.
(٣) إن فترة شباب والد الطفل كانت لا أخلاقية وأن موت إبنه جاء عقاباً للأب.
(٤) إن دافع الموت عند الطفل أقوي من دافع الحياة.
(٥) إن إحدى العرفات قد حجبت له.
(٦) إن الطفل اختار الموت بحرية تامة وإرادة ذاتية.
(٧) إن لدي ذلك الطفل رغبة لا شعورية في عقاب نفسه.

إن كل هذه العبارات تقدم نوعاً تقدم نوعاً، ولكن، ومن الناحية العلمية، لا يوجد لدينا أساس موضوعي لاختيار ما هو أفضل التفسيرات سابقة الذكر. ولذا فإن الأفكار التي تقدم فهماً حقيقياً للظاهرة يجب أن تكون من نوع يمكن إثباته تجريبياً، ومما لا يمكن نقضه بسهولة عن طريق أفكار أخري.

٢ – التنبوء prediction

يتمثل الهدف الثاني لعلم النفس في الإجابة على الأسئلة متي؟ وماذا؟ إن محك أو معيار الفهم الذي يتبناه العلماء هو التنبوء. ولذا يمكن القول أن أي محاولة لزيادة الفهم تكون ذات قيمة حين تكون نتائج الوصف هي التنبوء الدقيق عن الظاهرة الأصلية. ففي العلم تقيم المفاهيم والنظريات إلى المدي الذي تسمح فيه بإجراء التنبؤات التي لم يكن بالإمكان أن تحدث في غياب هذه المفاهيم أو النظريات.

فعالم النفس عن طريق الدراسة التجريبية يستطيع أن يتنبأ، مثلاً، عن مستوي التحصيل الأكاديمي، للطالب من معرفته بدرجة ذكاء الطالب، وعلى الرغم من أن هذا التنبؤ لا يكون دقيقاً مئة بالمئة، كما هو الحال في العلوم الطبيعية، إلا أنه تنبؤ في الاتجاه الصحيح، وبدرجة معينة من الاحتمالية، ويساعد المربي في تخطيطه واتخاذه للقرارات التربوية.

ولابد هنا من التفريق بين الشعور الذاتي بالفهم من ناحية وبين الدقة التنبؤية من ناحية ثانية. فالشعور بالفهم هو عبارة عن أثر ذاتي يسعي وراءه الكاتب والفنان، وليس العالم، لقد قال أولبورت، كما قال فرويد من قبله، بأن كل الكتاب علماء نفس بالبديهة أو بالحدس، وهذا القول يعكس قدرة هؤلاء الكتاب على فهم الشخصية وسبر أغوارها، وتقديم وصف شامل ودقيق لأكثر الانفعالات والمواقف الإنسانية تعقيداً. وربما أن خير مثال على ذلك هو ما كتبه دستوفسكي، الكاتب الروسي

الشهير في كتابيه الجريمة والعقاب، والمقامر. إلا أن هذا الفهم لم يأت نتيجة التصنيف والقياس للسمات أو الدوافع او العلاقات البنائية للشخصية البشرية.

٣- الضبط control

يعني الضبط في المختبر قدرة العالم في أن يتحكم ببعض العوامل المستقلة، لمعرفة أثرها على العوامل التابعة بالطريقة التي سوف نراها بعد قليل. وهذا يستدعي بالضرورة ضبط بعض خصائص العالم الخارجي خارج المختبر وبعض الخصائص المتعلقة بالفرد موضوع الدراسة. إن ضبط العوامل هو الذي يميز العالم عن الإنسان العادي. فالعالم لا يصدر أحكامه إلا بعد عدد من الملاحظات المضبوطة تسمح له بإصدار حكم فيه درجة من التعميم.[٨]

مدارس علم النفس

المدرسة البنائية

في عام ١٨٧٩ اسس وليام فونت William wundt ومن علماء الفسيولوجيا الألمان علم النفس كعلم مستقل وذلك بإنشاء أول معمل تجريبي لعلم النفس. وأجري دراسات مبكرة على ظواهر الإحساس والتخيل. وبعد قليل ظهرت معامل أخري لعلم النفس في أوروبا وأمريكا.

ولقد أطلق على فونت وأتباعه أنصار المدرسة البنائية أو البنائيين، ذلك لأنهم كانوا يدعون أن الخبرات العقلية المعقدة ما هي إلا تركيبات مكونة من حالات عقلية بسيطة مثل المركبات الكيماوية التي تتكون من عناصر كيماوية بسيطة. وافترضوا أنه من وظائف االسيكولوجي أن يدرس تراكيب الوعي أو الشعور وأن يضع القوانين التي تشرح تكوينه. أما منهج البنائية فكان عبارة عن الحليل الاستبطاني أي تحليل الخبرات الشعورية عن طريق الاستبطان.

المدرسة الوظيفية

في حوالي عام ١٩٨٨ نشأت مدرسة من مدارس علم النفس أسسها بعض العلماء الذين لم يرضوا عن اتجاه البنائية في التوكيد على الحالات العقلية، فبدلاً من التساؤل كما فعل البنائيون ما هو الشعور؟

اهتم أنصار المدرسة الوظيفية بسؤال آخر: هو لماذا يوجد الشعور؟ أي ما هي أغراضه أو أهدافه أو وظائفه؟، ونظراً لأنهم أرادوا معرفة كيفية استخدام الناس للخبرة العقلية في التكيف مع البيئة، فقد أطلق عليهم اسم (الوظيفيين). ومن قادة المدرسة الوظيفية وليام جيمس William James وجيمس أنجيل games angell وفي الواقع أرادوا أن يركزوا انتباههم على دراسة عملية التعلم learning process كذلك كان من أشهر زعمائها جون ديوي john dewey الفيلسوف والتربوي الأمريكي الشهير.

مدرسة التحليل النفسي

في أوائل الفترة من سنة ١٩٠٠، عندما انفصلت المدرسة الوظيفية عن المدرسة البنائية شهدت أيضاً هذه الفترة تأسيس مدرسة سيكولوجية أخري هي مدرسة التحليل النفسي والتنويم المغناطيسي ولقد قاد حركة التحليل النفسي عالم النفس السويسري سيجمند فرويد وركز اهتمامه على العمليات العقلية اللاشعورية. ولقد كان فرويد رجلاً من رجال الطب ومن المتخصصين في الطب العقلي وفي الأعصاب، وكان يهتم في المحل الأول بفهم وعلاج الاضطرابات العقلية، ولم يكن لديه إلا اهتمام قليل جداً بالمشاكل التقليدية الأكاديمية في علم النفس مثل طبيعة الإحساس أو الإدراك أو التفكير أو الذكاء. ولذلك أهمل فرويد مشكلة الشعور ووجه جهوده نحو فهم ووصف ما أسماه اللاشعور، وفي نظره كان هذا الجزء من الحياة العقلية لايمكن سبر أغواره أو ارتياد مجاهله بمناهج علم النفس السائدة في أيامه أي منهج الاستبطان أو منهج التجريب المعملي . وتبعاً لفرويد

أصبح علينا أن نبحث عن المصادر الأولية للصراعات والاضطرابات العقلية في أعماق اللاشعور. فاللاشعور هو مستودع الآمال والآلام والرغبات المكبوتة التي تؤدي إلى ظهور الاضطرابات العقلية ومن أجل ذلك أي من أجل دراسة ظاهرة اللاشعور ابتكر فرويد منهجاً خاصاً هو منهج التحليل النفسي، ويقوم هذا المنهج على أساس تفسير أفكار المريض تلك الأفكار التي تنساب انسياباً حراً بفعل التداعي الحر ، وكذلك عن طريق تحليل أحلام المريض. هذه النظرية كانت تمثل في وقتها خروجاً في علم النفس على المضمون والمنهج السائدين في وقته. وعبر السنين جذب منهج التحليل النفسي كثيراً من الأنصار والمؤيدين. كما خلق كثيراً من الأعداء والمعارضين، وأدي ذلك إلى حدوث كثير من الأعداء والمعارضين، وأدي ذلك إلى حدوث كثير من التطوير والتعديل في هذا المنهج.

المدرسة السلوكية

في خلال الحرب العالمية الأولي (من ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨) ظهر مجموعة من علماء النفس في أمريكا أطلقوا على أنفسهم اسم السلوكيين، وكانت السلوكية كمدرسة التحليل النفسي لا تهتم بالشعور، وكانت تتشكك في قيمته، ولقد كان من أشهر روادها جون واطسون john Watson وكان اهتمامه الأساسي بإجراء التجارب على الحيوانات ولم يكن للمناهج المعروفة في عهده أي فائدة في هذا النوع من التجريب فلم يكن الشعور أو الاستبطان أو اللاشعور من المناهج ذات القيمة العملية بالنسبة للتجارب التي تجرى على الحيوان تلك التجارب التي اهتم بها واطسون، وبطبيعة الحال كان أول ما يلاحظه المجرب هو السلوك أي سلوك الحيوان، وكانت فكرة السلوك هي أهم فكرة عند السلوكي لأنه موضوعي ويستبعد الذاتية المتضمنة في دراسة الشعور والاستبطان والتداعي الحر من اللاشعور، نقل السلوكيون هذا المنهج التجريبي من دراسة

سلوك الحيوان إلى دراسة سلوك الإنسان. ولقد اعتمد السلوكيين اعتماداً كبيراً على الفسيولوجيا أي علم وظائف الأعضاء ولذلك كانت أعظم اضافاتهم لعلم النفس هي دراستهم للإستجابات الشرطية، وعلي الرغم من أن آراء السلوكية قابلت بعد ذلك كثيراً من التحدي والنقد إلا أن اتجاهها الموضوعي ، انتقل إلي علم النفس المعاصر، وخاصة في أعمال كلارك هل clark hull وادوارد تولمان Edward tolman وغيرهما.

مدرسة الجشطالت:

في أثناء الحرب العالمية الأولي أجرى أحد العلماء الألمان واسمه ولفانج كهلر ، عدة تجارب على عملية التعلم عند القردة ولقد اقنعته هذه التجارب بأهمية عملية الاستبصار في عملية التعلم. فالتعلم في نظره يتم عن طريق الاستبصار أي الفهم العام لعناصر الموقف الذي يوجد فيه الكائن الحي. فأيدت تجارب كهلر نظرية رجل آخر يدعي ماكس ورذيمر أن الخبرة ككل تعتبر أكثر أهمية من عناصرها أو أجزائها في تحديد معناها. فالكل له معاني أكثر من مجرد تجميع معاني أجزائه جزءاً جزءاً. ومدرسة الجشطالت استمدت اسمها gestalt school من كلمة ألمانية معناها الصيغة ، والصيغة في مدركاتنا الحسية تتكون من شكل وأرضية بحيث يكون الشكل قوياً وبارزاً وواضحاً، أما الأرضية فتكون أقل بروزاً ووضوحاً. ومن أمثلة الصيغ الصورة أو اللوحة المرسومة او الرسم على القماش حيث تمثل الزهور أو الزخارف الشكل ويمثل القماش وما يوجد به من فراغات غير مرسومة الأرضية. [٩]

مجالات علم النفس

يمكن تلخيص أهم مجالات علم النفس فيما يلي:

١- علم النفس العام general psychology

وهو ذلك الفرع من فروع علم النفس الذي يهدف إلي الكشف عن المبادئ والأسس والقوانين العامة التي تفسر السلوك بعامة، والسلوك الإنساني بخاصة، فهو يدرس دوافع السلوك والتعلم والتذكر والإدراك والتفكير والذكاء والشخصية.

٢- علم النفس الكلينيكي clinical psychology

وهو ذلك الفرع من فروع علم النفس الذي يدرس الاضطرابات الانفعالية والفكرية للأفراد بغرض تشخيصها وعلاجها.

٣- علم النفس المقارن comparative psychology

هو ذلك الفرع من فروع علم النفس الذي يدرس سلوك مختلف الأنواع من الكائنات الحية، وقد تشمل هذه الدراسة سلوك النباتات، بغرض دراسة أوجه الشبه والاختلاف في السلوك بين مختلف أنواع الكائنات الحية.

٤- علم النفس الفسيولوجي physiological psychology

وهو دراسة الأساس الفسيولوجي للسلوك والحياة العقلية والوجدانية أو دراسة دور أعضاء الجسم المختلفة في السلوك بأنواعه المختلفة.

٥- علم نفس النمو developmental psychology

هو ذلك الفرع الذي يهدف إلى دراسة مراحل نمو الكائنات الحية، والعوامل التي تؤثر فيها، والخصائص العامة التي تميز كل مرحلة من مراحل النمو، ومطالب النمو في كل مرحلة عمرية، بالاضافة إلى القوانين والمبادئ التي تحكم النمو.

٦- **القياس النفسي psychological measurement**

هو التقدير الكمي للظواهر النفسية المختلفة ويستخدم القياس النفسي في دراسة النواحي الحركية، والمعرفية، والوجدانية والنمائية المختلفة والمعالجة الإحصائية لنتائج هذه الدراسة ويطلق علي فرع القياس النفسي المرتبطة بالنواحي العقلية أو المعرفية فقط اسم القياس العقلي psychometry.

٧- **علم النفس الإرشادي counseling psychology**

هو ذلك الفرع من فروع علم النفس الذي يختص بدراسة فنيات حل مشكلات الأفراد الأسوياء الذين يشعرون بحاجة إلى مساعدة عند اتخاذ قرارات تربوية أو مهنية أو عملية، ويعتمد الإرشاد على الاتصال المباشر بين الشخص الذي يعاني من مشكلة (المسترشد) والشخص الخبير الذي يعاون المسترشد على حل المشكلات التي تواجه (المرشد) بحيث يتم هذا الاتصال عن طريق التقبل المتبادل بينهما.

٨- **علم النفس الفارق individualized psychology**

يهدف إلى دراسة الفروق القائمة بين الأفراد والجماعات في القدرات، والاستعدادات والميول، والاتجاهات والقيم، كما يدرس أسباب تلك الفروق والعوامل المؤثرة فيها وذلك باستخدام وسائل القياس النفسي والتربوي المختلفة.

٩- **علم نفس الشواذ abnormal psychology**

يهدف إلى دراسة الأسس النفسية العامة للسلوك الشاذ ويعمل على التعرف على أسباب حدوث هذا السلوك الشاذ. ويتضمن هذا الفرع من فروع علم النفس دراسة المعوقين جسمياً وعقلياً واجتماعياً، ودراسة الموهوبين والعباقرة أيضاً. كما يدرس هذا الفرع شذوذ الظواهر العقلية والسلوكية بهدف التعرف على أسبابها وعلاجها.

١٠- علم نفس الحيوان zoo psychology

يهدف إلى دراسة الأسس النفسية لسلوك الحيوان بغرض دراسته وتفسيره، ويرجع الاهتمام بدراسة سلوك الحيوان إلى أن من السهل إجراء التجارب العملية عليه. وهذه التجارب تفيد في مجالات التعلم والدافعية.

١١- علم النفس الصناعي industrial psychology

ويهدف إلى تطبيق مبادئ علم النفس في ميدان الصناعة لزيادة الكفاية الانتاجية للعمال. ويقوم هذا الفرع من فروع علم النفس بدراسة الشروط النفسية والمادية للمصانع بالإضافة إلى تدريب العمال وأعداد المدربين.

١٢- علم النفس الهندسي engineering psychology

وهو علم جديد قد يعني الهندسة البشرية أو علم الحركة الإنسانية. وهو علم يهتم بتدريب الأفراد ودراسة دوافعهم، وطرق العمل وبنيته والتصميم الهندسي لأدوات العمل المناسبة للإنسان، بالإضافة إلى دراسة تصميم السلع الاستهلاكية.

١٣- علم النفس الصيدلي psychopharmacology

وهو دراسة التأثيرات النفسية للعقاقير، وهو علم حديث يتسم بالصعوبة ومن أهم دراسات هذا الفرع تأثيرات العقاقير على المرضي بالذهان. بالإضافة إلى دراسة أثر استخدام العقاقير في علاج الاضطرابات النفسية المختلفة.

١٤- علم النفس التجاري commercial psychology

يهتم هذا الفرع بدراسة دوافع وحاجات المستهلكين الشرائية، كما يدرس هذا الفرع أيضاً فن الإعلان وطرق معاملة الزبائن والعوامل النفسية التي تؤثر على المشتري والمستهلك.

١٥- علم النفس الحربي war psychology

وهذا الفرع يستخدم مبادئ وقوانين علم النفس في مجال القوات المسلحة لزيادة كفاءتها باستخدام الاختبارات النفسية لاختيار أصلح الجنود والضباط توزيعهم على الوحدات العسكرية المختلفة بما يتناسب وقدراتهم واستعداداتهم وخصائصهم الشخصية. ويهتم هذا الفرع أيضاً بمحاربة الإشاعات والدعايات الضارة، ومقاومة الحرب النفسية وطرق مواجهة المواقف المفاجئة بالإضافة إلى تطبيق مبادئ التعلم على برامج التدريب العسكري لضمان نجاح هذه البرامج وتحقيق أهدافها.

١٦- علم النفس الجنائي criminal psychology

ويهتم هذا الفرع بدراسة العوامل والدوافع المختلفة التي تؤدي إلى حدوث الجريمة واقتراح أفضل الأساليب لعقاب المجرم وعلاجه أو إصلاحه.

١٧- علم النفس الاجتماعي social psychology

ويهدف إلى دراسة سلوك الأفراد والجماعات في المواقف الاجتماعية المختلفة، بمعني دراسة أنماط التفاعل الاجتماعي المختلفة أي التأثير المتبادل بين الأفراد والجماعات بعضهم البعض.

كما يهتم بالمشكلات الاجتماعية وآثارها على السلوك الإنساني، بالإضافة إلى دراسة الرأي العام والدعاية والزعامة والقيادة بالإضافة إلى دراسة العوامل المرتبطة بالسلوك غير السوي. ووسائل تعديله.

١٨- علم النفس الرياضي sport psychology

وهو أحد فروع علم النفس التربوي الذي يهتم بدراسة سلوك الرياضيين، مثل سلوك المنافسة والتعاون وقيادة الفرق الرياضية وأساليب تدريب اللاعبين.

**١٩-	علم نفس الخوارق para psychology**

وهو أحد فروع علم النفس الحديثة التي يبحث في الظواهر النفسية الخارقة مثل القيام بأعمال لا يستطيع القيام بها أي كائن بشري أو معرفة أحداث ووقائع لا يستطيع أي كائن بشري آخر معرفتها أو رؤيتها.

**٢٠-	علم النفس البيئي environmental psychology**

يعد علم النفس البيئي أحد الفروع الحديثة والهامة لعلم النفس، حيث ازداد اهتمام علماء النفس بدراسة الآثار المترتبة على التغيرات البيئية على السلوك الإنساني بعد أن حدثت تغيرات سريعة في البيئة. (١٠)

**٢١-	علم النفس التجريبي experimental psychology**

يعمل المشتغلون في هذا المجال على دراسة الإنسان والحيوان في المختبر باستخدام الطريقة التجريبية ووسائل للضبط تعتبر في غاية الدقة. وعلى الرغم من أنهم ليسوا الوحيدين من علماء النفس الذين يستخدمون الطريقة التجريبية، إلا أنهم هم هؤلاء النفر من المشتغلين في علم النفس اللذين يهتمون بدراسة طبيعة استجابات الأفراد للمثيرات الحسية وطبيعة الإدراك والتعلم والتذكر ضمن موقف تجريبي مضبوط بحيث يمكن من خلاله التحكم في عامل واحد أو جملة عوامل لقياس تأثيره أو تأثيرها على طبيعة استجابة الفرد. ويتعدي اهتمام هؤلاء العلماء بسلوك الإنسان إلى سلوك الحيوان للإعتقاد بأن دراسة الحيوان تلقي ضوءاً كبيراً على سلوك الإنسان. ناهيك عن أن الحيوانات متوفرة بكثرة من أجل الدراسة والتجريب.

**٢٢-	علم النفس التربوي والمدرسي school educational psychology**

يعمل المشتغلون في هذا الميدان على دراسة المشكلات المتعلقة بسلوك التعلم والتعليم والمشكلات النمائية التي تظهر في المدرسة كتأخر القراءة

والكتابة وبطء التعلم والمشكلات الانفعالية المصاحبة لذلك. وغالباً ما يكون لدي المشتغل في هذا الميدان خلفية في علم النفس الإكلينكي وعلم النفس التطوري معاً. وعلى الرغم من أن عالم النفس التربوي يمكن أن يعمل في تقييم عملية التعلم والتعليم في ميدان التعليم الرسمي، إلا أنه غالباً ما يعمل في الجامعات في مجال إعداد كوادر المعلمين المتخصصين للتعليم في المراحل المختلفة، وفي مجال إجراء الأبحاث حول سلوك التعلم والتعليم، وإعطاء الاختبارات وتحليلها، وتخطيط برامج مساعدة الأطفال في البيت والمدرسة ومساعدة المعلمين في حل مشكلاتهم الصفية.[١١]

***علاقة علم النفس بالعلوم الأخرى:-**

هناك صلة وثيقة تربط علم النفس بطريقة مباشرة واحياناً غيرمباشرة بمختلف علوم المعرفة الطبيعية منها والاجتماعية والانسانية ومنها:-

١-علم النفس وعلم الوراثة

يساعد علم الوراثة على التعرف على ماضي الفرد واثره في حاضره ومستقبله فلا شك ان سلوك الفرد يتوقف ويتأثر الى حد ما على ما ورثه من الاباء والاجداد وهذ يتطلب دراسة العوامل الوراثية للمجتمع والبيئة التي يعيش فيها فالعمليات العقلية والحالات الانفعالية كلها استعدادات وراثية فطرية عامة ولاشك ان سلوك افراد المجتمع هي نتاج وراثة هذه العمليات والانفعالات .

٢-علم النفس وعلم الطب والتشريح

لامجال لدارسة النفس الا بالتعرف على الجسم واخذه بعين الاعتبار فمن الملاحظ ان الجسم الصحيح ينتج عنه افعالاً نفسية صحيحة بينما يميل المرض الى اظهار النفس بمظهراخر ان علم النفس يقول اليوم بوحدة النفس والجسم وبتعاونهما معاً في اصدار السلوك ،ويؤكدعلى انه لابد في دراسة

النفس من خلال الجسم والتعرف على الحواس المختلفة والجهازالعصبي والجهاز الغدي مما يلقي الضوء على الظاهرة السلوكية.

٣-علم النفس وعلم الاجتماع

ان علم النفس يهتم بكثير من المشاكل التي يبحثها علم الاجتماع ويساهم مساهمة فعالة في خدمة المجتمع ، فمثلاً بحوث علم النفس في الاحساس والادراك والتذكر والتفكير والانفعالات لدى افراد المجتمع ويبحث كذلك في تكوين الاسرة والنظم الاجتماعية واساليب تفاعل وتكوين الجماعات وما يحدث فيها من عقائد وعادات وتقاليد وكل هذه الامور لها اثر العامل النفسي للفرد ومن هنا نشأ فرع خاص في علم النفس هو علم النفس الاجتماعي وهو علم قائم على اساس المزاوجة بين علم النفس وعلم الاجتماع .

٤-علم النفس وعلم التربية

هناك ارتباط وثيق بين علم النفس وعلم التربية فقد نشأ فرع علم النفس التربوي بهدف تطبيق المفاهيم السيكولوجية في ميدان التربية ان تطبيق هذه المفاهيم في التربية هي قلب للتربية القديمة راساً على عقب فتركت الفلسفة التربوية القديمة واخذت بفلسفة سيكولوجية جديدة غايتها بالافراد كل حسب طاقاته وامكانياته واستعداداته ووظيفة المدرسة فيها اصبحت تمهد الطريق للتلميذ لكي ينمو نمواً متكامل الجوانب وجعلت النظام المدرسي قائم على الحرية والتعاون بعد ان كان قائماً على الضغط والكبت كما اصبح الاهتمام بالنشاط الذاتي للتلميذ وفاعليته في العملية التربوية بعد ان كان منصباً على الطريقة التقليدية التي تعتمد على السلبية المطلقة من جانب التلميذ واهتمامها بالحفظ والتلقين وخلاصة ماتهدف اليه التربية الحديثة هو ضرورة أعتماد التربية على الدراسات السيكولوجية للتلاميذ في الحقل التربوي.

٥–علم النفس وعلوم الدين

وهناك صلة اكثر ارتباطاً بين علم النفس وعلوم الدين بتعاليمه وقوانينه وشرائعه السماوية ،فقد قدم لنا القران الكريم امثلة ومسميات لكل حالة نفسية يمر بها الانسان خلال قوة وضعف التزامه بتعاليم الدين ومنها النفس الامارة بالسوء عندما يكون الانسان رهين شهواته النفسية وعلى العكس من ذلك اذا كان الانسان مهذب لنفسه وعلى علاقة قوية بالله وملتزم بتعاليمه واوامره سميت نفسه بالنفس الراضية والمطمئنة وكذلك قدمت لنا السنة الشريفة والتراث الاسلامي امثلة عن معرفة الانسان نفسه وهي اعظم المعرفة فمن خلال هذه المعرفة يعرف ربه وعظمته ويعرف كيف يتعامل مع ابناء جنسه ومن امثلة تلك الاحاديث: (اعظم المعرفة معرفة الانسان نفسه)(من عرف نفسه عرف ربه)(عجبت لمن لايعرف نفسه كيف غيره) وغيرها من الروايات والاحاديث التي توكد على معرفة النفس .[١٢]

مناهج البحث في علم النفس

مناهج البحث في علم النفس:

هناك نوعان من المعلومات في علم النفس :

- علم النفس الدارج .
- علم النفس العلمي .

علم النفس الدارج :

يستنبط الإنسان من خلال تجارب حياته ومخالطته للناس الكثير من المعلومات عن طبائعهم وتصرفاتهم ..ويستخدمها في التعامل معهم .لكن هذه المعلومات ليست علما حقيقيا لأن الناس يستنبطونها على أساس التخمين والظن فهي معرضة للأخطاء بشكل واضح .

علم النفس العلمي :

الذي يميز علم النفس العلمي عن علم النفس الدارج هو منهج البحث العلمي الذي يؤدي للوصول إلى الحقائق والتأكد من صحتها .

خطوات البحث العلمي :

١ – تحديد المشكلة وصياغتها في شكل سؤال أو عبارة واضحة موضوعية

٢ – جمع المعلومات عنها ،ومراجعة الدراسات السابقة .

٣ – وضع الفروض التي تفسر المشكلة

٤ – اختبار صحة الفروض

٥ – الوصول إلى النتائج ومناقشتها

يختار الباحث منهج البحث الذي يتبعه : لمزاياه الخاصة ،ولملاءمته للمشكلة التي يدرسها .

هناك ثلاثة أنواع رئيسية لمناهج البحث :

١ – المنهج التجريبي

٢ – المنهج المسحي أو الميداني

٣ – المنهج الإكلينيكي

المنهج التجريبي :

المنهج التجريبي أدق مناهج البحث في علم النفس .

خصائص المنهج التجريبي :

١– التناول أو التغيير المنظم للمتغيرات .

٢– الضبط

٣- إمكانية التكرار

١ – التناول :

المتغير : هو ما تتغير قيمته أو كميته ويمكن قياسه (مثل : الضوء – السلوك)

المتغير المستقل : هو المتغير الذي يقوم المجرب بتغييره بطريقة منظمة في التجربة .

المتغير التابع : هو المتغير الذي يقيسه المجرب كي يرى كيف تأثر بالتغيير الذي جرى على المتغير المستقل .

المجموعة التجريبية : هي المجموعة التي يقدم لها المتغير المستقل .

المجموعة الضابطة : هي المجموعة التي يقاس فيها المتغير التابع دون تقديم متغير مستقل . وهي تفيدنا بأساس يمكن المقارنة بينه وبين المجموعة التجريبية لمعرفة أثر المتغير المستقل على المتغير التابع .

يجب أن يوجد في كل تجربة على الأقل متغير مستقل ومتغير تابع ،غير أن الطرق الإحصائية جعلت من الممكن أن تتضمن التجربة أكثر من متغير مستقل .

٢ – الضبط :

الضبط : هو ضبط المتغيرات المختلفة في التجربة بحيث لا يسمح لمتغير عدا المتغير المستقل التأثير في المتغير التابع .

هناك طريقتان لضبط المتغيرات :

الطريقة الأولى : استخدام المجموعات الضابطة لمقارنة سلوك أفرادها بسلوك أفراد المجموعات التجريبية .

الطريقة الثانية : التصميم التجريبي قبل و بعد : وفيه يقوم بالمقارنة بين سلوك نفس المجموعة من الأفراد قبل تقديم المتغير المستقل لهم وبعد تقديمه .

ضبط المتغيرات أمر شاق من ناحيتين :

– قد يكون من الصعب في بعض الحالات معرفة جميع المتغيرات الهامة .

– قد يكون من الصعب في بعض الأحيان جعل هذه المتغيرات متماثلة بين المجموعة التجريبية والضابطة .

يلجأ العلماء لعدة طرق لضبط المتغيرات بين المجموعة التجريبية والضابطة :

١ – طريقة الأزواج المتماثلة :

يقوم المجرب بتطبيق اختبار معين الذكاء مثلا على مجموعة كبيرة من الناس ثم يكون أزواجا متماثلة بحيث يضع كل فردين لهم نفس الدرجة في زوج ،وأخيرا يقسم الأزواج بين المجموعتين التجريبية والضابطة ،فيكون أحد فردي أي زوج في المجموعة التجريبية والفرد الآخر في هذا الزوج في المجموعة الضابطة .

ويعاب على هذه الطريقة حاجة المجرب لتطبيق الاختبار على عدد كبير من الناس للوصول للأزواج المتماثلة .

٢ – طريقة المجموعتين المتماثلتين :

يراعي المجرب أن تكون المتوسطات ومدى التشتت للمتغيرات الهامة واحدة في المجموعتين التجريبية والضابطة .

٣ – طريقة المجموعتين العشوائيتين :

عندما يقوم المجرب باختيار مجموعتين عشوائيتين ففي العادة ستكونان متماثلتين لأن الفروق بين الأفراد في المتغيرات الهامة سيلغي بعضها بعضا ،وبذلك لن تكون الفروق بين المجموعتين ذات دلالة إحصائية .

٣ – إمكانية التكرار :

– إن إمكانية إعادة التجربة تحت نفس الظروف تمكن الباحث أو غيره من الباحثين من التأكد من صحة النتائج .

– كما أنها تمكن الباحثين من إعادة التجربة لإجراء بعض الملاحظات بدلا من انتظار حدوثها لوقت طويل.

عيوب المنهج التجريبي :

- لا يمكن استخدامه في جميع أنواع السلوك ،وخاصة إذا كان في التجربة ضرر على الأفراد .
- الظروف الاصطناعية التي تحدث فيها التجربة تختلف في بعض النواحي عن الظروف الطبيعية فالموقف التجريبي مثلا يؤثر على سلوك الأفراد ،وهذا الأمر يجب أن يؤخذ في عين الاعتبار عند تفسير النتائج أو تعميمها .

٢ – المناهج المسحية والميدانية :

أهم مزاياه أنه :

– يمكن الباحثين من ملاحظة السلوك كما هو في المواقف الطبيعية .

– ويستطيع دراسة موضوعات لا يستطيع المنهج التجريبي دراستها .

الوسائل المستخدمة في المنهج المسحي والميداني :

الملاحظة :

– فيها تتم ملاحظة السلوك في الظروف الطبيعية خلال فترات محددة لمدة معينة من الزمن .

– قد يقوم أكثر من باحث بالملاحظة للتأكد من ثبات الملاحظة والتقليل من أخطاء التحيز .

– تسمى الملاحظة طويلة الزمن لتتبع ظاهرة معينة لمعرفة مراحل نموها بالمنهج التتبعي وهو كثير الاستخدام في علم نفس الطفل وعلم نفس النمو .

المقابلة أو الاستخبار :

المقابلة : حديث بين الباحث والمفحوص يوجه فيه الباحث أسئلة معينة لجمع بيانات حول الموضوع الذي يبحثه .

الاستخبار : أسئلة مكتوبة معدة من قبل حول موضوع معين تقدم للمفحوص للإجابة عنها .

تستخدم هاتان الوسيلتان بكثرة في معرفة الرأي العام واتجاهات الناس .

يجب الاهتمام بأمرين :

١ – دقة تمثيل عينة الأفراد الذين تجمع منهم البيانات للمجتمع المراد دراسته .

٢ – دقة الأسئلة وعدم تحيزها .

يستخدم العلماء عدة وسائل إحصائية للتأكد من صدق وثبات المقابلة أو الاستخبار .

الاختبارات :

– تستخدم لدراسة الفروق بين الجماعات أو السلالات .

- لا بد من التأكد من صدقها وثباتها .

الدراسات الارتباطية (دراسة العلاقة بين متغيرين) :

الفرق بين المنهج التجريبي والمنهج المسحي في دراسة العلاقة بين متغيرين :

المنهج التجريبي	المنهج المسحي
يتحكم الباحث في المتغير المستقل ويلاحظ ما يحدث في المتغير التابع - يحدد أي المتغير هو السبب وأيهما النتيجة	يلاحظ الباحث العلاقة بين المتغيرين كما هما موجودان في الطبيعة ويحاول أن يحدد هذه العلاقة بالأساليب الارتباطية - لا يمكن من خلاله معرفة أي التغيرين السبب وأيهما النتيجة

٣ - المنهج الإكلينيكي (دراسة الحالة):

- هو المنهج الذي يستخدمه المختص النفسي في دراسة المشكلات الشخصية للأفراد الذين يزورون العيادة النفسية.

- يجمع بيانات تفصيلية عن تاريخ حياة الفرد وظروف تنشئته وعلاقاته عن طريق مقابلة الفرد أو من تربطهم علاقة به ومن خلال الاختبارات النفسية .

- من خلال البيانات يتم تشخيص المشكلة ووضع البرنامج لعلاجها .

- استخدمت دراسة الحالة في دراسة السلوك الشاذ والشخصية الشاذة ،فهي تفيد في معرفة أسبابها والطرق الفنية في المقابلة الإكلينيكية وطرق العلاج .

- من خلال هذا المنهج وضع فرويد نظريته عن الشخصية ،ووضح دور الصراع اللاشعوري في توجيه سلوك الأفراد ،وأهمية الأحلام في التعبير عن الرغبات ،وأهمية السنوات الخمس الأولى في حياة الطفل في توافقه فيما بعد .

مزايا المقابلة الإكلينيكية :

١ – تساعد على ملاحظة الفرد ككل لفترة طويلة مما يساعد على الكشف عن ظروف أثرت في شخصيته يصعب الكشف عنها بغير هذه الطريقة .

٢ – تعتبر مصدر هاما لتكوين الفروض التي يتم التحقق منها فيما بعد بطرق أخرى .

عيوب المقابلة الإكلينيكية :

١– المعلومات التي تمدنا بها تفتقر للدقة والضبط .

٢– تتأثر المعلومات بذاتية الباحث .

٣– من الصعب فيها معرفة السبب والنتيجة في السلوك الملاحظ . [١٣]

الفصل الرابع

علم نفس النمو

الخصائص والنماذج النظرية



تعريف علم نفس النمو:

علم نفس النمو هو فرع علم النفس الذي يهتم بدراسة التغيرات التي تطرأ على السلوك الأنساني من المهد – بل وقبلة – إلى اللحد.

وهذه التغيرات شاملة بمعنى إنها تحدث للكائن في كل الجوانب ، وأن كانت لا تحدث بسرعة واحدة أو بمعدل واحد في كل جانب من جوانب شخصية الفرد.

التغيرات التي تطرأ على السلوك الإنساني:

١) التغير في الحجم أو في الكم:

ويعنى أن التغير يشمل حجم الأعضاء أو كم الوحدات ، ففي الجانب الجسمي نجد أن حجم الجسم ككل يزيد ويكبر ، كما أن حجم كل عضو على حدة يزيد أيضا ، ينطبق هذا على الأعضاء الخارجية ، كما ينطبق على الأعضاء الداخلية كالقلب والمعدة والبنكرياس. كذلك يظهر هذا النوع من التغير في زيادة عدد الوحدات في بعض الجوانب مثل عدد الخطوات التي يستطيع الوليد أن يمشيها قبل أن يقع على الأرض عند تعلمه المشي، وعدد الكلمات الصحيحة التي ينطقها عند تعلمه الكلام.

٢) التغير في النسب:

لا يقتصر التغير في النمو على الحجم أو كم الوحدات وإنما يشمل أيضا النسبة التي يحدث بها التغير ، فالتغير لا يحدث بنسبة واحدة في كل الأعضاء ، بل يحدث تغير في النسب بمعنى أن أجزاء في الجسم مثلا تنمو بنسبة أكبر مما تنمو أجزاء أخرى ، فالنسب الموجودة بين أعضاء جسم الطفل عند الميلاد لا تبقى كما هي مع النمو ، فالطفل يولد ورأسه تقارب ربع طول جسمه ، ولكنها عند الرشد لا تزيد عن الثمن.

٣) التغير من العام إلى الخاص:

التغيرات تسير أحيانا من العام إلى الخاص ومن المجمل إلى المفصل . كما تسير في الاتجاه المضاد أحيانا أخرى ، فالتغيرات تتجه من العام إلى

الخاص عندما يستجيب الكائن الحي للمواقف استجابة عامة بكليته ، ثم تبدأ أعضاء معينة أو وظائف خاصة في العمل ، فالطفل يحاول أن يميل بجسمه كله ليلتقط شيئا أمامه ثم يتعلم بعد ذلك كيف يحرك يديه فقط ، ويكون مشى الطفل في البداية حركة غير منتظمة لكل أجزاء جسمه وبعدها يأخذ شكلا متسقا لحركة اليدين والرجلين . والنمو لا يتجه من العام إلى الخاص فقط بل أن هناك حركة عكسية في الاتجاه المضاد تشملها عملية النمو . وهى تكوين وحدات اكبر أو سلوك أعم من الاستجابات الجزئية النوعية أو المتخصصة ، ويحدث ذلك عند تعميم استجابة الخوف من مثيرات معينة إلى كل المثيرات التي ترتبط بالمثيرات الأصلية.

٤) التغير كاختفاء خصائص قديمة وظهور خصائص جديدة:

التغير في النمو لا يقتصر على التغير في الحجم أو في النسبة ولكنة يشمل أيضا اختفاء خصائص قديمة وظهور خصائص جديدة ، ويحدث هذا عندما ينتقل الطفل من مرحلة من مراحل النمو إلى المرحلة التي تليها ، وتكون هذه الخاصية القديمة من خصائص المرحلة إلى انتقل منها الطفل ، ولذا تميل إلى التناقص حتى تختفي ، بينما تبدأ الخصائص الجديدة والتي تنتمي إلى المرحلة الجديدة التي انتقل إليها وتأخذ في الظهور. مثال ذلك ، ما يحدث عند انتقال الطفل من مرحلة الطفولة المتأخرة إلى مرحلة المراهقة ، ويبدو ذلك في ضمور الغدتين التيموسية والصنوبرية ، في أواخر مرحلة الطفولة المتأخرة ، وفى الوقت نفسه تبدأ الخصائص الجديدة في الظهور ممثلة في نضج الغدد الجنسية وبدئها للإفراز. ويعتبر بداية إفراز الغدد الجنسية ، وهو ظاهرة البلوغ الجنسي ، بداية مرحلة المراهقة.

موضوع علم نفس النمو:

النمو الإنساني ارض مشتركة لعدد من العلوم الإنسانية الاجتماعية والبيولوجية الفيزيائية، وتشمل علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجية وعلم

الأجنة وعلم الوراثة وعلم الطب ، إلا أن علم النفس يقف بين هذه العلوم بتميزه الواضح في تناول هذه الظاهرة وأنشأ فرعا منة يختص بدراستها هو علم نفس النمو.

ولقد ظهر هذا العلم في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان تركيزه على فترات عمرية خاصة وظل على هذا النحو لعقود طويلة متتابعة وكانت الاهتمامات المبكرة مقتصرة على أطفال المدارس ، ثم أمتد الاهتمام إلى سنوات ما قبل المدرسة ، وبعد ذلك إلى سن المهد (الوليد والرضيع) ، فإلى مرحلة الجنين مرحلة ما قبل الولادة.

وبعد الحرب العالمية الأولى بقليل بدأت البحوث حول المراهقة في الظهور والذيوع ، وخلال فترة ما بين الحربين ظهرت بعض الدراسات حول الرشد المبكر، إلا أنها لم تتناول النمو في هذه المرحلة بالمعنى المعتاد ، بل ركزت على قضايا معينة مثل ذكاء الراشدين وسمات شخصياتهم.

ومنذ الحرب العالمية الثانية ازداد الاهتمام التدريجي بالرشد ، وخاصة مع زيادة الاهتمام بحركة تعليم الكبار ، أما الاهتمام بالمسنين فلم يظهر بشكل واضح إلا منذ مطلع الستينات من هذا القرن ، وكان السبب في ذلك الزيادة السريعة في عددهم ونسبتهم في الإحصاءات السكانية العامة ، وما تتطلب ذلك من دراسة لمشكلاتهم وتحديد أنواع الخدمات التي يجب أن توجه إليهم

ومن الدوافع الهامة التي وجهت البحث في علم نفس النمو الضرورات العملية ، والرغبة في حل المشكلات التي يعانى منها الأفراد في مرحلة عمرية معينة ، ، ومن ذلك أن بحوث الطفولة بدأت في أصلها للتغلب على الصعوبات التربوية والتعليمية لتلاميذ المدارس الابتدائية ثم توجهت إلى المشكلات المرتبطة بطرف تنشئة الأطفال على وجه العموم ، ووجه البحث في مرحلة المهد الرغبة في معرفة ما يتوافر لدى الوليد من استعدادات يولد مزوداً بها ، أما البحث في مرحلة الرشد فقد وجهه الدافع إلى دراسة المشكلات العملية المتصلة بالتوافق

الزواجى وأثر تهدم الأسرة على الطفل ، ثم بعد ذلك وجهه البحوث إلى مجال الشيخوخة.

أهداف علم نفس النمو:

يمكن القول أن لسيكولوجية النمو هدفين أساسين : أولهما الوصف الكامل والدقيق قدر الإمكان للعمليات النفسية عند الناس في مختلف أعمارهم واكتشاف خصائص التغير الذي يطرأ على هذه العمليات في كل عمر ، وثانيهما : تفسير التغيرات العمرية (الزمنية) في السلوك أي اكتشاف العوامل والقوى والتغيرات التي تحدد هذه التغيرات ، ثم أضيفت أهداف أخرى تتصل بالرعاية والمعاونة والتحكم والتنبؤ ، أو باختصار التدخل في التغيرات السلوكية.

١) وصف التغيرات السلوكية:

على الرغم من أن هدف الوصف هو أبسط أهداف العلم إلا أنة أكثرها أساسية ، فبدونه يعجز العلم عن التقدم إلى أهدافه الأخرى ، والوصف مهمتة الجوهرية ان يحقق الباحث فهما افضل للظاهرة موضع البحث ، ولذلك فالباحث فى علم نفس النمو علية ان يجيب أولاً على أسئلة هامة مثل : متى تبأ عملية نفسية معينة فى الظهور ؟ وما هى الخطوات التى تسير فيها سواء نحو التحسن أو التدهور؟ وكيف تؤلف مع غيرها من العمليات النفسية الأخرى أنماطا معينة من النمو ؟ مثال ذلك اننا جميعا نلاحظ تعلق الرضيع بامة وان الام تبادل طفلها هذا الشعور ، والسؤال هنا : متى يبدأ شعور التعلق فى الظهور ؟ وما هى مراحل تطورة ؟ وهل الطفل المتعلق بأمة تعلقا آمنا يكون أكثر قدرة على الاتصال بالغرباء أم أن هذة القدرة تكون أكبر لدى الطفل الأقل تعلقا بأمة ؟ هذة وغيرها اسئلة من النوع الوصفى.

ويجاب عن هذة الاسئلة بالبحث العلمى الذى يعتمد على الملاحظة ، أى من خلال مشاهدة الاطفال والاستماع اليهم ، وتسجيل ملاحظاتنا بدقة وموضوعية . ولا شك أن مما يعيننا على مزيد من الفهم أن ملاحظاتنا الوصفية

تتخذ فى الاغلب صورة النمط أو المتوالية ، وحالما يستطيع الباحث أن يصف اتجاهات نمائية معينة ويحدد موضع الطفل أو المراهق أو الراشد فيها فأنة يمكنة الوصول الى الاحكام الصحيحة حول معدل نموة ، وهكذا نجد أن هدف الوصف فى علم نفس النمو يمر بمرحلتين أساسيتين : أولاهما الوصف المفصل للحقائق النمائية ، وثانيهما ترتيب هذة الحقائق فى اتجاهات أو انماط وصفية ، وهذة الأنماط قد تكون متآنية فى مرحلة معينة ، أو متتابعة عبر المراحل العمرية المختلفة.

٢) تفسير التغيرات السلوكية:

الهدف الثانى لعلم نفس النمو هو التعمق فيما وراء الانماط السلوكية التى تقبل الملاحظة ، والبحث عن اسباب حدوثها أى هدف التفسير ، والتفسير يعين الباحث على تعليل الظواهر موضع البحث من خلال الاجابة على سؤال لماذا ؟ بينما الوصف يجيب على الشؤال : ماذا ؟ وكيف؟

ومن الاسئلة التفسيرية : لماذا يتخلف الطفل فى المشى أو يكون أكثر طلاقة فى الكلام ، أو أكثر قدرة على حل المشكلات المعقدة بتقدمة فى العمر؟ والى أى حد ترجع هذة التغيرات الى " الفطرة " التى تشمل فيما تشمل الخصائص البيولوجية والعوامل الوراثية ونضج الجهاز العصبى ، أو الى " الخبرة " أى التعلم واستثارة البيئة.

فمثلا اذا كان الاطفال المتقدمون فى الكلام فى عمر معين يختلفون وراثيا عن المتخلفين نسبيا فية نستنتج من هذا أن معدل التغير فى اليسر اللغوى يعتمد ولو جزئيا على الوراثة ، أما اذا كشفت البحوث عن أن الاطفال المتقدمين فى الكلام يلقون تشجيعا أكثر على انجازهم اللغوى ويمارسون الكلام اكثر من غيرهم فاننا نستنتج أن التحسن فى القدرة اللغوية الحادث مع التقدم فى العمر يمكن ان يرجع جزئيا على الأقل الى الزيادة فى الاستثارة البيئية.

وفى الأغلب نجد ان من الواجب علينا لتفسير ظواهر النمو أن نستخدم

المغارف المتراكمة فى ميادين كثيرة أخرى من علم النفس وغيرة من العلوم مثل نتائج البحوث فى مجالات التعلم والادراك والدافعية وعلم النفس الاجتماعى والوراثة وعلم وظائف الاعضاء والانثروبولوجيا.

٣) التدخل فى التغيرات السلوكية:

الهدف الثالث من اهداف الدراسة العلمية لنمو السلوك النسانى هو التدخل فى التغيرات السلوكية سعيا للتحكم فيها حتى يمكن ضبطها وتوجيهها والتنبؤ بها.

ولا يمكن ان يصل العلم إلى تحقيق هذا الهدف إلا بعد وصف جيد لظواهرة وتفسير دقيق صحيح لها من خلال تحديد العوامل المؤثرة فيها ، لنفرض أن البحث العلمى أكد لنا ان التاريخ التربوى الخاطىء للطفل يؤدى بة إلى أن يصبح بطيئا فى عملة المدرسى ، ثائرا متمردا فى علاقاتة مع الافراد ، أن هذا التفسير يفيد فى اغراض العلاج من خلال تصحيح نتائج الخبرات الخاطئة ، والتدريب على مهارات التعامل مع الآخرين ، وقد يتخذ ذلك صوراً عديدة لعل أهمها التربية التعويضية ، والتعلم العلاجى.

خصائص النمو الأنسانى:

حتى يتوجة فهمنا لطبيعة النمو الانسانى وجهه صحيحة نعرض فيما يلى الخصائص الجوهرية لهذة العملية الهامة:

١) النمو عملية تغير:

كل نمو فى جوهرة تغير ، ولكن ليس كل تغير يعد نمواً حقيقيا ، وعموما يمكن القول أن علم نفس النمو يهتم بالتغيرات السلوكية التى ترتبط ارتباطا منتظما بالعمر الزمنى . فإذا كانت هذة التغيرات تطرأ على النواحى البيولوجية والفسيولوجية وتحدث فى بنية الجسم الانسانى ووظائف اعضاءة نتيجة للعوامل الوراثية (الفطرة) فى اغلب الأحيان ، فان هذة التغيرات تسمى نضجا Maturation . اما إذا كانت هذة التغيرات ترجع فى جوهرها الى آثار الظروف

البيئية (الخبرة) تسمى تعلماً . Learing وفى كلتا الحالتين ، النضج والتعلم قد تدل التغيرات على تحسن أو تدهور ، وعادة ما يكون التدهور فى الحالتين فى المراحل المتأخرة من العمر.

أما التغيرات غير النمائية فانها على العكس تعد نوعا من حالة الانتقال التى لا تتطلب ثورة أو تطوراً ، فالشخص قد يغير ملابسة إلا أن ذلك لا يعنى نمواً ، فتتابع الاحداث فى هذا المثال لا يتضمن وجود علاقة بين الحالة الراهنة للشخص وحالتة السابقة ، ومن السخف بل ومن العبث ، أن نفترض مثلاً أن ملابس الشخص التى كان يرتديها فى العام الماضى نمت بالتطور أو الثورة إلى ما يرتدية الآن.

وهناك خاصية أخيرة فى التغيرات النمائية أنها شبة دائمة باعتبارها نتاج كل من التعلم والنضج ، وفى هذا تختلف عن التغيرات المؤقتة أو العارضة أو الطارئة مثل حالات التعب أو النوم أو الوقوع تحت تأثير مخدر ، فكلها ألوان من التغير المؤقت فى السلوك ولكنها ليست نموا لأن هذة التغيرات جميعا تزول بزوال العوامل المؤثرة فيها وتعود الأحوال إلى ما كانت علية من قبل.

٢) النمو عملية منتظمة:

توجد أدلة تجريبية على ان تغيرات النمو تحدث بطريقة منتظمة ، على الأقل فى الظروف البيئية العادية ، ومن هذة الأدلة ما يتوافر من دراسة الاطفال المبتسرين (الذين يولدون بعد فترة حمل تقل عن ٣٨ أسبوعا) والذين يوضع الواحد منهم فى محضن يتشابة مع بيئة الرحم لاكتمال نموة كجنين ، فقد لوحظ انهم ينمون بيولوجيا وفسيولوجيا وعصبيا بنفس معدل نمو الأجنة الذين يبقون فى الرحم نفس الفترة الزمنية.

وتحدث تغيرات منتظمة مماثلة بعد الولادة ، وأشهر الأدلة على ذلك جاء من بحوث جيزل وزملائة الذين درسوا النمو الحركى للأطفال فى السنوات الاولى من حياتهم ، فقد لاحظوا الاطفال فى فترات منتظمة وفى ظروف مقننة

ووصفوا سلوكهم وصفا دقيقاً ووجدوا نمطا تتابعيا للنمو الحركى ، ومن أمثلة ذلك ، الاتجاة من اعلى الى أسفل ، والاتجاة من الوسط الى الأطراف ، كما تظهر خصائص الانتظام فى سلوك الحبو والوقوف والمشى واستخدام الايدى والاصابع والكلام ، هذة الالوان من السلوك تظهر فى معظم الاطفال بترتيب وتتابع يكاد يكون واحداً ، ففى نضج المهارات الحركية عند الاطفال نجد أن

الجلوس يسبق الحبو ، والحبو يسبق الوقوف ، والوقوف يسبق المشى وهكذا ، فكل مرحلة تمهد الطريق للمرحلة التالية ، وتتتابع المراحل على نحو موحد.

٣) النمو عملية كلية:

إذا كان النمو عملية كلية فالعلاقات الموجودة بين جوانب النمو تسير فى اتجاة واحد سواء فى طور البناء أم فى طور الهدم ، وهو ما يمكننا من التنبؤ بمعدل النمو فى احد الجوانب إذا عرفنا معدلة فى جانب آخر لأن هناك تلازما فى معدل سرعة النمو فى الدورات المختلفة سرعة أو بطأ ، فإذا كان هناك طفل ينمو ذكاؤة بمعدل أعلى من المتوسط فيمكن التوقع بأن نموة الجسمى سيكون أعلى من المتوسط أيضاً ، والعكس صحيح أيضاً فقد يكون التأخر فى أحد المهارات الحركية كالمشى مثلا دليل على التأخر فى الذكاء.

٤) النمو عملية فردية:

يتسم النمو الانسانى بأن كل فرد ينمو بطريقتة وبمعدلة ، ومع ذلك فإن الموضوع يخضع للدراسة العلمية المنظمة ، فمن المعروف أن البحث العلمى يتناول حالات فردية من أى ظاهرة فيزيائية أو نفسية ، ثم يعمم من هذة الحالات الى الظواهر المماثلة ، إلا أن شرط التعميم العلمى الصحيح أن يكون عدد هذة الحالات عينة ممثلة للأصل الاحصائى الذى تنتسب الية ، وبالطبع فان هذا التعميم فى العلوم الانسانية يتم بدرجة من الثقة أقل منة فى العلوم الطبيعية وذلك بسبب طبيعة السلوك الانسانى الذى وهو موضوع البحث فى الفئة الاولى من هذة العلوم.

والنمو الانسانى على وجه الخصوص خبرة فريدة ، ولهذا فإن ما يسمى القوانين السلوكية قد لا تطبق على كل فرد بسبب تعقد سلوك الانسان ، وتعقد البيئة التى يعيش فيها ، وتعقد التفاعل بينهما ، ومن المعلوم فى فلسفة العلم أن التعميم لا يقدم المعنى الكلى للقانون اذا لم يتضمن معالجة مفصلة لكل حالة من الحالات التى يصدق عليها ، ومعنى هذا أن علم نفس النمو لة الحق فى الوصول الى قوانينة وتعميماتة ، إلا أننا يبقى معنا الحق دائماً فى التعامل مع الانسان موضع البحث فية على انة كائن فريد ، ولعلنا بذلك نحقق التوازن بين المنحى العام والمنحى الفردى ، وهو ما لا يكاد يحققة أى فرع آخر من فروع علم النفس.

٥) النمو عملية فارقة:

على الرغم من أن كثيراً من المعلومات التى تتناولها بحوث النمو تشتق مما يسمى المعيير السلوكية ، إلا أننا يجب أن نحذر دائماً من تحويل هذة المعايير الى قيود . وهذا التفظ ضرورى وإلا وقع الناس فى خطأ فادح يتمثل فى اجبار أنفسهم واجبار الآخرين على الالتزام بما تحددة هذة المعايير ، ويدركونة بالطبع على أنة النمط (المثالى) للنمو . ومعنى ذلك أن ما يؤدية الناس على انة السلوك المعتاد أو المتوسط ، أو ما يؤدى بالفعل (وهو جوهر المفهوم الأساسى للمعيار) يتحول فى هذة الحالة ليصبح ما يجب أن يؤدى ، ولعل هذا هو سبب ما يشيع بين الناس من الاعتقاد فى وجود أوقات ومواعيد " ملائمة " لكل سلوك. وهكذا يصبح المعيار العمرى البسيط تقليداً اجتماعيا ، ويقع الناس أسرى الساعة الاجتماعية ، بها يحكمون على كل نشاط من الأنشطة العظمى فى حياتهم بأنة فى وقتة تماما أو أنة مبكر أو متأخر عنة ، يصدق هذا على دخول المدرسة أو أنهاء الدراسة أو الالتحاق بالعمل أو الزواج أو التقاعد مادام لكل ذلك معاييرة ، فحينما ينتهى الفرد من تعليمة الجامعى مثلا فى سن الثلاثين فإنة يتصف بالتأخر حسب الساعة الإجتماعية ، بينما انجازة فى سن السابعة عشرة

يجعلة مبكراً.

وتوجد بالطبع أسباب صحيحة لكثير من قيود العمر ، فمن المنطقى مثلا أن ينصح طبيب الولادة سيدة فى منتصف العمر بعدم الحمل ، كما ان من العبث أن نتوقع من طفل فى العاشرة من عمرة أن يقود السيارة ، إلا أن هناك الكثير من قيود العمر التى ليس لها معنى على الإطلاق فيما عدا أنها تمثل ما تعود الناس علية ، كأن تعتبرالعشرينات أنسب عمر للزواج فى المعيار الامريكى ، وهذة المجموعة الأخيرة من القيود هى التى نحذر منها حتى لا يقع النمو الإنسانى فى شرك " القولبة " والجمود بينما هو فى جوهرة مرن على أساس مسلمة الفروق الفردية التى تؤكد التنوع والأختلاف بين البشر.

٦) النمو عملية مستمرة:

بمعنى أن التغيرات التى تحدث للفرد فى مختلف جوانبة العضوية والعقلية لا تتوقف طوال حياتة ، ويغلب على هذة التغيرات طابع البناء فى المراحل الأولى من العمر. بينما يغلب عليها طابع الهدم فى المراحل الأخيرة منة ، والنمو بهذا المعنى سلسلة من الحلقات يؤدى اكتساب حلقة منها الى ظهور الحلقة التالية ، فاذا اخذنا النمو الحركى مثلا فاننا نجد أن الطفل يمر بالتطورات الآتية : إنتصاب الرأس ثم الجلوس فالحبو فالوقوف فالمشى والقفز والتسلق ، ولا بد أن تتم هذة العمليات بنفس الترتيب ، فلا يمكن أن يمشى الطفل قبل أن يقف ، ولا يمكن ان يجرى ويقفز قبل أن يتعلم المشى هكذا ، وإذا كان النمو مجموعة من الحلقات فهى حلقات متصلة فى سلسلة واحدة ، وهى سلسلة النمو أو دورة النمو.

النماذج النظرية للنمو الأنسانى:

النموذج النظرى هو أداة منهجية يستخدم لشرح وتفسير الظواهر والعلاقات القائمة بينها ، ويمدنا النموذج فى سبيل الشرح والتفسير بمصطلحات معينة وبالأساس الذى يمكن تصنيف الظواهر على أساسة وبالمبدأ التفسيرى الذى

يوضح طبيعة العلاقة بين الظواهر أو المتغيرات ، أن النموذج النظرى هو الوسيلة التى يمكننا من اخضاع ظواهر عالمنا للدراسة العملية ، عن طريق ترجمة هذة الظواهر الى متغيرات محددة يمكن التحقق منه ودراسة العلاقات بينها.

ويميل بعض الباحثين الى تصنيف النماذج النظرية السائدة فى مجال علم نفس النمو الى مجموعات أو فئات حسب أسس معينة يرونها جديرة بالاعتبار ، لأنها تزيد من الفهم لظاهرة التغير النمائى ، فالبعض يصنف النماذج النظرية حسب السعة أو الشمول ، فيكون لدينا النماذج الشاملة التى تحاول أن تشرح أو تفسر كل مظاهر السلوك تقريبا مثل نظرية التحليل النفسى ، وهناك النماذج الأقل شمولا وتركز على بعض الجوانب الأساسية فى السلوك مثل نظرية بياجية وتهتم بتفسير الجوانب المعرفية للسلوك أيضا نظرية اريكسون والتى تهتم بتفسير الجوانب الأجتماعية للسلوك.

نظرية التحليل النفسى (فرويد)

نظرية التحليل النفسى كما وضع أسسها وصاغها سيجموند فرويد ، نظرية يغلب عليها الطابع البيولوجى . فالطفل يولد وهو مزود بطاقة غريزية قوامها الجنس والعدوان ، وهى ما أطلق عليها فرويد أسم " اللبيدو Libido "بمعنى الطاقة ، وهذة الطاقة تدخل فى صدام محتم مع المجتمع ، وعلى أساس شكل الصدام ونتيجتة تتحدد صورة الشخصية فى المستقبل.

ويذهب فرويد إلى أن الطاقة الغريزية التى يولد الطفل مزوداً بها تمر بأدوار محددة فى حياتة ، والنضج البيولوجى هو الذى ينقل الطفل من دور الى آخر أو من مرحلة الى آخرى ولكن نوع وطبيعة المواقف التى يمر بها هى التى تحدد النتاج السيكولوجى لهذة المراحل ، كما أنها هى التى تحدد مدى إنتظام سير الطاقة فى خطها المرسوم سلفا أو تعثرها فى السير وتخلفها أو تخلف معظمها فى مراحل معينة ، هذا التخلف الذى يطلق علية فرويد" التثبيت. "

ويرى فرويد أن التثبيت يعود بجانب العوامل الجبلية (الوراثية) الى عوامل ذات طبيعة تربوية إجتماعية وعلى رأس هذة العوامل الإشباع المسرف فى سنى المهد والطفولة المبكرة ، والذى يجعل الطفل لا يريد أن يترك هذا المستوى الذى ينعم فية بالاشباع والمتعة . ولكن النمو يتابع سيرة الى المرحلة التالية ، ولكن بعد أن يكون قد تخلف قدر كبير من الطاقة اللبيدية فى المرحلة التى حدث فيها التثبيت ، ومن عوامل التثبيت أيضا الاحباط الشديد الذى يجعل الطفل يجد صعوبة فى تخطى هذا المستوى الى المستوى التالى طلبا للاشباع الذى كان من المفروض أن يتلقاة فى هذة المرحلة ، كما أن التثبيت قد يحدث فى ظل الاشباع المسرف والاحباط الشديد لأنة كثيراً ما يكون التناوب بين الاشباع المسرف والاحباط الشديد هو العامل الحاسم وراء التثبيت.

وإذا لم يحدث تثبيت للطاقة اللبيدية فى أية مرحلة وواصلت سيرها ، فأن الطفل ينتقل من مرحلة سيكولوجية الى التى تليها ، ويستمد الطفل إشباعة لطاقتة الغريزية فى كل مرحلة خلال عضو معين من أعضاء جسمة ، ويسمى فرويد المراحل النفسية بأسم العضو الذى يستمد منة الطفل الإشباع فى مرحلة معينة.

مراحل النمو النفسى:

المرحلة الفمية المصية:

وتشمل العام الأول من حياة الطفل . وتتركز حياة الطفل فى هذة السن حول فمة ، ويأخذ لذتة من المص ، حيث يعمد الى وضع أصبعة أو جزءً من يدية فى فمة ومصة ، ويتمثل الاشباغ النموذجى فى هذة المرحلة فى مص ثدى الأم ، وحينما يغيب الثدى عنة يضع أصبعة فى فمة كبديل للثدى ، ويؤكد فرويد على أن هذة المرحلة هى مرحلة الإدماج القائمة على الأخذ.

المرحلة الفمية العضية:

وتشمل العام الثانى. ويتركز النشاط الغريزى حول الفم أيضا ، ولكن اللذة

يحصل عليها هذة المرة من خلال العض وليس المص ، وذلك بسبب التوتر الناتج عن عملية التسنين ، فيحاول الطفل أن يعض كل ما يصل إلية ، وهنا يشير فرويد الى أول عملية احباط تحدث للفرد فى حياتة ، وذلك حينما يعمد الطفل الى عض ثدى الأم ، وما يترتب على ذلك من سحب الأم للثدى من فمة، أو عقابة ، مما يوقعة فى الصراع لأول مرة ، فهو يقف حائراً بين ميلة الى اشباع رغبتة فى العض وبين خوفة من عقاب الأم وغضبها والذى يتمثل لدية فى سحبها للثدى من فمة,

وهذة المرحلة هى مرحلة ادماج أيضا تقوم على الأخذ والإحتفاظ ، والطفل فى هذة المرحلة ثنائى العاطفة يحب ويكرة الموضوع (الشخص) الواحد فى نفس الوقت ، حسب ما ينالة من اشباع أو احباط على يد هذا الموضوع (الشخص).

المرحلة الأستية:

وتشمل العام الثالث ، حيث تنتقل منطقة الأشباع الشهوى من الفم الى الشرج ، ويأخذ الطفل لذتة من تهيج الغشاء الداخلى لفتحة الشرج عند عملية الاخراج ، ويمكن أن يعبر الطفل عن موقفة أو اتجاهه إزاء الأخرين بالإحتفاظ بالبراز أو تفريغة فى الوقت أو المكان غير المناسبين ، والطابع السائد للسلوك فى هذة المرحلة هو العطاء ، ويغلب على مشاعر الطفل المشاعر الثنائية أيضا، كما فى المرحلة السابقة.

المرحلة القضيبية:

وتشمل العامين الرابع والخامس ، وفيها ينتقل مركز الاشباع من الشرج الى الأعضاء التناسلية ، ويحصل الطفل على لذتة من اللعب فى أعضائة التناسلية، ويمر الطفل فى هذة المرحلة بالمركب الأوديبى الشهير وهو ميل الطفل الذكر الى أمة ، والنظر الى أبية كمنافس لة فى حب الأم ، وميل الطفلة الأنثى الى الوالد وشعورها بالغيرة من الأم.

وفى الظروف الطبيعية للنمو ينتهى الموقف الأوديبى بتوحد الطفل مع والدة من نفس الجنس . والتوحد مفهوم يشير الى أن الفرد يسلك أحيانا ، وكأن سلوك شخص آخر هو سلوكة هو ، ويتضمن التوحد إعجاب المتوحد بالمتوحَد . واتخاذة نموذجا يتحد بة ، وتتم عملية التوحد على المستوى اللاشعورى . فيبدأ الطفل فى تشرب قيم الوالد الثقافية ، وهى القيم السائدة فى المجتمع ، كما تبدأ البنت فى التحول بعواطفها نحو الأم ، وإذا حدث ما يؤثر على سير النمو ، كما يحدث خلال ظاهرة التثبيت ، فأن علاقة الطفل بأمة تظل قوية ، وتتعطل عملية التوحد مع الوالد ، كما تستمر روابط الطفلة العاطفية بوالدها، أو تضطرب علاقة الطفل بوالدية معا . ويترتب على ذلك إصطرابات فى الشخصية والسلوك فيما يعد.

مرحلة الكمون:

وبتصفية المركب الأوديبى ، والتوحد مع الوالد مع نفس الجنس يدخل الطفل فى مرحلة ينصرف فيها عن ذاتة الى الأنشغال بمن حولة وبما حولة . ويحدث تقدم كبير فى النمو العقلى والانفعالى والاجتماعى فى هذة المرحلة التى تمتد من سن السادسة حتى حدوث البلوغ الجنسى فى الثانية عشر للبنات والثالثة عشر للبنين ، ويكون الطفل حريصا فى هذة المرحلة على طاعة الكبار والإمتثال لأوامرهم ونواهيهم وراغبا فى الحصول على رضائهم وتقديرهم . ولذا فهذة المرحلة مرحلة هدوء من الناحية الإنفعالية.

المرحلة الجنسية الراشدة:

وفى هذا المستوى تأخذ الميول الجنسية الشكل النهائى لها . وهو الشكل الذى سيستمر فى النضج . ويحصل الفرد السوى على لذتة من الاتصال الجنسى الطبيعى مع فرد راشد من أفراد الجنس الآخر . حيث تتكامل فى هذا السلوك الميول الفمية والشرجية ، وتشارك فى بلورة الجنسية السوية الراشدة.

وعلية فإن الفرد السوى هو من يحصل على إشباع مناسب فى كل مرحلة

نمائية ، أما إذا تعطلت مسيرة النمو كما يحدث فى بعض الحالات فأنة قد يترتب علية حدوث ما أسماة فرويد " عملية التثبيت " ويكون الفرد أميل الى النكوص الى المرحلة التى حدث فيها التثبيت ، والنكوص الى مرحلة معينة يعنى إتيان أساليب سلوكية تتناسب مع هذة المرحلة.

مراحل النمو النفسى الاجتماعى:

مرحلة الثقة مقابل عدم الثقة (منذ الميلاد حتى السنة الثانية):

إن الاتجاة النفسي الاجتماعي الذي على الوليد تعلمة هو أنة يستطيع إن يثق فى العالم . وينمى هذه الثقة الاتساق في الخبرة والاستمرارية والمماثلة في إشباع حاجاتة الأساسية عن طريق الوالدين ، فإذا أشبعت هذه الحاجات وإذا عبر الوالدان نحوه عن عاطفة حقيقية وحب فان الطفل يعتقد إن عالمة آمن يمكن الوثوق به ، أما إذا كانت الرعاية الوالدية قاصرة وغير متسقة أو سلبية فإن الأطفال سوف يتعاملون مع العالم بخزف وشك.

مرحلة الاستقلال مقابل الشك (٣ سنوات):

وبعد أن يتعلم الاطفال أن يثقوا فى الوالدين (أو لا يثقون فيهما) ، ينبغى ان يحققوا قدراً من الاستقلال ، فإذا أتيح لهم الحبو وشجعوا على ان يعملوا ما يقدرون علية بمعدلهم وبطريقتهم مع اشراف حانى من الوالدين والمربين فانهم ينمون احساسا بالاستقلال الذاتى ، أما إذا لم يصبر الوالدان ، وقاما بكثير من الاعمال نيابة عن طفل الثالثة فانهما يشككان فى قدرتة على التعامل مع بيئتة ، وفضلا عن ذلك ، فانة ينبغى أن يتجنب الوالدان إخجال الطفل عن السلوك غير المقبول إذ يحتمل أن يسهم هذا فى تنمية مشاعر تشككة فى نفسة.

مرحلة المبادأة مقابل الخجل (٤ –٥ سنوات):

ان قدرة الطفل على المشاركة فى كثير من الانشطة الجسمية وفى استخدام اللغة يعد المسرح للمبادأة والتى تضيف الى الاستقلال الذاتى خاصية القيام بالفعل والتخطيط والمعالجة ذلك أن الطفل يكون نشطا ومتحركا ، واذا اتيح

لطفل الرابعة والخامسة الحرية للاكتشاف والارتياد والتجريب واذا اجاب الوالدان والمعلمون عن اسئلة الطفل فانهم يشجعون اتجاهاتة نحو المبادأة ، أما أذا قيد الأطفال فى هذا العمر وأشعروا بأن أنشطتهم وأسئلتهم لا معنى لها ومضايقة فإنهم سوف يشعرون بالإثم فيما يفعلون على نحو مستقل.

الاجتهاد مقابل النقص (٦ –١٢ سنة):

يلتحق الطفل بالمدرسة فى مرحلة من نموة ويسيطر على سلوكة حب الأستطلاع والأداء ، إنة يتعلم الآن كيف يحصل على التقدير يصنع الأشياء بحيث ينمى احساسا بالجد والاجتهاد . والخطر فى هذة المرحلة أن يخبر الطفل مشاعر النقص والدونية وإذا شجع الطفل على صنع الأشياء وإتمام الأعمال ، وأثنى علية لمحاولاتة يشعر بالأجتهاد والأنجاز . وإذا باءت جهود الطفل بالأخفاق أو إذا عوملت على أنها مضايقة ومقلقة ، يشعر بالنقص والقصور.

الهوية مقابل تميع الهوية (١٢ – ١٨ سنة):

ان الشباب يتقدم نحو الاستقلال عن الوالدين وتحقيق النضج الجسمى ، وهم يهتمون بنوع الأشخاص الذين يصيرون إلية . أن الهدف فى هذة المرحلة هو تنمية هوية الذات ، أى أن الفرد يثق فى أستمرارية شخصيتة واستقرارها وتماثلها ، والخطر الذى يتعرض لة الشاب فى هذة المرحلة هو الخلط فى الدور، وخاصة التشكك فى هويتة الجنسية والمهنية . وإذا نجح المراهقون ، كما ينعكس ذلك فى استجابات الاخرين ، فى تحقيق تكامل فى ادوارهم فى المواقف المختلفة بحيث يخبرون الاستمرارية فى ادراك الذات ، فإن الهوية تنمو. وإذا عجزوا عن تحقيق احساس بالاستقرار فى الجونب المختلفة من حياتهم ينتج عن ذلك الخلط والارتباك.

مرحلة الألفة مقابل العزلة (١٨ – ٣٥ سنة):

لكى يخبر الفرد نموا مشبعا ومرضيا فى هذة المرحلة فإنة يحتاج إلى تكوين علاقة حميمة بشخص آخر ، والأخفاق فى عمل هذا يؤدى الى احساس

بالعزلة.

مرحلة الأنتاج مقابل الركود (٣٥ –٦٠ سنة):

أى أن يهتم الفرد بارشاد وتوجية الجيل القادم وترسيخ اقدامة ، والذين يعجزون عن الاندماج فى عملية التوجية يصبحون ضحايا الانغماس فى الذات والركود.

مرحلة التكامل مقابل اليأس (٦٠ سنة الى الموت):

التكامل هو تقبل الفرد لدورة حياتة ، باعتبارها هى الدورة المناسبة لة بالضرورة ولم يكن لها بديل . واليأس تعبير عن أن الزمن الآن قصير لا يسمح بالبدء فى حياة جديدة وتجريب طرق بديلة لتحقيق التكامل. (١٤)

الفصل الخامس

نظريات التفاعل بين الوراثة والبيئة

لكل من الوراثة والبيئة دوراً هاماً في النمو وتكوين الشخصية، إلا أن هذا الدور ليس متماثلاً أو متساوياً بينهما، فبعض الآراء ترى أن دور الوراثة أكبر في حين ترى طائفة أخرى التقليل من دور الوراثة لتبرز البيئة كعامل أكثر أهمية في عملية النمو.

ونتيجة لاختلاف الآراء برزت عدة اتجاهات ومذاهب متباينة تبين دور كل من الوراثة والبيئة في بناء الشخصية ومسيرة النمو، نذكر من هذه الاتجاهات:

أولاً: الاتجاه المؤكد على دور الوراثة:

يؤكد أنصار هذا الاتجاه على أن كل ما لدى الطفل وما سيكون لديه في المستقبل إنما يرجع بصورة مطلقة الى الوراثة، فعلى سبيل المثال لا الحصر يولد العباقرة وهم مزودون بالاستعداد للعبقرية، كما يولد المجرمون وهم مزودون بنزعة الإجرام، حيث أن نوع الموروثات التي تحملها الكرومزومات . الجينات أو الخلايا التي تحمل الصفات الوراثية . من كل من الأب والأم وصدفة حدوث التلاقي ونوع العلاقة بينها تمثل المحددات لأي صنف من الناس سوف ينتمي هذا الطفل.

ومن أهم الأبحاث في هذا المجال تلك الدراسة التي أجريت لتتبع بعض العائلات من مختلف المستويات لمعرفة اطراد وراثة الصفات العقلية والتي كان من بينها دراسة أجريت لعائلة (دارون) المشهورة في إنجلترا، والتي كانت نتيجتها كالتالي: وصل (١٥) شخصاً من العائلة إلى عضوية الجمعية الملكية بإنجلترا، ووصل عدد كبير منها إلى مكانة اجتماعية مرموقة. كذلك دراسة أخرى أجريت لاستقصاء عائلتين لجندي أمريكي يدعى (كالياك) اشترك في الحرب الأهلية الأمريكية وعاشر فتاة بلهاء أثناء الحرب فبلغ نسله منها (٢١٠٠) شخص، كانت نتيجتها: (٢٧٨) منهم نساء اقترفن الدعارة، و(١٨١) أدمنوا المخدرات، و(١٧٠) احترفوا التسول، و(١٢٩) تشردوا، (١١٨) وصموا بالإجرام، وأن أكثر من النصف كان مصاباً بضعف العقل، وأن كثيرا منهم ماتوا

بالانتحار أو محكوماً عليهم بالإعدام أو قضوا في السجون. في حين كان نسله من فتاة أخرى من أسرة عادية تزوجها بعد الحرب مختلفاً تماماً حيث كان معظمهم من الشخصيات السوية التي وصل بعضها إلى مراكز اجتماعية ممتازة.

ويرى علماء النفس المثاليون . أنصار الاتجاه البيولوجي . أن النمو النفسي هو عملية صقل للاستعدادات الموروثة. ووفقاً لهذا الاتجاه تكون حياة الإنسان محددة ومرسومة بصورة مسبقة.

ثانياً: الاتجاه المؤكد على دور البيئة والاكتساب:

وعلى صعيد آخر ترى نظرية تطور المادة الديكالتية عدم رفض الوراثة، وإنما ترفض المبالغة في تقييمها.

فالخواص النفسية للشخصية تكتسب في بادئ الأمر وراثياً ثم تتحور وتتشكل عن طريق ممارسة الأنشطة والخبرات. وذلك يعني أن الوراثة تقدم إمكانيات متعددة لنمو القدرات، وفي الوقت نفسه تمثل الوراثة شرطاً ضرورياً للنمو إذ أنها تحدد اتجاهه ومحتواه بصورة مقدمة. فالنمو يرتبط بالنشاط التربوي الموجَّه ارتباطاً وثيقاً.

وهنا يتدخل أنصار مذهب الاكتساب البيئي باعتقادهم أن القليل من الأشياء هو الممكن وراثته، أي أن ما يسمى بالموروثات التي يتلقاها الطفل عن أبويه ليست ذات أهمية كبيرة في نمو الفرد وتقدمه، وإنما الأهمية الكبرى تُعطى للتدريب والتعليم الذي يتلقاه الطفل.

ومن أنصار هذا المذهب (واطسون) الذي أنكر وأصر على إنكاره بشدة فكرة المواهب الفطرية حيث كان يقول "أعطوني اثني عشر طفلاً أصحاء أتعهد بتنشئتهم، وأنا كفيل بأن آخذ أياً منهم بالصدفة وأدربه على أن يصبح أي نوع من التخصص أريده له، طبيباً، أو محامياً، أو فناناً، أو شيخاً للتجار، أو حتى متسولاً أو لصاً بصرف النظر عن مواهبه وقدراته وميوله واستعداداته وجنس

آبائه وأجداده."

ومما لا شك فيه أن للبيئة أثراً هاماً في شخصية كل فرد من أفراد المجتمع ونموه، فمن الملاحظ أن البيئة بما فيها من تأثيرات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو طبيعية تطبِّع الشخصية بطابع متميز.

نظريات تطور الطفل النفسي والاجتماعي :

١) نظرية التطور البيولوجي (فرويد ١٩٢١)

٢) نظرية التطور المعرفي (بياجيه ١٩٥٠)

٣) نظرية التطور الاجتماعي والثقافي (ايريكسون ١٩٦٥)

٤) نظرية التعلق (بولبي ١٩٦٩ واينسورث ١٩٨٢)

٥) نظريات التعلم الاجتماعي

١) نظرية التطور البيولوجي:

أدرج فرويد هذه النظرية سنة ١٩٢١. وهي تعتبر التطور النفسي لدى الانسان نتيجة طبيعية لنضوج أجهزة الجسم البيولوجية. يقسم فرويد التطورالنفسي عند الانسان الى خمس مراحل بيولوجية، لكل منها نموذج خاص. وتبعاً لهذه النظرية ينتمي الأطفال في السنة الثانية من العمر إلى المرحلة الشرجية من التطور البيولوجي ونموذجها التحكم بالبراز والبول اي انهم في هذا العمر يستمتعون بإفراغ البول وطرح البراز.

٢) نظريات التعلم الاجتماعي نظرية التطور المعرفي :

أدرج بياجيه هذه النظرية عام ١٩٥٠. وهي تعتبر التطور النفسي لدى الانسان نتيجة طبيعية لتغيرات الوظائف المعرفية لديه. يقسم بياجيه تطور الذكاء الانساني الى أربع مراحل من الوظائف المعرفية.

ويندرج الأطفال بين السنة والثلاث سنوات في آخر المرحلة الحسية الحركية وبداية المرحلة ما قبل التشغيلية. وتتميزهذه الفترة بما يلي:

- قدرة الطفل على المباشرة ببعض الأعمال

- قدرة الطفل على التوصل الى التفكير الدائم بغرض ما حتى لو كان مخبأً، أو التفكير بشخص ما حتى في غيابه.
- التفكير الاحيائي عند الطفل. أي التفكير بأن الجوامد تتمتع بأحاسيس ومشاعر تماماً كالبشر.
- التفكير الأناني عند الطفل. أي ان الطفل يفكر في ذاته ويعتبر أن كل ما يضع يده عليه هو ملكه.
- بداية الطفل باستعمال اللغة للتعبير عن حاجاته .

٣) نظرية التطور الاجتماعي والثقافي:

أدرج ايريكسون هذه النظرية عام ١٩٦٥. وهي تعتبر تطور الانسان نتيجة طبيعية للأحداث الاجتماعية والثقافية في المحيط الذي يعيش فيه الفرد. يصف ايريكسون تطور شخصية الانسان من خلال ثمانية مراحل يعتمد التقدم في كل مرحلة منها على نجاح الفرد في المراحل السابقة. وتتضمن كل مرحلة بعض المهام النفسية والاجتماعية التي يشار اليها من خلال لفظتين متناقضتين يتعلم الفرد شيئاً من كل لفظة كما يتعلم الموازنة بينهما. مثال على ذلك مرحلة "الثقة والحذر" عند الرضع حيث يتعلم الرضيع في هذه المرحلة أن يثق بغيره لكنه يجب ايضاً ان يتعلم بعض الحذر. ويندرج الأطفال بين عمر السنة والثلاثة سنوات في مرحلة "الاستقلالية مقابل الخجل والشك"، أي يجب على الأطفال في هذه المرحلة ان يتعلموا الاستقلال بقراراتهم عن أهلهم ولكن عليهم ايضاً ان يدركوا الشعور بالخجل والشك الناتج عن قراراتهم التي تكون في غير محلها.

٤) نظرية التعلق

التعلق هو التقرب ممن يعطينا وجوده معنا الشعور بالحماية والأمان. أدرج بولبي هذه النظرية عام ١٩٦٩ وعدّلتها اينسورث سنة ١٩٨٢. وتعتبر هذه النظرية تطور الانسان نتيجة طبيعية لانفصال الطفل عن المسؤول عنه "الأم أو الشخص الذي يرعاه."

وهكذا يولد الانفصال لدى الطفل شعور بالقلق " قلق الانفصال" مما يدفعه الى تغيير أنماطه السلوكية واختبار أنماط سلوكية جديدة.

٥) نظريات التعلم الاجتماعي

ترد هذه النظريات تطور الانسان النفسي والاجتماعي الى عملية التعلم المشروط على أساس اختبار بافلوف، وتعتبره نتيجة طبيعية للاكتساب المعرفي واللغوي الذي يطور خبرة الفرد ويغيرها من خلال التعلم. واستناداً الى هذه النظرية، يقوم الأطفال بين عمر السنة والثلاثة سنوات تبعاً لقدراتهم اللغوية والفكرية باستخدام طريقتين للتعلم أو تعديل السلوك وهما:

١) التعلم عن طريق التشجيع أو التعزيز الذي قد يكون:

- إما على أساس الحافز: كحب الطفل للسكاكر مثلاً. فعندما يأكل الطفل السكاكر ، يشجعه طعمها اللذيذ (الحافز) على معاودة الكرّة.
- أو على أساس ردة الفعل: على سبيل المثال، عندما يبتهج الأهل لتمكن ابنهم من المشي بمفرده (تعزيز ايجابي)، يشجعونه على معاودة الكرة عدة مرات. اما عندما يوبخونه لأنه بلل ملابسه الداخلية (تعزيز سلبي) فإن ذلك قد يشجعه أو لا يشجعه على تكرار فعلته بحسب درجة التفهم ومتانة العلاقة النفسية والإجتماعية بين الطفل وذويه.

٢) التعلم عن طريق التقليد.

حيث يتعلم الطفل عادات أهله، وطريقة مشيتهم وحديثهم وما الى هنالك من عادات اجتماعية يتعلمها الطفل عن طريق التقليد.

وخلاصة القول أن العوامل البيئية من الممكن أن تطغى على العوامل الوراثية بل وتخفي أثرها بصورة كلية. فالمجتمع هو الذي ينقل الفرد الإنساني إلى الوسط الاجتماعي الحضاري ويحيطه بالرعاية والتعليم لكي يتخذ اتجاهه الإنساني، حيث التأثير الإيجابي للبيئة يمثل شرطاً للنمو النفسي للفرد. وفي نفس الوقت تحدد البيئة نمو الفرد لكونها شرطاً من شروط النمو.

ثالثاً: الاتجاه التوفيقي (الوراثة والاكتساب):

والرأي الراجح في الوقت الحاضر هو هجر كلا المذهبين المتطرفين، والجمع بين أثر كل من الوراثة والبيئة، والطبع والتّطبّع على خلاف في القدر النسبي من الأهمية التي يختص بها كل منهما، بدلاً من محاولة استبعاد أحدهما وإبقاء الآخر.

وقد أفاد هذا الاتجاه في بحث أثر كل من الوراثة والاكتساب في تقدم كل ناحية من نواحي النمو، أي أنه من خلال هذين العاملين أمكن بحث الأثر المشترك في نمو صفة جزئية من صفات الجسم أو سمة من سمات الشخصية.

وكنتيجة لهذه العملية التوفيقية أجبر المتشدد البيئي على عدم إنكار دور الوراثة، وفي الوقت نفسه أجبر المتشبث بالوراثة كعامل من أهم العوامل في تحديد وتوقيت معالم النمو وتفاصيله على عدم إنكار دور البيئة في ذلك.

مما سبق نستطيع القول بأنه لا بد أن تتوافر وتتكامل للفرد ثلاثة عناصر رئيسة حتى يتمكن من القيام بالدور الاجتماعي المطلوب، هذه العناصر هي:

الأصل: الوراثة، الوسط: البيئة، التربية: التعليم. وإن لم تتوفر هذه العناصر متكاملة، فإن كل ما يتواجد لديه من عناصر صالحة وخصبة للنمو السوي ستكون مجرد إمكانيات لا تجد سبيلها نحو التحقيق. لقد صاغ العالم (دبزهانسكي) معادلته المبينة لأثر التفاعل بين العاملين الحيويين الوراثة والبيئة في تكوين فاعليات الكائن، وذلك على النحو التالي:

الوراثة × البيئة = الكائن

من العلاقة السابقة أمكن استنتاج أن النضج لازم للمران وبلوغ الاستعدادات والملكات، ولا بد له من أن يسبق التعليم والتدريب، والتربية تمثّل العملية المواجهة لنمو الملكات والأعضاء والقوى بما يلزمها من رياضة وظيفية وتمرين. ويقصد بالوراثة هنا مجموعة الخصائص الوراثية للفرد وأن الكائن الحي هو حاصل النمو الكلي الشامل لكافة التراكيب والوظائف الداخلية للكائن الحي فهو

في حالة تغير دائم. وليست الوراثة وحدها أو البيئة وحدها هي المحدد لهذا التغيير المستمر ومدى حدوثه وإنما هو حاصل تفاعلها معاً.

إن عمل البيئة يمثل التهيئة لنمو الاستعدادات الموروثة وليس إعطاء الفرد شيئاً لم يولد حاملاً له أدنى استعداد بحكم تركيبه الوراثي، وهذا ما لا ينتظر أن يكون، فالعوامل الوراثية تحدد الخطوط الرئيسة للشخصية الفردية، والبيئة تبسط هذه الخطوط وتنميها.

وخلاصة القول، أن الوراثة والبيئة عاملان متفاعلان في تكوين شخصية الفرد، وأنه لا يصح ولا يجوز الفصل بينهما إذ أنهما يعملان بصورة تكميلية في تكوين الشخصية حيث ترسم الوراثة حدود هذه الشخصية وتشكل البيئة الصورة النهائية لها، وقد تضعف البيئة الاجتماعية من تأثير الوراثة أو تأخر ظهور بعض السمات حتى تسنح الفرصة المناسبة. وهذا الاتجاه من شأنه أن يتيح الإمكانية للتربية حيث يبين للمربين الحدود التي يستطيعون العمل فيها لخلق شخصيات متكاملة. أما القول بالبيئة وحدها فإنه يجعل عمل المربي عبئاً لأنه يتجاهل الأصول الثابتة للشخصية الفردية، وكذلك القول بالوراثة وحدها إذ يقضي بصورة نهائية على إمكانية الإصلاح، ويلغي دور المربي.

تتفاعل العوامل الوراثية المختلفة مع عوامل البيئة عضوية أو غذائية أونفسية عقلية أو اجتماعية أو غير ذلك من الألوان المختلفة للبيئة فى تحديدصفات الفرد وفى تباين نموه ومسالك حياته ومستويات نضجه ومدى تكيفه وشذوذه.

وتختلف صفات الفرد اختلافاً بيناً فى مدى تأثرها بتلك العوامل المختلفة، فالصفات التى لا تكاد تتأثر بالبيئة تسمى الصفات الوراثية الأصليةوأهمها لون العين ، ولون ونوع الشعر سبطاً كان أم جعداً ، ونوع الدم ،وهيئة الوجه ومعالمه ، وشكل الجسم .والصفات التى تعتمد فى جوهرها

علىالبيئة ولا تكاد تتأثر بالمورثات تسمى صفات مكتسبة ومن أهمها الخلقوالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية والصفات التى ترجع فجوهرها إلى الوراثة وتتأثر بالبيئة تأثراً يتفاوت فى مداه بين الضعفوالشدة ، تسمى صفات وراثية بيئية ، أو استعدادت فطرية تعتمد على البيئة فىنضجها وتتأثر بها فى قصورها وعجزها عن بلوغ هذا النضج ، ولعل أهم هذهالصفات هى لون البشرة، وذلك لتفاوت تأثير أشعة الشمس فى هذا اللون كمايحدث عادة لمصطافين . والذكاء ، والمواهب العقلية المختلفة وسمات الشخصيةوالقدرة على التحصيل المدرسى.

هذا ، ويمكن اكتشاف الأثرالنسبى لكل من الوراثة والبيئة فى نمو الأطفال وذلك بدراسة صفات التوأمينالمتماثلين حينما يعيشان فى بيئة واحدة وحينما يعيش كل منهما فى بيئةتختلف عن بيئة أخرى ،وبما ان التوائم المتماثلة تنتج من تلقيح بيضة أنثويةواحدة بحى ذكرى واحد ، إذن تصبح الصفات الوراثية لكل توأمين من هولاءالتوائم المتماثلة . فإذا عاش توئمان متماثلان فى بيئتين مختلفتين ظهر أثرالبيئة فى التفرقة بينهما فى الصفات التى تتأثر بالبيئة. هذا ويمكن أيضاًإجراء مثل هذه التجربة على توأمين متماثلين أخريين يعيشان فى بيئة واحدة ،وعلى توأمين غير متماثلين يعيشان معاً فى بيئة واحدة . وهكذا قد نصل منمقارنة نتائج هذه التجارب إلى معرفة الأثر النسبى لكل من الوراثة والبيئةفى النمو ، ومدى اعتماد الصفات الجسمية والعقلية المختلفة على الوراثة منناحية وعلى البيئة من ناحية أخرى.

وهكذا نرى أن النمو يكاد يتأثر فى بعض مظاهره تأثراً كلياً بالوراثة ثم تخف حده الوراثة فى بعضالمظاهر الأخرى ، وتزداد أهمية البيئة ثم يبلغ أثر البيئة أشده فى مظاهرأخرى من مظاهر النمو . وبذلك فحياة الفرد فى تفاعل دائم مستمر بين الوراثةوالبيئة ، ويصعب علينا أن نفصل بينهما فصلا حاداً قاطعاً ، ذلك لأنالوراثة لا توجد بمعزل تام عن البيئة ، فالمورثات التى تتآلف

بعضها مع بعضوتنتظم على خيوط الصبغات تحيا فى بيئة تؤثر فيها وتتأثر بها بدرجات تتفاوتفى شدتها. [١٥]

النمو والإرتقاء الإنساني

يبدأ الإنسان دائماً صغيراً عاجزاً ولكن مع مرور الوقت يبدأ الإنسان في النمو والتطور فيبدأ بالقوة ثم ينتهي بالضعف سنة وراء سنه إلي أن يموت فكل البشر يبدون في رحم أمهاتهم ثم بعد ذلك يتحولون إلي رجال بالوصول إلي البلوغ ثم الشيخوخة والهرم ثم الموت.

أولاً تعريف النمو والإرتقاء الإنساني

هو عباره عن سلسلة متتابعة من التغيرات والتطورات ، هذه السلسلة مرتبطة ومنظمة يمر بها كل إنسان تهدف إلي إكتمال النضج في مختلف النواحي النمائية .

جوانب النمو

النمو التكويني أو الكمي ويقصد به النمو الذي يحدث في الحجم والشكل بحيث يمكن ملاحظاته. النمو الوظيفي أو التكيفي ويقصد بالنمو الذي يحدث في الوظائف الجسمية والعقلية والإجتماعية والإنفعالية وهي لا تلاحظ بالرؤية ولكن تستدل عليها من ملاحظة التغير في سلوك الفرد وتغيير أدائة.

ثانياً : أهم مبادئ وقوانين النمو والإرتقاء الإنساني

يتبع النمو والإرتقاء الإنساني مبادئ وقوانين أساسية تحكم سيرته عبر مراحل الحياة المختلفة وإذا أردنا أن نفهم النمو والإرتقاء الإنساني يجب علينا التعرف علي هذه المبادئ والقوانين حتي يسهل علينا التعامل مع المسار الطبيعي للنمو ويسهل علينا تربية النشئ وتوجيه سلوكهم

١) يسير النمو في مراحل

– أن الإنسان في نموه يمر بعدة مراحل ولكل مرحلة خصائصها ومظاهرها فهو في البداية طفل ثم مراهق ثم شاب ورائد ثم كهل ثم مرحلة الشيخوخة

والهرم.

فالبرغم من صعوبة تحديد بداية ونهاية لكل مرحلة إلا إننا يمكن أن نتعرف علي الفروق بين مرحلة ومرحلة آخري من خلال مقارنة منتصف أي مرحلة منها بمنتصف المرحلة الآخري.

٢) توجد فروق فردية في معدلات النمو

بالرغم من أن جميع البشر يمرون بنفس المراحل وإن أختلفوا فيما بينهم من حيث السرعة والبطء إلا أن بينهم فروق فردية في الخصائص النمائية كالطول والوزن والذكاء

٣) النمو عملية مستمرة وشاملة ومتصلة

أن عملية النمو عملية مستمرة منذ لحظة الحمل حتي الوفاة ، فكل إنسان ينمو يوماً بعد يوم ولكن بمعدلات مختلفة وكل مرحلة تتوقف علي ما قبلها وتؤثر فيما بعدها ، كما أن النمو عملية شاملة لجميع نواحي الإنسان.

٤) يتبع الأفراد في نموهم وإرتقائهم نمطاً متشابهاً

أن كل إنسان يمر بنفس المراحل النمائية وإن كانت معدلات النمو مختلفة من شخص إلي شخص آخر، وقد أوضحت الدراسات أن أي محاولة لتدريب الفرد علي تخطي مرحلة من مراحل النمو قبل أوانها يمكن أن يؤدي إلي عجز الطفل وتشوية نموه.

٥) معدلات النمو ليست ثابتة في كل المراحل

إن معدلات النمو ليست ثابتة في كل الجوانب حيث أن النمو الجسمي يكون سريع جداً في بداية الميلاد وحتي منتصف مرحلة الطفولة ثم يبطئ قليلاً حتي يرتفع مرة آخري وبشدة في مرحلة المراهقة ثم يثبت بعد الرشد.

٦) يسير النمو في اتجاهات محددة

يسير النمو من الرأس إلي القدمين فالرأس تنمو قبل الجزع والجزع ينمو قبل القدمين لذلك أصابع اليد تنمو قبل أصابع القدمين ، ويسير النمو من الداخل

إلي الخارج فالنمو يسير من المراكز إلي الأطراف فالجنين ينمو رأسه وجذعه أولاً ثم تظهر بعد ذلك أطرافه ، كما أن النمو يسير من العام إلي الخاص فالنشاط العام الكلي يسبق النشاط النوعي الجزئي ، فالطفل يحرك جسمه كله ثم بعد ذلك يمكن أن يحرك العضو الذي يريد حركته ، كما أن كلمه بابا تطلق علي جميع الرجل ثم بعد ذلك يميز بين الأب وبقية الرجال

ثالثاً : العوامل المؤثرة في النمو والأرتقاء الإنساني

طالما إننا جميعاً نمر بنفس المراحل النمائية فلماذا نختلف عن بعضنا في معدلات النمو فلابد من معرفة العوامل التي يمكن أن تؤثر في النمو وتسبب الأختلافات ، ومن أهم هذه العوامل:

- الوراثة

وهي تعني انتقال السمات الوراثية من الأباء إلي الأبناء فكل منا يرث من أبويه واجداده صفاته وأحياناً أمراضه الوراثية التي تنتقل إليه عن طريق الجينات التي تحمل الكرموسمات الوراثية فكل منا يرث الطول والذكاء ولون الشعر ولون البشرة ولون العين.

-الجهاز الغددي

يوجد بالجسم مجموعة من الغدد تعمل علي تنظيم النمو ووظائف الجسم ، هذه الغدد تفرز هرمونات لها تأثير واضح علي النمو.

- البيئة

فكما أن للوراثة تأثيراً علي النمو فإن البيئة تأثيراً علي النمو فالبيئة لها تأثير مباشر وغير مباشر علي النمو فكلما كانت البيئة صالحة وغنية بالإمكانيات كلما ساعدت علي زيادة النمو وإضطراده . وكلما كانت البيئة فقيرة وغير صالحة للتنشئة والنمو كلما أثر سلبياً علي نمو وأرتقاء الإنسان.

-الغذاء

للغذاء دور هام وأساسي في النمو فهو يساعد في بناء خلايا الجسم ونموها ،

كما انه يساهم في إعطاء الجسم بالطاقة اللازمة لها ، كما يساهم في وقاية الجسم من الأمراض ولذلك فيجب أن يتنوع الغذاء ليناسب طبيعة عمل الفرد والمراحل العمرية التي يمر بها كما أن زيادة الغذاء عن المعدل المناسب للجسم ضار ويؤدي إلي نتائج سيئة كذلك نقص الغذاء له آثار سلبية علي النمو .

-النضج

المقصود بالنضج هو تغييرات تؤدي إلي إكتمال النمو والنضج شرط أساسي للتعلم وإكتساب الخبرة.

-التعلم

تعلم الأعداد يساعد علي فهم عمليات الضرب والقسمة والجمع والطرح مما يساعد في تعلم قواعد الحساب التي تساعد في اكتساب مهارات إجراء عمليات البيع والشراء[١٦] .

مناهج البحث فى النمو الأنسانى

البحث فى علم نفس النمو هو عمل علمى ينتمى الى فئة العلم التجريبى (الامبريقى) . والباحثون فى هذا النوع من المعرف يلتزمون بنظام قيمى يسمى الطريقة العلمية يوجة محاولاتهم للوصف (الفهم) والتفسير (التعليل) والتحكم (التوجية والتطبيق) وهى أهداف العلم التقليدية.

الطريقة العلمية فى البحث اذن هى لون من الاتجاة أو القيمة ، وهذا الاتجاة العلمة أو القيمة العلمية يتطلب من الباحث الاقتناع والالتزام بمجموعة من القضايا هى- :

١) الملاحظة هى جوهر العلم التجريبى ، وعلم النفس ينتمى بالطبع الى فئة هذة العلوم . والمقصود هنا الملاحظة المنظمة لا الملاحظة العارضة أو العابرة.

٢) تتمثل أهمية الملاحظة فى العلم فى أنها تنتج أهم عناصرة وهى مادتة الخام أى المعطيات Data والمعلومات أو البياناتInformation .

٣) لا بد للمعطيات أو المعلومات أو البيانات التى يجمعها الباحث العلمى بالملاحظة أن تتسم بالموضوعية Objectivity والموضوعية فى جوهرها هى اتفاق الملاحظين فى تسجيلاتهم لبياناتهم وتقديراتهم وأحكامهم اتفاقا مستقلا.

٤) تتطلب الموضوعية أن يقوم بعمليات التسجيل والتقدير والحكم (وهى المكونات الجوهرية للملاحظة العلمية) أكثر من ملاحظ واحد ، على أن يكونوا مستقلين بعضهم عن بعض ، وهذا يتضمن قابلية البحث العلمى للاستعادة والتكرار Replicability .

٥) المعطيات والمعلومات والبيانا التى يجمعها الباحثون بالملاحظة العلمية هى وحدها الشواهد والادلة التى تقرر صحة الفروض أو النظرية . وعلى الباحث ان يتخلى عن فرضة العلمى أو نظريتة اذا لم تتوافر ادلة وشواهد كافية على صحتها.

الملاحظة الطبيعية:

من طرق البحث التى يفضلها علماء النفس ما يسمى الملاحظة الطبيعية ، أى ملاحظة الانسان فى محيطة الطبيعى اليومى المعتاد . ويعنى هذا بالنسبة للاطفال مثلا ملاحظتهم فى المنزل أو المدرسة أو الحديقة العامة أو فناء الملعب ، ثم تسجيل ما يحدث ، ويصنف رايت Wright,1960 طرق الملاحظة الطبيعية الى نوعين : أحدهما يسمية الملاحظة المفتوحة وهى التى يجريها الباحث دون ان يكون لدية فرض معين يسعى لاختبارة ، وكل ما يهدف الية هو الحصول على فهم أفضل لمجموعة من الظواهر النفسية التى تستحق مزيدا من البحث اللاحق . أما النوع الثانى فيسمية رايت الملاحظة المقيدة وهى تلك التى يسعى فيها الباحث الى اختبار فرض معين ، وبالتالى يقرر مقدما ماذا يلاحظ ومتى.

طرق الملاحظة المفتوحة:

دراسة الفرد : وتشمل مجموعة من الطرق منها المقابلة الشخصية ودراسة الحالة وتسجيل اليوميات والطريقة الإكلينيكية . وفى هذة الطرق يسجل الباحث المعلومات عن كل فرد من الافراد موضوع الدراسة بهدف اعداد وصف مفصل لة دون أن تكون لدية خطة ثابتة تبين أى المعلومات لة أهمية أكثر من غيرة . وقد يلجأ الفاحص الى تسجيل هذة المعلومات فى يومياتة فى صورة " سجلات قصصية " ، وقد يطلب من المفحوص أن يروى عن فترة معينة من حياتة فى موقف تفاعل مباشر بينة وبين الفاحص (المقابلة الشخصية) ، وقد تمتد هذة الطريقة لتصبح سجلا للفرد أو الحالة يستخدم فية الباحث مصادر عديدة للمعلومات مثل ظروف المفحوص الاسرية ، والوضع الاقتصادى والاجتماعى ، ودرجة التعليم ونوع المهنة وسجلة الصحى وبعض التقارير الذاتية عن الاحداث الهامة فى حياة الفرد ، وأدائة فى الاختبارات النفسية ، وكثير من المعلومات التى تتطلبها دراسة الحالة تتطلب اجراء مقابلات شخصية مع الفرد ، وعادة ما تتسم هذة المقابلات بانها غير مقننة أى تختلف الاسئلة التى تطرح فيها من فرد لآخر.

وتعد من قبيل دراسة الحالة وتسجيل اليوميات سير الاطفال التى كتبها الآباء من الفلاسفة والادباء والعلماء عن ابنائهم ، والتراجم التى كتبت عن بعض العباقرة والمبدعين ، والسير الذاتية التى كتبوها عن انفسهم ، كما يعد من قبيل الطريقة الكلينيكية اسلوب الاستجواب الذى استخدمة جان بياجية وتلاميذة فى بحوثهم الشهيرة فى النمو ، وعلى الرغم من ان هذة الطريقة ، باعتبارها من نوع الملاحظة المفتوحة ، فيها ثراء المعرفة وخصوبة المعلومات وحيوية الوصف الا ان فيها مجموعة من النقائص نذكر منه:

١) تعتبر هذة الطريقة من جانب الفاحص مصدرا ذاتيا وغير منظم للمعلومات ، أما من جانب المفحوص فانى الى جانب الطابع الذاتى

لتقاريرة قد تعوز المعلومات التى يسجلها الدقة اللازمة ، وخاصة حين يكون علية استدعاء احداث هامة وقعت لة منذ سنوات طويلة.

٢) المعلومات التى نحصل عليها بهذة الطريقة من فردين أو أكثر قد لا تكون قابلة للمقارنة مباشرة ، وخاصة اذا كانت الاسئلة التى توجة الى كل منهما مختلفة . صحيح أنة فى بعض الطرق الكلينيكية قد تكون الاسئلة مقننة فى المراحل الاولى من المقابلة إلا ان اجابات المفحوصين على كل سؤال قد تحدد نوع الاسئلة التى تطرح على المفحوص الفرد فيما بعد ، يصدق هذا على طريقة الاستجواب عند بياجية وعلى بعض المقابلات المقننة.

٣) النتائج التى نستخلصها من خبرات افراد بذواتهم تمت دراستهم بهذة الطريقة قد تستعصى على التعميم ، أى قد لا تصدق على معظم الناس.

٤) التحيزات النظرية القبلية للباحث قد تؤثر فى الاسئلة التى يطرحها والتفسيرات التى يستخلصها.

الوصف على سبيل المثال : فى هذة الطريقة يحاول الباحث أن يسجل بإسهاب وتفصيل كل ما يحدث فى وقت معين على نحو يجعلة أقرب إلى آلة التسجيل . ولعل هذا ما دفع الباحثين الذين يستخدمون هذة الطريقة الى الاستعانة بالتكنولوجيا المتقدمة فى هذا الصدد . فباستخدام آلات التصوير وكاميرات الفيديو ، وأجهزة التسجيل السمعى يمكن للباحث أن يصل الى التسجيل الدقيق الكامل لما يحدث ، وهذة الطريقة فى الملاحظة المفتوحة اكثر دقة وموضوعية ونظاما من الطريقة السابقة ، إلا أن المشكلة الجوهرية هنا هى أننا بطريقة وصف العينة نحصل على معلومات كثيرة للغاية اذا استمر التسجيل لفترة طويلة. مثلا لقد تطلب تسجيل كل ما يفعلة ويقولة طفل عمرة ٨ سنوات فى يوم واحد أن يصدر فى كتاب ضخم مؤلف فى ٤٣٥ صفحة.

طرق الملاحظة المقيدة:

تعتمد هذة الطريقة على استراتيجية اختيار بعض جوانب السلوك فقط لتسجيلها، وبالطبع فان هذا التقييد يفقد الملاحظة خصوبة التفاصيل التى تتوافر بالطرق السابقة ، الا ان ما تفقدة فى جانب الخصوبة تكسبة فى جانب الدقة والضبط ، ولعل اعظم جوانب الكسب ان الباحث يستطيع ان يختبر بسهولة بعض فروضة العلمية باستخدام البيانات التى يحصل عليها بهذة الطريقة . وهو ما يعجز عنة تماما اذا استخدم الاوصاف القصصية التى يحصل عليها بالطرق الحرة السابقة.

عينة السلوك : وفى هذة الطريقة يكون على الباحث ان يسجل انماطا معينة من السلوك فى كل مرة يصدر فيها عن المفحوص ، كأن يسجل مرات الصراخ التى تصدر عن مجموعة من الاطفال سن ما قبل المدرسة . أو مرات العدوان بين اطفال المرحلة الابتدائية . وقد يسجل الباحث معلومات وصفية اضافية ايضا . ففى السلوك العدوانى قد يلاحظ الباحث ايضا عدد الاطفال المشاركين فى العدوان وجنس الطفل ، ومن يبدأ العدوان ، ومن يستمر فية الى النهاية ، وما اذا كانت نهاية العدوانية تلقائية أم تتطلب تدخل الكبار ، وهكذا ، ويحتاج هذا الى وقت طويل بالطبع . وتزداد مشكلة الوقت حدة اذا كان على الباحث ان يلاحظ عدة مفحوصين فى وقت واحد ، فمثلا اذا كان الباحث مهتما بالسلوك العدوانى الذى يصدر عن ستة اطفال خلال فترة لعب طولها ٦٠ دقيقة فان علية ان يلاحظ كل طفل منهم بكل دقة لخمس فترات طول كل منها دقيقتان طوال الزمن المخصص للملاحظة . ويسجل كل ما يصدر عن الطفل مما يمكن ان ينتمى الى السلوك العدوانى.

وقد يسهل علية الامر اذا لجأ الى التسجيل الشخصى المباشر ، ان يستخدم نوعا من الحكم والتقدير للسلوكم الذى يلاحظة ، وتفيدة فى هذا الصدد مقاييس التقدير التى تتضمن نوعا من الحكم على مقدار حدوث السلوك موضع البحث

ومن ذلك ان يحكم على السلوك العدوانى للطفل بانة:
يحدث دائما – يحدث كثيرا – يحدث قليلا – نادرا ما يحدث – لا يحدث على الاطلاق . وعلية ان يحدد بدقة معنى (دائما – كثيرا – قليلا – نادرا – لا يحدث) حتى لا ينشأ غموض فى فهم معانيها ، وخاصة اذا كان من الضرورى وجود ملاحظ آخر لنفس السلوك يسجل تقديراتة مستقلا تحقيقا لموضوعية الملاحظة.

عينة الوقت : فى هذة الطريقة يتركز اهتمام الباحث بمدى حدوث انماط معينة من السلوك فى فترات معينة يخصصها للملاحظة ويتم تحديد اوقاتها مقدما ، والمنطق الرئيسى وراء هذة الطريقة ان الانسان يستمر فى اصدار نفس السلوك لفترات طويلة نسبيا من الزمن ، وعلى هذا يمكننا الحصول على وصف صحيح لهذا السلوك وحكم صحيح علية اذا لاحظناة بشكل متقطع فى بعد الزمن . وتختلف الفترات الزمنية التى يختارها الباحثون لهذا الغرض ابتداء من ثوان قليلة لملاحظة بعض انواع السلوك ، الى دقائق أو ساعات عديدة لبعض الانواع الاخرى ، وفى جميع الاحوال يجب ان يكون المدى الزمنى للملاحظة واحدا تبعا لخطة معدة مقدما . وخلال هذة الفترات يسجل الباحث عدد مرات السلوك وموضه الاهتمام ، ومن امثلة ذلك ان يختار الباحث حصة فى اول النهار وحصة في آخرة مرتين في الأسبوع على مدار العام الدراسي لبحث بعض جوانب سلوك تلميذ المدرسة الابتدائية واذا عدنا لمثال السلوك العدوانى قد يقرر الباحث ملاحظة سلوك العدوان عند الاطفال خلال الدقائق العشر الاولى من كل ساعة من اربع ساعات متصلة خلال مرحلة.

ومن مزايا هذة الطريقة انها تسمح بالمقارنة الباشرة بين المفحوصين مادام الوقت الذى تجرى فية الملاحظة والزمن الذى تستغرقة واحدا.

وحدات السلوك : فى هذة الطريقة يلاحظ الباحث خلال فترة زمنية معينة وحدات معينة من السلوك وليس عينة سلوك أو عينة وقت . ومعنى ذلك ان تتم

ملاحظة احدى جزئيات السلوك بدلا من ملاحظتة ككتلة مركبة غير متجانسة ، وتبدأ وحدة السلوك فى الحدوث فى اى وقت يطرأ فية اى تغير على استجابات المفحوص وما قد يصاحبة من تغير فى بيئتة ، فمثلا اذا لاحظنا ان الطفل وهو يلعب برمال الشاطىء تحول فجأة الى وضع كمية من الرمل فى شعر طفل آخر فاننا نسجل فى هذة الحالة حدوث ذلك ، باعتبارة وحدة سلوك تختلف عما كان يحدث من قبل حين كان الطفلان يتبادلان الابتسام مثلا فأصبحا يتبادلان الهجوم ، ويسجل الباحث ما طرأ على بيئة الطفلين من تغير فى هاتين الحالتين حين كان الطفل الاول يمسك فى المرة الاولى كرة يلعب بها وحدة . فجاء ابوة واخذها منة لبعطيها للطفل الثانى الذى كان يلح فى طلبها ، وهكذا يكون على الباحث فى كل مرة ان يسجل حدوث وحدة السلوك على انها تغير فى استجابات الطفل وفى بيئتة ، وحين تنتهى فترة الملاحظة يقوم الباحث بفحص وحدات السلوك التى تم تجميعها ثم تحليلها ، ويتطلب ذلك بالطبع تصنيفها فى فئات.

تعليق عام على طرق الملاحظة الطبيعية:

من مشكلات طرق الملاحظة الطبيعية ان الملاحظ قد يتجاوز حدود مهمتة ايضا اذا تدخل فى عملية التسجيل التى يقوم عليها الوصف الدقيق للظواهر وحولها الى مستوى التفسير ، ولذلك فان كثيرا من تقارير الملاحظة لا يعتد بها اذا تضمنت الكثير من آراء الباحث وطرقة فى فهم الاحداث بدلا من ان يتضمن وصفا دقيقا للاحداث ذاتها ، واحدى طرق زيادة الدقة فى هذا الصدد تحديد انواع الانشطة التى تعد امثلة للسلوك موضوع الملاحظة ، وتكون هذة الانشطة تعريفا اجرائيا لهذا السلوك.

وتتضمن المشكلة السابقة قضية الموضوعية فى الملاحظة ، فاذا لم تكن ملاحظتنا الا محض تفسيرتنا وتأويلاتنا وفهمنا للاحداث فبالطبع لن يحدث بيننا الاتفاق المستقل فى الوصف ، لأنها سمحت بأن تلعب جوانبنا الذاتية دورا فى

ملاحظتنا . ومن الشروط التى يجب ان نتحقق منه فى طريق الملاحظة شرط الثبات ، وهو هنا ثبات الملاحظين ، ويتطلب ذلك ان يقوم بملاحظة نفس الافراد فى نفس السلوك موضع البحث اكثر من ملاحظ واحد على ان يكونوا مستقلين تماما بعضهم عن بعض ، ثم تتم المقارنة بين الملاحظين ، فاذا كان بينهم قدر من الاتفاق المستقل فيما يسجلون أمكننا الحكم على الملاحظة بالدقة والثبات ، والا كانت نتائج الملاحظة موضع شك . وبالطبع فان هذا الثبات يزداد فى طرق الملاحظة المقيدة عنة فى طرق الملاحظة المفتوحة.

وتحتاج طرق الملاحظة الطبيعية الى التدريب على رؤية أو سماع ما يجب رؤيتة أو سماعة وتسجيلة . وتدلنا خبرة رجال القضاء ان شهادة شهود العيان فى كثير من الحالات تكون غير دقيقة ، لأنهم بالطبع غير مدربين على الملاحظة . وما لم يتدرب الملاحظ تدريبا جيدا على الملاحظة فان تقاريرة لن تتجاوز حدود الوصف الذاتى المحض ، وهى بهذا تكون عديمة الجدوى فى اغراض البحث العلمى ، وفى كثير من مشروعات البحوث يتم تدريب الملاحظين قبل البدء فى الدراسة الميدانية حتى يصلوا فى دقة الملاحظة الى درجة الاتفاق شبة الكامل بينهم (بنسبة اتفاق لا تقل عن ٩٠%) .

ومن المشكلات الأخرى فى طرق الملاحظة الطبيعية ان محض وجود ملاحظ غير مألوف بين المفحوصين يؤثر فى سلوكهم ويؤدى الى أنتفاء التلقائية والطبيعية فى اللعب والعمل أو غير ذلك من المواقف موضع الملاحظة . وقد بذلت جهود كثير للتغلب على هذة المشكلة ، ومن ذلك تزويد معامل علم النفس بالغرف التى تسمح حيطانها الزجاجية بالرؤية من جانب واحد (هو فى العادة الجانب الذى يوجد فية الفاحص) . وفى هذة الحالة يمكن لفاحص ان يكون خارج الموقف ويلاحظ سلوك الشخص وهو يتم بتلقائية ، ومنها ايضا استخدام آلات التصوير بالفيديو أو السينما ، وآلات التسجيل السمعى بشرط ان توضع فى اماكن خفية لا ينتبة اليها المفحوصين ، أو توضع فى اماكن مرئية لهم

على ان تظل فى مكانها لفترة طويلة نسبيا من الزمن قبل استخدامها حتى يتعود على وجودها المفحوصين . وقد يلجأ بعض الباحثين للتغلب على هذة المشكلة الى الاندماج مع المفحوصين فى محيطهم الطبيعى قبل الاجراء الفعلى بحيث يصبح وجودهم جزءا من البيئة الاجتماعية للبحث ، وهذة الطريقة تسمى الملاحظة بالمشاركة.

وبالطبع كلما اجريت الملاحظة فى ظروف مقننة ومضبوطة زودتنا بمعلومات اكثر قابلية للتعميم ، فمثلا عند دراسة نمو القدرة على القبض على الاشياء ومعالجتها قد يتطلب الامر ملاحظات دقيقة وتفصيلية للاطفال من مختلف الاعمار ، كل منهم يقوم بمعالجة نفس الشىء فى موقف مقنن أو موحد . وحتى نوضح ذلك فقد نختبر اختبارا فرديا ٤٠ طفلا كل عشرة منهم فى مجموعة عمرية معينة ولتكن ٢٠ اسبوعا ، ٣٠ اسبوعا ، ٤٠ اسبوعا ، ٥٠ اسبوعا بينما هم جالسون جلسة معتدلة فى مقعد مرتفع ، ثم نضع مكعبا على لوح خشيى امام كل طفل ، وفى هذة الحالة يمكننا ان نلاحظ ونسجل بالتفصيل جهود الطفل للقبض على المكعب الخشبى ومعالجتة.

وبالطبع فان التصوير السينمائى لاستجابات الاطفال يعطى تسجيلا موضوعيا وكاملا ويمكننا ان نحللة بدقة ونعود الية اذا اختلفنا فى ملاحظة اساليب الطفل فى القبض على الاشياء (مثلا استخدام الذراع أو الرسخ أو اليد أو الاصابع). وتعطينا المقارنة بين سجلات الاطفال من مختلف الاعمار اساسا لوصف اتجاهات النمو فى القدرة على معالحة الاشياء.

وأخيرا فان الملاحظة الطبيعية فيها كل خصائص التعقد والتركيب لمواقف الحياة الطبيعية التى تتحرر منها قدر الامكان المواقف المعملية . الا ان هذا ليس عيبا فى الطريقة وانما هو احد حدودها ، فالواقع اننا فى حاجة الى البحوث التى تعتمد على وصف دراسة السلوك الانسانى فى سياقة الطبيعى والمعتاد والتى قد تقودنا الى بحوث آخرى تعتمد على طرق أخرى تستند فى جوهرها على منطق

العلية ، توجها الى التفسير والتنبؤ والتوجية والتحكم فى هذا السلوك.

الطريقة التجريبية:

الطريقة التجريبية أساس التقدم العلمى فى مجالات المعرفة البشرية لأنها تنتهى الى الكشف عن اسباب الظواهر والعوامل المؤثرة فيها ، ولذا تعد هذة الطريقة ، الطريقة الرئيسية فى ابحاث العلوم الطبيعية ، وتقترب العلوم الانسانية من دقة وموضوعية تلك العلوم بمقدار استخدامها لتلك الطريقة فى ابحاثها المختلفة.

وهى تحقق كل الاهداف الثلاثة الاساسية للبحث العلمى وهى : التنبؤ ، والفهم ، والتحكم . ولا تكاد ترقى اغلب الطرق الآخرى الى ما ترقى الية التجربة ، لأن تلك الطرق غالبا ما تنتهى عند هدف الفهم ولا ترقى الى هدف التحكم.

المتغير المستقل والمتغير التابع:

المتغير المستقل : هو العامل الذى يظهر أو يختفى أو يتغير تبعا لظهور أو اختفاء أو تغير المتغير الذى يتحكم فية الباحث ويعالجة تجريبيا فيظهرة أو يخفية أو يزيدة أو ينقصة فى محاولتة لتحديد علاقتة بظاهرة تلاحظ ، وغالبا ما يرمز لة بالرمز " م " أى المثير أو متغير الاستثارة.

المتغير التابع : ويرمز لة بالرمز " س " أى الاستجابة أو متغير الاستجابة والباحث لا يتحكم فيما يحدث للمتغير التابع ، وما علية إلا أن يسجل ما يحدث لهذا المتغير نتيجة لتحكمة هو فى المتغير المستقل ، وذلك لأن ما يحدث للمتغير التابع هو فى الحقيقة نتيجة لما حدث أو يحدث للمتغير المستقل.

الجماعة التجريبية والجماعة الضابطة : الجماعة التجريبية هى الجماعة التى يتعرض افرادها للمتغير المستقل ، والجماعة الضابطة هى الجماعة التى يناظر افرادها افراد الجماعة التجريبية ولا يتعرضون للمتغير المستقل.

فاذا كان الهدف مثلا هو قياس أثر وجود الجماعة على انتاج الفرد فان الجماعة التجريبية فى هذة الحالة يمكن ان تكون من مجموعة من الافراد بحيث يعمل كل فرد من افرادها فى مواجهه جماعة من الناس وتصبح المتغيرات

التابعة فى الجماعة التجريبية انتاج الافراد فى الاعمال التى يقومون بها.

وتتكون الجماعة الضابطة من مجموعة من الافراد ، بحيث يناظر افرادها الجماعة التجريبية ويعمل كل فرد من افرادها بمعزل عن جماعة المواجهه التى يتعرض لها افراد الجماعة التجريبية . وبذلك لا يتعرض افراد مثل هذة الجماعة للمتغير المستقل . وتصبح المتغيرات التابعة ايضا هى انتاج افراد الجماعة الضابطة أو استجاباتهم.

التصميم التجريبى : يدل التصميم التجريبى فى معناة العام على خطة التجربة التى تشتمل على اختيار الافراد . وترتيب الاجراءات . ونوع المعالجة التجريبية. وطريقة تسجيل البيانات . زمع الاشارة الى الاسلوب الاحصائى الذى سيتبع فى تحليل النتائج.

وعلى الرغم من ان المنهج التجريبى هو اقوى المناهج فى اختبار العلاقات السببية والتى تقود الى تفسيرات مقنعة فان فية بعض المشكلات التى نلخصها فيما يلى:

١) مجرد وجود المفحوص ضمن اجراء تجريبى قد يؤثر فى سلوكة ويجعلة يفتقد التلقائية والطبيعية التى تميز طرق الملاحظة المباشرة واذا حدث ذلك فان نتائج التجربة لن تصدق على احداث الحياة الواقعية.

٢) البيئة (المعملية) المضبوطة المقننة التى عادة ما تجرى فيها البحوث التجريبية هى ايضا بيئة اصطناعية للغاية ومن المتوقع للمفحوصين ان يسلكوا على نحو مختلف فى مواقف الحياة الفعلية ، ولهذا يجب ألا تنتقل نتائج بحوث المعمل الى الميدان انتقالا مباشرا ، وانما على الباحث ان يمر بخطوات عديدة فى سبيل ذلك . واحدى طرق التغلب على هذة المشكلة تصميم تجارب تبدو طبيعية للمفحوصين ويمكن جعل الموقف التجريبى اكثر طبيعية للاطفال مثلا بان تجرى التجربة فى موقف معتاد كالبيت أو المدرسة ، كما ان الاطفال قد يسلكون على

نحو اكثر طبيعية اذا قام والداهم أو معلموهم بدور المجربين بدلا من وجود شخص غريب لا يعرفونة بشرط تدريب هؤلاء على شروط التجربة واجراءاتها ، كما يمكن عرض الموقف التجريبى على نحو يتفق مع ميول الاطفال كأن تعرض اسئلة اختبار الذكاء أو الابتكار عليهم على انها نوع من الالعاب أو الالغاز بدلا من القول على انها لسئلة فى اختبار ، كما يمكن للباحث اجراء تجربة ميدانية فى البيئة الطبيعية بالفعل على نحو يجعل المفحوصين لا يشعرون بانهم موضع تجربة . وهذا الاسلوب يجمع بين مزايا الملاحظة الطبيعية والضبط الاكثر احكاما فى الموقف التجريبى.

٣) التوزيع العشوائى للمفحوصين على مجموعات المعالحة يحدث فى بعضهم استجابات سلبية ازاء الموقف التجريبى . وخاصة اذا كان على المفحوص ان يعمل مع مجموعة لا يحب الانتساب اليها . ومعنى ذلك ان الباحث التجريبى علية ان يتعامل مع مفحوصية على انها بشر . واذا نشأت مثل هذة المشكلات علية ان يواجهها ويحلها فى الحال لا ان يتجاهلها ، لأن مثل هذة الاتجاهات السلبية لدى بعض المفحوصين قد يهدد صدق نتائج البحث.

٤) الاجهزة والادوات والمواد التى تستخدم فى الموقف التجريبى وخاصة داخل المعمل قد تؤدى بالمفحوص الى الاعتقاد بان عليهم ان يسلكوا على نحو غير عادى . زمن ذلك مثلا ان يطلب منة حفظ مقاطع عديمة المعنى . وهو ما لايفعلة عادة فى حياتة اليومية.

٥) توقعات المجرب قد تؤثر فى نتائج التجربة . فالباحث الذى يعتقد بشدة فى صحة فرضة فانة قد يلجأ ، ولو عن غير قصد ، الى تهيئة الشروط التى تدعم هذا الفرض . ولعل هذا يفسر لنا كثرة الفروض التى تتحقق فى بحوثنا العربية بينما نسبة كثيرة منها لم يتحقق فى البحوث

التى اجريت فى بيئات اخرى . بل لعل هذا يفسر لنا ما نلاحظة على بعض الباحثين الذين يشعرون بالضيق والقلق حين لا تتحقق فروضهم. زهذا لون من الخطأ الفاحش فى فهم طبيعة البحث العلمى . لقد صارت الفروض عند بعض الباحثين جزءا من نظامهم العقيدى لا قضايا تقبل الصحة والخطأ على اساس الادلة والشواهد والموضوعية . وللتغلب على هذة المشكلة يقترح علماء مناهج البحث استخدام اسلوب اجراء التجارب بطريقة " معماة " على الفاحصين ، وفى هذة الحالة لا يعلم الفاحصون ولا المفحوصون أى معالجة يشاركون فيها الا بعد انتهاء التجربة.

وبالرغم من هذة المشكلات . تبقى للمنهج التجريبى قيمتة العظمى فى تزويدنا بأدق فهم لعلاقات السبب – النتيجة فى دراسة السلوك الانسانى.

الطريقة المستعرضة : وتعتمد فى جوهرها على انتقاء عينات مختلفة من الافراد من مختلف الاعمار ، ثم نلاحظ فيهم بعض جوانب السلوك موضع الاهتمام أو تطبيق عليهم مقاييس لهذة الجوانب من السلوك ، على ان تتم الملاحظة أو القياس فى نفس الوقت تقريبا ، ويقارن أداء العينات المختلفة فى كل مقياس على حدة ، وتتم هذة المقارنات فى ضوء متوسطات العينات أى أن المقارنة بين مختلف الاعمار تتم فى ضوء الفروق بين المجموعات ، وتفترض هذة الطريقة أن هذة المتوسطات توضح مسار النمو العادى وتقترب بنا الى حد كبير من الدرجات التى نحصل عليها لو أجرينا البحث على افراد من عمر معين ثم أعيد اختبارهم تتبعيا عدة مرات حتى يصلوا الى الحد الاقصى من العمر موضع البحث . ومن امثلة ذلك اذا اراد الباحث دراسة النمو العقلى باستخدام هذة الطريقة فانة يختار عينات من الاطفال والمراهقين والشباب والكهول والمسنين يطبق عليهم خلال فترة زمنية معينة قد لا تتجاوز الاسبوع الواحد اختبارات تقيس الذكاء يفترض فيها انها تقيس نفس الخاصية السلوكية .

ثم يقارن بين متوسطات ادائهم فى هذة الاختبارات الا ان لهذة الطريقة مشكلاتها المنهجية التى تتلخص فيما يلى:

1) العوامل الانتقائية فى العينات المختلفة : فجماعات العمر المختلفة قد لا يكون بينها وجة للمقارنة نظرا لآثار العوامل الانتقائية المتتابعة . ويظهر أثر هذة العوامل خاصة حين تجرى البحوث على التلاميذ والطلاب . فطلبة الجامعات الذين نختارهم لفئة الشباب أكثر انتقائية من طلبة المدارس الثانوية الذين نختارهم لفئة المراهقين ، وأولئك أكثر انتقائية من تلاميذ المدارس الابتدائية الذين نختارهم لفئة الاطفال ، وذلك لأن الطلاب الاقل قدرة يتم استبعادهم خلال مسار العمل التعليمى ، وهكذا فان المتوسط المرتفع لطلاب الحامعات قد ينتج عن عمليات التصفية هذة . ولذلك لكى تستخدم هذة الطريقة بفعالية أكثر فى بحوث النمو لا بد ان تكون ممثلة للأصول الاحصائية العامة للسكان من مختلف الاعمار وان تشتق منها . لا ان يتم اختيار مجموعة الافراد من مؤسسات تعليمية أو مهنية.

2) اللاتاريخية : تفتقد هذة الطريقة المعنى التاريخى الذى هو جوهر البحث فى النمو ، فالطريقة كما هو ملاحظ تقتصر على دراسة الفرد الواحد فى لحظة زمنية معينة ، وبالتالى لا توفر لنا معلومات عن السوابق التاريخية للسلوك ، أى ما هى الخبرات المبكرة التى تؤثر فى السلوك موضع البحث ، كما لا تقدم لنا شيئا من المعرفة عن مدى استقرارالسلوك أو عدم استقرارة فى الفرد الواحد . أى الى أى حد يظل السلوك الملاحظ فى وقت معين هو نفسة حين يلاحظ فى وقت آخر . ويرجع ذلك فى جوهرة الى ان التصميم المستعرض يوفر لنا معلومات عن الفروق الجماعية اكثر مما يقدم اية معلومات عن النمو داخل الفرد.

٣) اختلاف رصيد الخبرة : قد لا يكون هناك درجة للمقارنة بين ارصدة الخبرة المختلفة عند جماعات الاعمار المختلفة التى تدرس فى لحظة زمنية معينة . فمن المستحيل الحصول على عينات مختلفة الاعمار فى وقت معين ونفترض انها عاشت فى ظروف ثقافية موحدة عندما كانت متساوية فى العمر، وواقع الامر ان المقارنة فى هذا النوع من البحوث تكون بين جماعات عمرية تفصل بينها فوارق زمنية مختلفة قد تصل الى حد الفروق بين الاجيال ، كما هو الحال عند المقارنة فى لحظة معينة بين سلوك عينات من الاطفال والمراهقين والراشدين . فمثلا لا يستطيع احد ان يعزى الفروق بين من هم اليوم فى سن الاربعين ومن هم الآن فى سن ١٥ سنة أو ٨ سنوات الى عوامل تتعلق بالعمر وحدة . فعندما كان الافراد الذين هم الان فى سن الاربعين فى سن الخامسة عشرة أو الثامنة كان التعليم اكثر تواضعا والفرص المتاحة للاطفال والشباب اقل تنوعا ، والاتجاهات الاجتماعية اكثر اختلافا ، ومعنى هذا ان الاختلافات بين مجموعات العمر قد ترجع فى جوهرها الى ظروف متباينة نتيجة للتغيرات الثقافية والحضارية ، وبالتالى لا يمكن الجزم بان التغير المشاهد يرجع الى العمر وحدة . ولعل هذا يدفعنا الى ان ننبة دائما الى ضرورة حساسية الباحث لعينة المفحوصين فى هذا النوع من البحوث والتى تختلف فى جوهرها من عمر لآخر . ومن جيل لآخر ، فالمفحوصين فى الدراسات المستعرضة لا ترجع الفروق بينهم الى العمر الزمنى وحد ولكن ايضا الى الفترة الزمنية التى ولدوا ونشأوا فيها . ومعنى ذلك ان الجماعات العمرية فى هذة البحوث تؤلف اجيالا مختلفة . ومفهوم الجيل يعنى مجموعة الافراد الذين ولدوا وعاشوا خلال نفس الفترة الزمنية ولهذا يفترض منهم ام يشتركوا فى كثير من الخبرات الثقافية والاجتماعية التى قد تؤثر فى جوانب نموهم .

تأمل مثلا أثر التنشئة فى عصر الكمبيوتر والفيديو ومن قبلهما التليفزيون ، فالانسان المعاصر يجنى ثمار هذا الانفجار الاتصالى بتعرضة لمدى اكثر اتساعا من المعلومات لم يسبق الى مثلة فى الماضى ، فاذا قورن اطفال اليوم بالاشخاص الذين يبلغون الان من العمر ٥٠ أو ٦٠ عاما حين كانوا فى طفولتهم فاننا نتوقع ان نجد لدى شباب اليوم اتجاها مختلفا نحو التكنولوجيا . ومن الصعب حينئذ ان نحدد بحسم ما اذا كان هذا الاختلاف هو نتاج التغيرات التى ترجع الى النمو ام انها ببساطة ترجع الى اختلاف فرص التعرض للتكنولوجيا الحديثة.

٤) المقارنة الجماعية : لا تسمح الطريقة المستعرضة الا برسم منحنيات المتوسطات موضوع البحث . والسبب فى هذا ان الاشخاص مختلفون فى كل مستوى عمرى من مستويات البحث ، ويتحيل فى هذة الحالة رسم المنحيات الفردية ، الا ان مثل هذا الاجراء قد يخفى اختلافات هامة بين الافراد من ناحية وداخل الافراد من ناحية آخرى ، وقد ينشأ عن رسم المنحنيات الجماعية ان تتلاشى هذة الاختلافات أو تزول ، ولهذا قد يكون منحنى المتوسطات الناجم مختلفا اختلافا بينا عن منحنى النمو لكل فرد على حدة . ومن اشهر النتائج التى توضح لنا خطورة هذة المسألة حالة التقدم الفجائى فى النمو الذى يسبق المراهقة . فمنحنيات النمو الفردية بالنسبة لكثير من السمات الجسمية تكسف عن زيادة فجائية تطرأ على معدل النمو الجسمى قبيل البلوغ . ولما كان الافراد يختلفون فى سن البلوغ فان هذة الوثبة تحدث فى فترات مختلفة لكل فرد على حدة وبالتالى يمكن ان تظهر فى المنحنيات الفردية للافراد المختلفين ، فاذا رسمت المنحنيات الجماعية نجد ان هذة الاختلافات الفردية يلغى بعضها بعضا ، ونجد المنحنى الناجم عن

الفروق الجماعية لا يكشف عن هذة الزيادة الفجائية الا اذا اشتملت عينة الدراسة على افراد يصلون الى البلوغ فة نفس السن ، وهو احتمال صعب الحدوث.

وبالرغم من مشكلات الطريقة المستعرضة الا انها اكثر شيوعا فى بحوث المقارنات بين الاعمار ربما لسهولتها النسبية وسرعتها الظاهرة ، واقتصادها الواضح فى الوقت والجهد . اضف الى ذلك انها تهيىء للباحث فى مجال النمو الانسانى نظرة مجملة للظاهرة النمائية موضع البحث.

الطريقة الطولية : وفيها تتم ملاحظة نفس العينة من الافراد التى تكون من نفس العمر لحظة البدء فى البحث واعادة ملاحظتهم أو اختبارهم عدة مرات على فترات زمنية مختلفة ، وهذة الفترات تختلف حسب طبيعة البحث أى أن هذة الطريقة تتطلب تكرار الملاحظة والقياس لنفس المجموعة من الافراد لفترة زمنية معينة . وبالطبع فان مدى الزمن المستغرق والفواصل الزمنية بين الملاحظات والاختبارات تختلف من بحث لآخر ، وذلك حسب طبيعة موضوعة ففى بحث حول نمو تفضيل احدى اليدين فى العمل اليدوى يختبر الاطفال ابتداء من سن ١٠ شهور مرة كل شهر حتى يصلوا الى العمر الذى يظهر فية تفضيل لاحدى اليدين على الاخرى ، وهو عادة ما يكون سن ١٨ شهرا . وفى بحث النمو العقلى قد نحتاج لفترات زمنية اطول . فالاطفال يختبرون كل شهر عندما يكون عمرهم بين شهر واحد و ١٥ شهر ، ثم كل ٣ شهور بعد ذلك حتى يصلوا الى سن ٢,٥ سنة ، ثم كل ٦ شهور حتى يصلوا الى سن الخامسة ، ثم كل سنة حتى سن المراهقة ، وبعض البحوث تتضمن نظاما مختلفا وفترات زمنية اطول وخاصة حين يكون اهتمامها بالنمو عبر مدى الحياة.

والطريقة الطولية بهذا تتغلب على بعض مشكلات الطريقة المستعرضة ، وتوفر للباحثين امكانات بحث افضل . انها تقدم صورة جيدة عن النمو داخل الافراد وليس صورة مجملة عن الفروق بين الجماعات العمرية . ثم انها تحدد لنا اى

الظروف السابقة أو الخبرات السابقة يؤثر فى النمو السلوكى موضع البحث . ففيها لا تتداخل الفروق بين الاجيال والفروق داخل الجماعات من فروق العمر، كما هو الحال فى الدراسات المستعرضة ، ولعل من اهم مميزات التحكم فى اثر اختلاف الاجيال ان الاثار فيها ترجع الى زمن ولادة المفحوص أو الجيل الذى ينتسب الية ولا ترجع فى الواقع الى محض عمرة ، فالاجيال كما بيننا قد تختلف فى سنوات التعلم ومما رسات تنشئة الاطفال والصحة والاتجاهات نحو الموضوعات الحساسة كالجنس أو الدين ، وهذة الاثار التى ترجع الى الاجيال لها اهميتها لأنها تؤثر بقوة فى المتغيرات التابعة فى الدراسات التى تبدو ظاهريا مهتمة بالعمر ، وآثار اختلاف الاجيال قد تبدو كما لو كانت آثار اعمار مع انها ليست كذلك بالفعل ، ومن ناحية اخرى فان هذة الطريقة تسمح للباحثين بتحليل الاستقرار أو الاختلاف الذى يحدث داخل الفرد بمرور الزمن . أضف الى ذلك ان هذة الطريقة تستغرق وقتا طويلا فى دراسة كل الفروق بين افراد العينة حتى يكتما البحث ، ومعنى ذلك انها اقل جاذبية من الطريقة المستعرضة فى ضوء معيار الزمن ، ومع ذلك فاننا بها وحدها نستطيع ان نحدد اى الشروط او الخبرات السابقة تؤثر فى نمو السلوك موضع البحث.

ومع هذة المزايا الظاهرة للطريقة الطولية الا ان لها مشكلاتها ايضا نلخصها فيما يلى:

١) العوامل الانتقائية فى العينة الاصلية : فالافراد الذين يشاركون فى بحث من طبيعتة ان يستمر لعدة سنوات يتم انتقائهم فى الاغلب تبعا لعوامل تحكمية وليست عشوائية . ومن هذة العوامل استقرار محل الاقامة ، والتعاون المستمر مع الباحث ، وبالطبع فان المفحوصين الذيم يتم انتقاؤهم بهذة الطريقة قد تتوافر فيهم حصائص أخرى بالمستوى الثقافى والميول والاتجاهات بل والظروف الطبيعية والصحية تختلف عن الاصل السكانى العام على نحو يجعلها منذ البداية عينة متحيزة ولبست

عشوائية ، فقد تكون العينة أعلى نسبيا من المستوى العام للاصل الاحصائى السكانى. وقد يكون العكس صحيحا ايضا فى بعض عينات هذة البحوث ومن ذلك الافراد الذين يقيمون فى المؤسسات (كالاطفال والمراهقين الذين يعيشون فى الملاجىء والشيوخ الذين يقيمون فى بيوت المسنين) فاطفال ومراهقو الملاجىء والاصلاحيات يمثلون مستوى ادنى من الاصل الاحصائى العام . بينما شيوخ دور المسنين قد يكونون من مستويات اقتصادية واجتماعية عالية نسبيا اذا كانت هذة البيوت بمصروفات تديرها جمعيات خاصة ، وقد يكونون من مستويات دنيا اذا كانت هذة البيوت من النوع المجانى الذى تديرة هيئات حكومية للإيواء العام . وفى الحالتين يصعب تعميم نتائج مثل هذة البحوث الطولية على المجتمع الاصلى ، ومع ذلك فان لهذة البحوث فائدتها اذا تم توصيف الاصل المشتقة منة العينات توصيفا دقيقا ، أو تم توصيف العينة موضوع البحث توصيفا مفصلا بحيث يمكن تعميم النتائج التى تتوصل اليها البحوث على اى اصل احصائى مشابة لها.

٢) النقصان التتابعى للعينة : فلا شك فى ان البحث الطولى يستغرق فترة طويلة نسبيا من الزمن ، ولهذا نتوقع ان يتناقص عدد المفحوصين تدريجيا ، ولذلك فان المتابعات المتأخرة لنفس العينة نجدها تتم على اعداد قليلة الى حد كبير لة قورنت باحجم الاصلى لهذة العينة عند بدء البحث منذ سنوات بعيدة ، وهذا التسرب فى العينة لا يتم بطريقة عشوائية ، فالمفحوصون الذين يستمرون فى المشروع التتبعى حتى نهايتة هم فى العادة من الذين يتسمون بانهم اكثر تعاونا واكثر دافعية واكثر مثابرة واكثر كفاءة من اولئك الذين يتسربون طوال الطريق . وعلى هذا فانة عند نهاية اى دراسة طولية نجد ان المتبقى من عينة المفحوصين قد يكون متحيزا على نحو يجعل من الصعب مرة اخرى

الوصول الى استنتاجات وتعميمات الى الاصل الاحصائى العام.

٣) أثر اعادة الملاحظات : توجد مشكلة منهجية ثالثة فى البحوث الطولية تتمثل فى الاثر المحتمل الذى تحدثة المشاركة المستمرة فى سلوك المفحوص ، فالممارسة المتكررة للاختبارات وزيادة الالفة بفريق البحث، والتوحد باحدى الجماعات لفترة طويلة نسبيا من الزمن . هى جماعة البحث . وغير ذلك من ظروف البحث الطولى التتبعى ذاتة ، قد تؤثر جميعا فى اداء المفحوص فى الاختبارات وفى اتجاهاتة ودوافعة ، وفى توافقة الانفعالى ، وغير ذلك من جوانب السلوك . ومن ذلك مثلا ان المفحوص حين يعطى نفس الاختبارات أو ما يسبهها عدة مرات فانة يصبح على درجة كبيرة من الخبرة بها وفى مثل هذة الحالات سوف يؤدى المفحوص جيدا على الاختبارات اللاحقة لا بسبب النمو وانما بسبب أثار تكرارالممارسة. وعلى الرغم من هذة الطريقة تستغرق وقتا طويلا وتتطلب تكلفة هائلة فانها لها قيمتها فى انها تهيىء لنا تتبع مسار التغيرات فى المفحوصين كأفراد عبر الزمن . تخيل باحثا يجرى دراسة على النمو العقلى خلال مدى الحياة . انة يواجه المهمة المستحيلة اذا صمم بحثة لجمع البيانات بنفسة ، لأنة اذا بدأ بحثة على مفحوصيم من الاطفال وعمرة مثلا ٢٥ سنة ، فانة حين يبلغ مفحوصوة سن ٦٥ سنة مثلا ويدخلون فى مرحلة الشيخوخة ربما يكون قد مات هو نفسة . بل انة فى الحدود الزمنية الاقل تطرفا توجد عوائق كثيرة من الوجهه العملية ، ولهذا السبب نجد ان القاعدة هى وجود بحوث طولية قصيرة المدى لا تتجاوز فى العادة خمس سنوات.

٤) أثر وقت القياس : يمكن لبعض الاثار التى تحدث فى المفحوصين من عينة البحث الطولى ان ترجع الى وقت القياس وليس الى النمو فى ذاتة . لنتأمل مثلا فرضية فحصت التغيرات المرتبطة بالعمر فى

الاتجاة نحو العمل اليدوى اثناء الرشد ، ان هؤلاء المفحوصين اذا كانوا قد اختبروا أو تمت ملاحظتهم ومقابلتهم فى اوائل الخمسينات حين كانوا فى بداية المراهقة قد يظهرون اتجاهات محافظة نسبيا حول هذا الموضوع ، ولكنهم عندما يختبرون اليوم بعد اكثر من ثلاثين عاما فان هؤلاء المفحوصين انفسهم قد يكونون اكثر تحررا وتسامحا فى اتجاهاتهم ، وقد تفسر هذة النتيجة بانها تعنى ان الاتجاة نحو العمل اليدوى يصير اقل محافظة عند التحول من المراهقة الى الرشد الاوسط، الا ان السبب الحقيقى ان الزمن قد تغير طوال هذة الفترة مع تغير المجتمع ككل حيث اصبح اكثر تقبلا للعمل اليدوى . فالتغيرات الملاحظة فى هذة الدراسة الفرضية قد تعكس بنفس القدر التغير التاريخى فى المجتمع وليس التغير النمائى العادى الذى يحدث خلال الرشد فحسب ومعنى ذلك ان التصميم الطولى فى ذاتة لا يساعدنا بالضرورة على الوصول الى تعميمات جيدة حول آثار النمو ، وكما هو الحال بالنسبة للبحوث المستعرضة لا بد ان تكون حذر شديد فى تفسير النتائج. (١٧)

الفصل السادس

الأسرة ودورة حياتها

أولا: مفهوم العائلة

هناك العديد من المفاهيم المرتبطة بالعائلة وهى :

١ – العائلية Familism

شكل من أشكال التنظيم الاجتماعى يتميز بسيادة القيم العائلية التى تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح ورفاهية العائلة ككل ، ويتميز هذا التنظيم بإحساس أعضائه القوى بالتوحد والولاء العائلى والعون المتبادل والاهتمام باستمرار وبحدة العائلة [١].

٢– عائلة ملتحمة (متصلة) Family , Joint

مصطلح يستخدم عموما للإشارة إلى نمط من الأسر المركبة أو الممتدة، يتكون من عدة أسر نووية ترتبط ببعضها البعض بروابط القرابة أو النسب [٢].

٣– العائلة الأصلية (الكبيرة) Stem Family

صاغ هذا المصطلح فريدريك لوبلاى (١٨٥٥) للإشارة إلى شكل معين من أشكال الأسرة كان منتشرا بين عائلات كبار الملاك الأثرياء فى المناطق الريفية من أوربا . وكانت حقوق ملكية الأرض أو الثروة تنتقل من جيل إلى جيل ، وكان كل وارث يصبح بؤرة التنظيم العائلى فى هذا الجيل[٣].

٤– عائلة ممتدة Extended family

امتداد عضوية الأسرة إلى ما بعد حدود الأسرة النووية . وهذا الامتداد يمكن أن يشمل أفرادا من نفس الجيل أو من عدة أجيال . ويمكن تصنيف أشكال العائلة الممتدة طبقا للروابط بين الأسر النووية التى تكونها . فيمكن القول مثلا أن هناك العائلة الممتدة التى تضم أسر الأخوات أو أسر الإخوة ، فى فرع الأم أو فى فرع الأب . وقد شاع استخدام تصنيف أنماط الأسرة إلى ممتدة أو نووية كثيرا فى علم الاجتماع ، إلا أنه لا يعد ذا قيمة تحليلية فى علم الأنثروبولوجيا ، حيث أن الدراسات الأنثروبولوجية للجماعات والشبكات القرابية ، تستخدم مجموعة من الفئات والتصنيفات المعقدة بدلا من التفرقة البسيطة بين الأشكال النووية والممتدة [٤].

٥- أسرة (عائلة) Family

أ- يمكن تعريف الأسرة الإنسانية . أنها جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تكون من رجل وامرأة (يقوم بينهما رابطة زواجية مقررة) وأبنائهما .

ومن أهم الوظائف التى تقوم بها هذه الجماعة ، إشباع الحاجات العاطفية ، وممارسة العلاقات الجنسية ، وتهيئة المناخ الاجتماعى الثقافى الملائم لرعاية وتنشئة ، وتوجيه الأبناء .

ويلاحظ أن الجماعة التى تتكون على الأساس السابق وتمارس هذه الوظائف تختلف فى بنائها إختلافا واضحا ، ومن ثم يتعين عند تعريف الأسرة أن يتضمن التعريف الإشارة إلى النماذج المحتملة لهذه الجماعة .

ب- وتتألف الأسرة الإنسانية البيولوجية العامة من الآباء وأبنائهم، وقد تشتمل الأسرة البسيطة أبناء بالتبنى الرسمى ويطلق على هذا الشكل مصطلح الأسرة النواة Nuclear Family أو الأسرة المباشرة أو البيولوجية أو الأسرة الأولية أو الأسرة المحدودة .

ويتفق معظم العلماء على أن هذا الشكل البسيط للأسرة منتشر فى كافة المجتمعات .

جـ- ويقوم على هذا النموذج من نماذج الأسرة نماذج أخرى متعددة كالأسرة الممتدة Extended Family والأسرة الممتدة الزواجية التى تتكون عن طريق إضافة أزواج أخر (زواج الأخوة من امرأة واحدة البوليجامى).

د- وقد واجهت علماء الاجتماع صعوبة بالغة فى معالجة الأسرة نظرا لأنها تخلط بين سمات بيولوجية عامة لدى البشر ، وسمات أخرى عديدة .

فنجد مثلا ماكيفر يكتب عن الأسرة قائلا : " أن الأسرة جماعة تعرف على أساس العلاقات الجنسية المستمرة على نحو يسمح بإنجاب الأطفال ورعايتهم " غير أن هذه المحاولة للتوصل إلى تعريف ينطبق انطباقا عاما . تعتمد أساسا على الأهمية الاجماعية لإحدى الوظائف البيولوجية الأساسية ، ومن ثم فهى تتجاهل طائفة كبيرة من الجوانب الثقافية الكامنة فى الأسرة . على أن ماكيفر وأن كان قد اهتم بالعامل البيولوجى ، إلا أنه يؤكد مدخلا تاريخيا هاما فى علم الاجتماع وهو الطابع النظمى الذى تتخذه الأسرة لما تؤديه من وظائف مجتمعية هامة . ومع أن هذا المدخل يعد ضروريا لدراسة الأسرة ، إلا

أنه يتعذر استخدامه كأساس وحيد لتعريفها ، لأنه يتجاهل العديد من الوظائف الشخصية للأسرة ونتيجة ذلك ، يتحدث علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر عن التحول الذى طرا على نظام الأسرة ، حين تتجه إلى أن تصبح نوعا من الرابطة أو التفاعل المستمر بين بعض الأشخاص أو ما يسمى " بالمرافقة " .

لكن هذه النظرة أيضا تغفل أهمة الأسرة كجماعة إنسانية عامة . ونجد روبرت لوى R.H Lowie يكتب عن الأسرة قائلا : "أن الأسرة هى الوحدة الاجتماعية القائمة على الزواج" ، اى أنه يجعل من الأسرة ظاهرة ثقافية خالصة ، على حين انه يلاحظ أن بيلز و هيوجر يصفان الأسرة " جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة " .

ويحتاج هذا التعريف بالطبع إلى تحديد معنى القرابة أو روابط القرابة ، حتى يمكن إدخال الزوجين ضمن الأسرة . وهكذا ، نلاحظ أن أى تعريف مقبول للأسرة يجب أن يأخذ فى الاعتبار كلا من الجانب الثقافى والبيولوجى ، ويحسب حسابا للخصائص النظامية والشخصية على السواء .

هـ- ويحاول جيلين أن يحدد أهم خصائص الأسرة من خلال وضعها فى الإطار البيولوجى الثقافى الملائم ، فهى : أولا : تتميز بوجود رابطة زواجية بين عضوين على الأقل من جنسين مختلفين ، ثانيا : تعترف ببعض صلات الدم التى تتبنى عليها مصطلحات القرابة والتزاماتها ، وثالثا : تشير إلى شكل معين من أشكال الإقامة . ورابعا: تقوم على مجموعة وظائف شخصية ومجتمعية تمارسها الأسرة .

و – ويعرف بيرجس E.W Burgess ولوك H.J.Locke الأسرة فى كتابهما The Family بأنها :

"جماعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج والدم أو التبنى ويعيشون معيشة واحدة ، ويتفاعلون كل مع الأخر فى حدود أدوار الزوج والزوجة ، الأم والأب ، الأخ و الأخت ، ويشكلون ثقافة مشتركة " .

غير أن هذا التعريف الذى يقدمه بيرجس ولوك لا يعد تعريفا كافيا للأسرة لأن الروابط الأسرية التى أشارا إليها قد تتطلب فى بعض المجتمعات اعترافا اجتماعيا بحيث لا يقتصر فيها على مجرد أنجاب الطفل فى الأسرة . ففى بعض المناطق بميلانيزيا مثلا قد لا تتحدد الأسرة التى ينتمى إليها الطفل عن طريق الولادة ، بل تتحدد عن طريق أداء بعض الأفعال الاجتماعية .

فالرجل الذى يدفع أجر القابلة يعتبر أبا للطفل كما تعتبر زوجته أما له . كما أن هناك مجتمعات لا يعرف فيها بوضوح الدور الفسيولوجى للرجل فيما يتعلق بإنجاب الطفل.

وعموما ، فإن من اهم الانتقادات التى توجه إلى تعريف بيرجس ولوك . أنهما أغفلا الاختلافات الجوهرية التى تظهر حول طبيعة بناء الأسرة واهتمامها .

ز – وتعرف الأسرة النواة بأنها " جماعة صغيرة تتكون من زوج وزوجة وأبناء غير بالغين وتقوم كوحدة مستقلة عن باقى المجتمع المحلى " . ويعتبر هذا الشكل الخاص من أشكال الأسرة من اهم خصائص المجتمع الصناعى

الحديث ، لأنه يعبر عن الفردية التى تنعكس فى حقوق الملكة والأفكار والقوانين الاجتماعية العامة حول السعادة والإشباع الفردى .

كما يعبر أيضا عن عمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى فى هذا المجتمع .

وتعد الأسرة النواة ظاهرة بارزة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، لأنها تعتمد فى تماسكها على الجذب الجنسى والصداقة التى تقوم بين الزوج والزوجة ، وبين الآباء والأبناء . غير أنه سرعان ما تضعف الروابط الأسرية عندما يكبر الأبناء. سواء من خلال تأثير جماعات الأصدقاء ، أو نتيجة لعمليات التنقل الاجتماعى والجغرافى .

إلا أنه فى المجتمعات البسيطة أو التقليدية توجد رابطة تجمع عددا من الأسر النواة أو قد تخضع لبناء أسرى كبير ومركب . ولذلك يسمى فوجل P.F Vogel وبل N .W. Bell " كل تجمع أوسع من الأسرة النواة وتقوم روابطه على أساس من الانحدار أو الدم أو الزواج أو التبنى الأسرة الممتدة " . وفى هذا الصدد يميز ميردوك G.P Murdock بين شكلين أساسين من أشكال الأسرة المركبة : الأسرة الممتدة التى تتكون من أسرتين صغيرتين أو أكثر يرتبطان فيما بينهما من خلال إمتداد علاقة الابن المتزوج بوالديه ومثال ذلك ارتباط الأسرة النواة التى يكونها الابن المتزوج بأسرة والديه (أسرة التوجيه) . ويختلف هذا الشكل عن الأسرة التعددية التى تتكون من ارتباط أسرتين صغيرتين أو أكثر عن طريق الزيجات الجمعية أو عن طريق الاشتراك فى سلف واحد ، ويعرف هذا الشكل باسم الأسرة المتصلة [٥] .

ثانيا : مفهوم الأسرة

مصطلح خلافى فى علم الأنثروبولوجى يكتنف تعريفه المشكلات وعدم الاتفاق ، وإن كان شأنه شأن مصطلح وحدة المعيشة يستخدم بشكل غير دقيق ودون التزام بتعريف دقيق. وقد استعرض يانيجا ساكو Yanigasako .هذا الموضوع . وقدم لنا تلخيصا ممتازا لكثير من القضايا الرئيسية المرتبطة بتعريف هذين المفهومين . وهناك اتفاق عام على أن جوهر الأسرة هو علاقات القرابة ، على حين أن جوهر وحدة المعيشة هو الأنشطة المنزلية . وعلى ذلك فالأسرة ووحدة المعيشة يمكن تمييزهما عن بعضهما ، كما أنهما فى الواقع الإمبريقى كثيرا ما يختلفان أيضا عن بعضهما البعض . وفى دراسات المجتمعات القروية يستخدم مصطلح " أسرة " فى الغالب للإشارة إلى جماعات قرابية مشتركة – ذات تعريف قانونى محدد ، وظيفتها الأساسية هى التحكم فى الثروة (خاصة الأرض الزراعية) .

ولكن مثل هذا التعريف الوظيفى للأسرة لا يصلح للاستخدام فى كثير من المجتمعات (سواء القبلية أو الصناعية) . حيث تكون مسئولية حيازة الثروة والأرض الزراعية وغيرها من الأنشطة الاقتصادية من اختصاص جماعات أخرى غير الأسرة . وهناك محاولات أخرى لتعريف الأسرة على أسس وظيفية ، من بينها تلك التى تعرفها بالإشارة إلى وظائفها الجنسية ، أو الإنجابية ، أو تنشئة الأطفال ، أو غيرها من الوظائف المنزلية . ومع ذلك ، وكما أوضح يانيجا ساكو ، فليست هناك وظيفة واحدة ، أو مجموعة وظائف يمكن القول بأنها منتشرة عالميا ، وأنها تمارس بواسطة مجموعة من الأفراد الذين تربطهم

قرابـة الـدم ويمكـن أن نطلـق علـيهم إسم " أسـرة " لـهذا السـبب اتجـه كثيـر مـن علمـاء الأنثروبولوجيا إلـى رفـض التعريفـات الوظيفيـة، مفضـلين عليهـا التعريفات البنائية .

وهكذا يعرف جود إنف Goode nough الأسرة النووية العالمية بأنـها تلـك الجماعـة التـى تتكـون مـن امـرأة وأطفالهـا الـذين تقـوم علـى تـربيتهم وعنـدما تضم تلك الجماعـة الأسرية فضـلا عن ذلك الأب (زوج المرأة) ، يطلـق عليهـا جودإنـف اسـم " الأسـرة الزواجيـة الأوليـة " . أمـا عنـدما تضـم هـذه الجماعـة إلـى جانـب ذلـك أقـارب دمـويين للمـرأة (غيـر أطفالهـا) فيسـميها " الأسـرة القرابيـة " (أو الأسرة ذات القرابة الدموية) . غيـر أن جودإنـف لـم يحـدد المكونـات الوظيفيـة لتلك العلاقات .

وقد توصـل فـورتس إلـى صـياغة تعريـف يمكـن أن يلقـى قبـولا لـدى كثيـر من الأنثروبولوجيين حيث اعتبر الأسرة هى " النواة الإنجابية " للجماعة المنزليـة . وهـذه الجماعـة الإنجابيـة قـد تضـم وقـد لا تضـم فـى فتـرة معينـة زوج المـرأة . ولـذلك فـإن العلاقـات الدمويـة القرابيـة أو المصـاهرة يمكـن أن تـدرس تحـت الموضـوع العـام : القرابـة ، الـذى لا يفتـرض سـلفا أولويـة معينـة لأى جماعـة أو وحدة بذاتها . وقد ذهب ليفى شتراوس إلى أن مفهوم الأسرة النوويـة بالاستخدام التقليدى غير ملائم وناقص من ناحية التحليلية ، لأن البنـاء الأساسـى للعلاقات القرابيـة يتضـمن دائمـا موضـوع تقديم الزوجـة أو علاقـات التحـالف ، وهـو يمثـل جزءا لا يتجزأ من ذلك البناء .

الأسرة النووية كما عرفها ميردوك باعتبارها تتكون من الأم ، والزوج ، والأطفال ليست عالمية الوجود فى كل المجتمعات على نحو ما نرى على سبيل المثال عند شعب النايار Nayar فى جنوب الهند حيث تتم علاقات الزواج فى أضيق الحدود ، وان الوحدة الاجتماعية المكونة من الأم وأطفالها ليست لها علاقة مهمة مع الأب أو زوج الأم.

لذلك نلاحظ أن الاتجاه الموروث عن مالينوفسكى وغيره من الأنثروبولوجيين الذين يكزون دائما على الوظيفة الإنجابية ويعتبرونها جوهر وأساس الأسرة ،هذا الاتجاه يقعدنا عن دراسة التنوع الثقافى المقارن فى دلالة هذه الوظيفة الإنجابية ، وتفسيرها من النواحى الاجتماعية الثقافية . ويلاحظ يانيجا ساكو أن دراسات الأسرة فى ميدان الأنثروبولوجيا كثيرا ما تميزت بالتعصب السلالى والتعصب للرجل ، مما دفعها إلى تجاهل المكون السياسى لعلاقات المرأة ولوجهة نظر المرأة فى بناء الأسرة وعمليتها [٦] .

وقد اهتم عدد كبير من البحوث الأنثروبولوجية بدراسة التنوع الثقافى المقارن فى وظائف الأسرة وأشكالها ، رغم عدم الاتفاق حتى الآن على تعريف للأسرة يصدق على كل الثقافات . وهكذا ظهرت عمليات تنميط متضاربة،ركز بعضها على اختبار الفروض المتعلقة بالعموميات النفسية الاجتماعية ، على حين ركز بعضها الآخر على اختبار الفروض التطورية . ويلاحظ أن كثيرا من الدراسات الأنثروبولوجية للأسرة وبناء الجماعة المنزلية يستند إلى فرض تطورى و/ أو نفسى مؤداه : أن الأسرة (النووية) تمثل الوحدة الإنتاجية والإنجابية والاجتماعية الأساسية فى كل المجتمعات . وأن كل التجمعات أو التكوينات

القرابيــة أو المكانيــة أو السياسـية هــى كيانــات يـدل التـاريخ علــى أنهــا قامـت واعتمدت عليها. ويرتبط هذا الرأى فى أعمال فورتس بنظرية تحليلية نفسية تعطــى الأولويــة للعلاقــة بــين الأم والطفــل ، وأن كــل العلاقــات العاطفيــة والاجتماعية الأخرى إنما تنبع من تلك العلاقة ويعارض هذا التصور مفكرو النظرية البنيوية ونظرية التحالف(وخاصة ليتش ونيدهام) الذين يرون أن أساس الأنساق القرابية هى علاقة بين فئات وليس عموميات نفسية.

ويلاحظ أن التمييز الشائع فى علم الاجتماع بين أشكال الأسرة النووية والممتدة لم يستخدم كثيرا فى إطار الأنثروبولوجيا .ذلك أن الأنثروبولوجيا تتجه بدلا من ذلك إلى استخدام أسلوب أكثر دقة وإحكاما فى دراسة وتصنيف الأنماط العديدة للأسرة والجماعة المنزلية فى المنظور الثقافى المقارن .ومع ذلك فإن جانبا كبيرا من الجدل الذى دار عن الأسرة انصب حول ثنائية النووية والممتدة والفرض الشائع بأن التصنيع يؤدى إلى انهيار روابط الأسرة الممتدة . ويرى يانيجا ساكو أن الجانب الأكبر من تلك المناقشات زائف فى الحقيقة ، لأنه ينطلق من ثنائية شديدة الفجاجة تميز بين أشكال الأسرة الممتدة . لذلك يتعين إعادة صياغة تلك المناقشات فى ضوء استمرار وتحول الأشكال والوظائف الأسرية فى المجتمعات التى تشهد التصنيع والتغير الاجتماعى .

وقد ازدهرت المناقشات حول موضوع مستقبل الأسرة فى المجتمع الصناعى فى جانب منها بفضل الشواهد الأنثروبولوجية عن النسبية الثقافية لأشكال الأسرة ، وعن الفرض الشائع بان العلاقات الأسرية مسألة " طبيعية

".كما ركزت تلك المناقشات على موضوع العلاقة بين الأسرة والتنشئة الاجتماعية والأنساق السياسية أو الإيديولوجية .

وتلك قضية معقدة لأن البحوث التاريخية عن الأسرة قد أوضحت أن هناك بعض صورة التناقض وعدم الاتساق بين أشكال الأسرة وقيمها من ناحية ،والنظم السياسية والاقتصادية الدينية فى المجتمع الكبير من ناحية أخرى .إن الأسر تعمل –من بعض النواحى –من خلال عملية التنشئة الاجتماعية على استمرار الأنساق الإيديولوجية وأنساق القيم فى المجتمع الكبير ،ولكنها يمكن أن تعمل –من نواح أخرى ،وفى ظل ظروف أخرى –على مناوءة أو محاربة تلك الأنساق ،خاصة فى فترات التغير الاجتماعى أو خلال عملية تكون الثقافات الفرعية [٧] .

الأسرة تنظيم اجتماعى

تعتبر الأسرة جماعة ذات تنظيم داخلى خاص ،كما أنها وحدة فى التنظيم العام للمجتمع .وعلى حين أننا نستطيع أن نبدأ بدراسة بعض مظاهر التنظيم الداخلى للأسرة ،إلا أن العلاقات التى تتميز بها ، والعمليات التى تجرى فيها لا يمكن تفهمها إلا إذا اعتبرناها إنعكاسا لموقف الأسرة كجزء متفاعل فى مجتمع معين [٨] .

وهناك تقسيمات متعددة للأسرة من بينها : –

١ – أسرة نواة Family Atomistic

نموذج أسرى تميز أعضاؤه بدرجة عالية من الفردية وبالتحرر الواضح من الضبط الأسرى ، مما يترتب عليه أن تعلو مصلحة الفرد مصالح الأسرة ككل . وتمتاز الأسرة النواة بصغر حجمها ،حيث تتكون عادة من زوج وزوجة وأبنائهما غير المتزوجين ولا يحدث إلا نادرا وفى ظل ظروف استثنائية أن يعيش أحد البناء المتزوجين مع والديهم . ويرى كثير من الباحثين فى علم الاجتماع الحضرى أن هذا النموذج من الأسرة هو الذى يتزايد انتشاره فى المجتمعات الحضرية (٩) .

<u>٢- أسرة زواجية Family , Conjugal</u>

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى تكون العلاقات الأساسية فيه قائمة على محور العلاقة بين الزوج والزوجة أكثر من قيامها على العلاقات الدموية وتقوم بالأدوار الهامة فى هذا النموذج الزوج والزوجة وأبناؤهما غير المتزوجين وإذا ضمت الأسرة أقارب آخرين فإن دورهم يكون سطحيا وثانويا ولا تشكل الأسرة فى هذه الحالة أو تتحول إلى أسرة ممتدة (١٠) .

<u>٣- أسرة المرافقة(الرفقة) Family, Companionship</u>

الأسرة التى يقوم السلوك فيها على " العاطفة والاتفاق المتبادلين بين الأعضاء " .وقد وصفها كل من أرنست بيرجيس F.W Burgess وهارفى لوك H .J Locke بأنها " نموذج مجرد أو نمط مثالى فى مقابل النمط المثالى للأسرة النظامية .

وقد ارتبط ظهور أسرة الرفقة بانهيار الاقتصاد التقليدى ،واختفاء الوظائف التربوية والدينية والترفيهية التى كانت تقوم بها الأسرة التقليدية ،وتلاشى علاقات الجوار والمظاهر التقليدية الأخرى التى كانت تشكل احد مصادر الضبط غير الرسمى وخصوصا فى المدينة الحديثة . ويرى كثير من دارسى الأسرة فى الوقت الحاضر وخاصة فى المجتمعات الغربية أن تبادل العواطف أصبح يمثل وظيفة جوهرية لأسرة اليوم ومصدرا هاما لضبط سلوك أعضائها (١١) .

٤- أسرة مركبة Family ,Compound

نموذج أسرى يصاحب نظام تعدد الزوجات أو تعدد الأزواج حيث تتحد أسرتان نوويتان أو أكثر عن طريق الزوج المشترك أو الزوجة المشتركة (١٢) .

٥- أسرة قرابية (دموية) Family , Consanguine

أحد نماذج التنظيم الأسرى الذى ينصب التأكيد الأساسى فيه على روابط الدم بين الآباء والأبناء أو بين الأخوة والأخوات أكثر مما ينصب على العلاقة الزوجية بين الزوج والزوجة . ومعنى هذا أن علاقات القرابة الدموية تعلو على علاقة الزوجين وتشكل الأسرة القرابية أو تتحول عادة إلى أسرة ممتدة يعيش فى نطاقها جيلين أو ثلاثة (١٣) .

٦- أسرة التوجيه Family of Orientation

وتسمى أيضا " أسرة المولد " وهى تشير إلى الأسرة النووية التى ولد وتربى فيها الفرد (١٤) .

٧- أسرة زواجية Family of Marriage

تعرف أيضا باسم " أسرة التناسل " وهى أسرة نووية يكونها الفرد بالزواج وإنجاب الأطفال [١٥] .

٨- الأسرة المشتركة المتصلة Joint Family

يستخدم هذا المصطلح بنفس المعنى الذى يستخدم به مصطلح الأسرة الممتدة كما أنه يستخدم لوصف أشكال معينة من الأسرة الممتدة . ويدل بهذا المعنى الأخير ، أحيانا على أشكال الأسرة الممتدة التى تتكون من أسر نووية ترتبط فيما بينها بروابط القرابة (والزواج كالإخوة والأخوات المتزوجين وأسرهم) أو يدل على ترتيبات أخرى خاصة ناتجة عن ترابط عدة أسر نووية [١٦] .

ثالثا : مقومات الأسرة

ترجع اهم مقومات الأسرة وخصائصها بصفة عامة إلى الاعتبارات الآتية : -

أ - الأسرة أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعى وهى أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشار فلا ترى مجتمع يخلو بطبيعته من النظام الأسرى لأنها أساس الاستقرار فى الحياة الاجتماعية .

ب - تقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها الدين و المجتمع فهى ليست عملا فرديا أو إراديا ولكنها من عمل المجتمع وثمرة من ثمرات

الحياة الاجتماعية وهى فى نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع فمثلا الزواج ومحور القرابة فى الأسرة والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة كل هذه الأمور وما إليها يحددها المجتمع ويفرض عليهم الالتزام بحدودها .

جـ – تعتبر الأسرة الإطار الذى يحدد تصرفات أفرادها فهى التى تشكل حياتهم وتضفى عليهم خصائصها وطبيعتها ، والأسرة هى بؤرة الوعى الاجتماعى والتراث القومى والحضارى فهى التى تنقل هذا التراث من جيل إلى جيل آخر وهى مصدر العادات والتقاليد والعرف والقواعد السلوكية والآداب العامة ، وهى دعامة الدين والوصية على طقوسه ووصاياه ويرجع إليها الفضل فى القيام بأهم وظيفة اجتماعية وهى عملية التنشئة الاجتماعية . والأسرة هى المعلم الأول الذى يقوم بعملية الترويض الاجتماعى ، هذا ولكل أسرة سماتها الثقافية المستمدة أساسا من الثقافة العامة للمجتمع .

د– الأسرة بوصفها نظام اجتماعى تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية وتتأثر بها فإذا كان النظام الأسرى فى مجتمع ما فاسدا فإن هذا الفساد يتردد صداه فى وضعه السياسى وإنتاجه الاقتصادى ومعاييره الأخلاقية وبالمثل إذا كان النظام الاقتصادى أو السياسى فاسدا فإن هذا الفساد يؤثر فى مستوى معيشة الأسرة وفى وضعها القومى وفى تماسكها .

هـ– تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية وتبدو هذه الطبيعة واضحة إذا رجعنا إلى تاريخ الأسرة فقد كانت قائمة فى العصور القديمة بكل مستلزمات الحياة

واحتياجاتها وكانت تقوم بكل مظاهر النشاط الاقتصادى وهو " الاقتصاد المغلق " (الإنتاج لهدف الاستهلاك) [١٧] .

وعندما اتسع نطاق الأسرة واستقرت أوضاعها أصبح معظم الإنتاج العائلى من خصائص المرأة بينما ساهم الرجل بنصيب كبير فى الأعمال الإنتاجية خارج نطاق الأسرة .

و – الأسرة وحدة إحصائية اى يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الإحصائات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة وظواهر الحياة والموت وما إليها من الإحصاءات التى تخدم الأغراض العلمية ومطالب الإصلاح الاجتماعى . ويمكن ، أن تتخذ كذلك عينة للدراسة والبحث وعمل التجارب والمتوسطات الإحصائية وذلك للوقوف على طبيعة المشاكل الأسرية للقضاء عليها .

ز – الأسرة هى الوسط الذى أصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه الطبيعية والاجتماعية وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعى وتحقيق الدوافع الغريزية والجنسية والعواطف والانفعالات الاجتماعية مثل عاطفة الأبوة والأمومة والأخوة والغيرية وما إليها .

هـ – يمكن أن تستخدم الأسرة كأداة لتحديد وضع الفرد فى نظام طبقى معين . فوضع الفرد الاجتماعى يتحدد من خلال انتمائه الأسرى ، كما أن شخصيته الثقافية الاجتماعية تتكون وتأخذ ملامحها وسط الجماعات التى ينتمى إليها وأهمها الأسرة، وفى هذا الصدد يجدر الإشارة إلى تقسيم الأنثروبولوجى

الأمريكى رالف لنتون للمكانة الموروثة والمكانة المكتسبة وخلاصة هذا التقسيم أن هناك مجتمعات يتحدد فيها وضع الفرد من خلال وضع أسرته فى المجتمع " المكانة الموروثة " أو أن تتحدد مكانة الفرد من خلال إنجازاته الفردية التى تجعله بالمثل محل تقدير المجتمع " المكانة المكتسبة " (١٨) .

١-العلاقة بين الزوجين

الملاحظة فى الوقت الذى ضعفت فيه العلاقات، بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتى وشخصى واضح ، ازدادت فيه قوة العلاقة بين الزوجين ،فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التى يقضيانها مع بعضهما . وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدى ، واستمرار العلاقة الزوجية مدى الحياة ، أما الأسرة التى ينهى فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها فى حديثنا هنا .

ويشر بعض المؤلفين إلى شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديدة حيث نجد اغلب التشريعات الحديثة فى أكثر البلاد الغربية الصناعية تضع قانون الزواج اسبق من قانون الأسرة . ولا يرجع ذلك فقط إلى أن الأسرة تبدأ حتما بالزواج ، ولكنه يرجع كذلك إلى أن الزوجين فى الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبرى من الناحية البنائية .

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذى عرفناه عن الأسرة الحديثة ، والذى يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبيا بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين . وحتى بعد بلوغ أولئك

الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركون بيت الأسرة ، ويبقى الزوجان وحدهما من جديد . ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية فحسب ، ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة ، منذ عقد الزواج وحتى الموت [(١٩)] .

الزواج فى كل مجتمع عبارة عن مجموعة من الأنماط الثقافية لإقرار الأبوة وتهيئة الأساس المستقر للعناية بالأطفال وتربيتهم، فالزواج هو بالفعل الوسيلة الثقافية الأساسية لضمان استمرار الأسرة والجماعة الأخرى القائمة على القرابة .

ويرى برنارد باربر Bernard Barber أن الزواج علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة أو أكثر ، وهى تسمح بالعلاقات الجنسية بينهما بغرض الأبوة ، ويعد الزواج نمطا خاصا من العلاقات المقبولة بمجتمعنا وهى تتم وفق معايير وضوابط معينة ومن الممكن أن تنتهى تحت ظروف خاصة يحددها المجتمع . وأهمية الزواج ليس فى إقامة علاقة بين شريكين ولكن أهميته فى العلاقات التى تربط بين عائلتيهما .

وتعكس الأمثال خصوصية العلاقة بين الزوجين " الرجل ومراته زى القبر وأفعاله " ، " الراجل ومراته زى الحلة وغطاها " ، إن كان الرجل بحر تكون المرة جسر " (الرجل والمرة : – الزوج والزوجة) .

وتبدو المرأة فى الأمثال الشعبية التى تدور حول العلاقة الزواجية لا حيلة لها غير أن تكون تابعة للرجل ،خاضعة له وفى حاجة إليه فهى تفضل

الزواج مع التبعية أفضل من أن تكون بلا زواج " ضل راجل ولا ضل حيطة " " جوز من عود ولا القعود " أى أن الزوج مهما كان نحيف وضعيف فإنه أفضل من أن تقعد الفتاة بدون زوج ، وكذلك " أقل الرجال يغنى النسا " ، اى يجعلهن لا يحتجن أحد " خودى لك راجل بالليل غفير وبالنهار أجير " .أى انه يجعلها لا تحتاج لأحد فهو يحميها فى المساء ويسعى للعمل فلا تحتاج لأحد [٢٠] .

وقد تناولت العديد من الدراسات العلاقة بين الزوجين داخل نطاق الثقافات السائدة فى المجتمعات المختلفة ، وخاصة ما يتعلق بأدوار الرجال والنساء ومكانة كل من الزوج والزوجة فى الأسرة من خلال قوة اتخاذ القرارات الأسرية ، حيث أكدت أراء عديدة أن مساهمة الزوجة فى دخل الأسرة يكسبها سلطة إتخاذ القرارات الأسرية ، إلا أن تلك الآراء تواجه بعض الأعتراضات ، فهناك دراسات أخرى توضح أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية تواجه الربط بين المكاسب الاقتصادية أو الدخل للزوجة وتبوئها لمكانة أعلى أو اكتسابها قوة اتخاذ القرارات نظرا لأن نسق التدرج الجنسى السائد فى أغلب المجتمعات التقليدية والنامية يقوم على أساس أن الرجل مكانته أعلى من المرأة لإعتماد النساء عليهم ومسئوليتهم الاقتصادية عن الأسرة . وفى إطار الأدوار التقليدية لكل منهما .

أما فيما يتعلق باتخاذ القرارات فإن الأمثال الشعبية تسفه من استشارة المرأة ، بل نجعل من سمات الرجولة ألا يستشيرها فى اتخاذ القرارات فنجد الأمثال "شاور مراتك واخلف شورتها" ،"شورة المرة تأخر سنة " ،" الراجل ابن الراجل عمره ما يشاور مرة " ، " شورة المرة عوجة"

كما أن رضا الزوج عنها يكسبها سعادتها " اللى جوزها يحبها الشمس تطلع لها " وأيضا الدعوة لحسن معاملة الزوجة ليحترمها الناس " اللى يقول لمراته يا عورة الناس تلعب بيها الكوة واللى يقولها يا هانم الناس تقف لها على السلالم " .

كما تشير الأمثال إلى أن الزوجة تعانى فى حياتها الزوجية " جت العازبة تشكى لقت المتجوزة تبكى " ،ومع ذلك تفضل الزوجة بيت زوجها مهما عانت فيه من مشاكل وتدعوها بعدم العودة لبيت والدها بعد خروجها منه لأنهم لن يرحبوا بعودتها مرة أخرى وتقول " يحرم على بيت الأهلية لحسن يقولوا العاوزة جاية " قعدتى بين اعتابى ولا قعدتى بين احبابى". (الأحباب : الأهل) ، وأيضا " جهنم جوزى ولا جنة أبويا " ،وتنصح الأمثال الشعبية الزوجة بالصبر وان تتحمل زوجها خير من طلاقها " الحرة صبرت فى بيتها عمرت " .

كما نجد الزوج مرتبط بزوجته وأهلها " سألوا جحا بلدك فين قال اللى فيها مراتى " ويدعوا المثل الشعبى الرجل بالتقرب لأم زوجته " بوس إيد حماتك ولا تبوس إيد مراتك " وهو ما يؤكد تأثير الأم على إبنتها لإسعاد زوجها [٢١] .

<u>٢ – سيطرة الطابع الذاتى على العلاقات داخل الأسرة</u>

يمكن القول بصفة عامة بان العلاقات الموضوعية ، بل إن كل العلاقات التى يمكن صياغتها فى صورة رسمية ، داخل الأسرة الحديثة آخذة فى التراجع . ونلاحظ بادئ ذى بدء دخول تعديلات ملحوظة على سلطة الأب على الزوجة وعلى الأولاد ، حيث أنها تسير فى اتجاه التخفيف الواضح . ويشير

رينيه كونيج فى هذا الصدد إلى اتجاه بعض القوانين الوضعية فى كثير من البلاد إلى الكلام عن " سلطة الوالدين " لا عن سلطة الأب" . فقط كما تعتبر الزوج " ممثلا " لسلطة الوالدين فى التعامل مع المجتمع خارج الأسرة .

كذلك نلاحظ أن الأطفال لا يخضعون اليوم لسلطة الأب أو سلطة الوالدين من خلال قوة الجماعة الأسرية ، وإنما هم يخضعون لتلك السلطة بسبب كونهم قصرا ، أى بسبب عجزهم المؤقت عن الاستقلال والاعتماد على أنفسهم .

وفى مقابل هذا تزداد العلاقات الشخصية والذاتية داخل الأسرة أهمية واتضاحا ، بحيث تتفوق فى أهميتها على العلاقات الموضوعية أو الرسمية . ومن شأن هذا التطور أن يضيق نطاق تلك العلاقات الموضوعية ذات الصياغة أو التحديد القانونى، ويوسع مجال العلاقات الحميمة التى تعتمد على التقرير الذاتى والذوق والحكم الشخصى .

وهناك اعتبارات من طبيعة مختلفة هى المسئولة عن هذا التطور الجديد .فنلاحظ فى البداية أن تحول طابع العلاقات داخل الأسرة هو صدى لسيطرة الطابع الفردى على الحياة الاجتماعية ونمو الشخصية الفردية كما يرجع هذا التطور إلى الاكتشاف الهام الذى أبرز لنا بوضوح انه من الصعب فى ظل ظروف الحياة الحديثة إخضاع تلك العلاقات ، الأسرية للتنظيم والتحديد القانونى . فهى إما تخضع للتحايل على القانون بسهولة ،أو أن أطراف العلاقة لا يهتمون بفرض حقوقهم القانونية على الطرف الآخر . والظاهرة العامة على أى حال أننا لم نعد نستطيع تدخل القوانين فى صياغة كثير من أمور حياتنا

الشخصية . على خلاف الوضع فى الماضى البعيد حيث كان التراث الاجتماعى (ممثلا فى القواعد الدينية أو العرفية أو غيرها) يتدخل إلى تحديد أدق تفاصيل السلوك الشخصى للفرد ، خاصة على مستوى العلاقات الأسرية،علاقة الزوج مع الزوجة، ومع والديه، ومع أبنائه ،وبين الأبناء وبعضهم .... إلخ [٢٢] .

<u>٣- تصنيفات الأشكال الحديثة للأسرة : -</u>

وضع علماء الاجتماع عدة تصنيفات لأشكال الأسرة من بينها الأسرة الثابتة وغير الثابتة ، والأسرة الاستبدادية والديمقراطية والأسرة الكبيرة الممتدة والصغيرة المحدودة ،والأسرة كنظام اجتماعى وكمشاركة وزمالة ،إلى غير ذلك من التصنيفات التى سنتناول بعضها فيما يلى : -

<u>أ - الأسرة من حيث الثبات</u>

كان الفرنسى لبلاى Leplay أول من ميز بين الأسرة الثابتة Stable والغير ثابتةUnstable وذلك خلال

دراساته عن أسر العمال فى أوربا فى منتصف القرن التاسع عشر ومثل الأسرة الثابتة بالأسرة الأموية حيث العلاقات ثابتة ودائمة وحيث يتمسك أفرادها بالتقاليد ويشرف فيها رب الأسرة على المتزوجين حديثا يراقبهم ويرعاهم. أما الأسرة غير الثابتة فروابطها ليست دائمة بشكل ثابت بل تتأثر بالتغير الاجتماعى ومثل هذا النوع بالأسرة الحضرية التى تبدأ بزواج الوالدين ثم يزيد حجمها نتيجة إنجاب الأطفال ثم ينقص حجم الأسرة عندما يكبر الأبناء

ويستطيعون إعالة أنفسهم فيتركون الأسرة ثم تختفى تلك الأسرة بوفاة الوالدين . وقد اهتم Leplay فى تحليله بثبات الأسرة من حيث تكوينها وبنيانها ولم يعالج ثبات الأسرة من الناحية الوظيفية والديناميكية أى تفاعل أفراد العائلة مع بعضهم والعلاقة بينهم وبين المجتمع الخارجى .

ب - الأسرة من حيث الوظيفة

فرق ولكوكس Willcox منذ أكثر من ستون عاما بين نوعين من الأسرة من الناحية الوظيفية ،الأسرة الاستبدادية Despotic حيث تكون الزوجة ملكا للزوج وليست لها شخصيتها القانونية أى ليس لها حق الملكية أو التصرف فى الشئون المالية إلا بموافقة الزوج حيث تدمج شخصيتها القانونية فى شخصيته والأسرة الديمقراطية Democratic التى تقوم على أساس التآلف والتفاهم والمساواة بين الزوجين . وقد أشار ولكوكس إلى تطور السلطة فى الأسرة من الاستبدادية إلى الديمقراطية .

جـ- الأسرة كنظام اجتماعى وكزمالة ومشاركة

فرق برجس ولوك Burgess & Lok بين الأسرة كنظام اجتماعى حيث يكون سلوك أفرادها خاضعا للعرف والقانون والرأى العام ، والأسرة فى صورة زمالة ومشاركة حيث يتعامل الأفراد على أساس التفاهم والود والتوافق المتبادل بينهم . وقد قرر أن هذين شكلان مثاليان Ideal Types يمثلان قطبين متباعدين ..الأول يحدده تماما الضغط الاجتماعى على أفراد الأسرة والثانى يرتكز على دعائم الود المتبادل والعلاقة الوثيقة بين أفراد العائلة .

والواقع أن الأسرة كنظام اجتماعى صرف أو باعتبارها زمالة ومشاركة صرفه لم توجد فى الحياة الواقعية قديما أو حديثا بشكلها النظرى المطلق وإنما هناك تقارب بين الأسرة الأبوية الكبيرة وبين الأسرة كنظام زمالة ومشاركة (٢٣) .

د – الأسرة الأبوية الكبيرة أو الديمقراطية الصغيرة

يمكن حصر أوجه الخلاف بين الأسرة الأبوية الكبيرة (الممتدة) Extended Family والأسرة الديمقراطية الحديثة الصغيرة (المحددة) Nuclear Family فى النقاط الخمسة الآتية : –

– تتكون الأسرة الأبوية الكبيرة من ثلاثة أو أربعة أو خمسة أجيال بينما تقتصر الأسرة الحديثة الصغيرة على الزوج والزوجة دون أطفال أو بطفل أو أكثر .

– تتركز سلطة استبدادية فى الأسرة الأبوية فى يد رئيس الأسرة ويتبع أوامره الزوجات والأولاد والأحفاد بينما تقوم الأسرة الحديثة على أساس المساواة والتفاهم والمشاركة بين الزوج والزوجة والأولاد كلما كبروا.

– فى الأسرة الأبوية يرتب الوالدين زواج أولادهما وفقا للاعتبارات الاقتصادية والمركز الاجتماعى أما فى الأسرة الحديثة فيتم الزواج بين الشابين المتزوجين على أساس الاختيار والحب والتوافق الشخصى بينهما .

– يذعن أفراد الأسرة الأبوية لتقاليدها ومبادئها بينما يتزعزع ذلك فى الأسرة الحديثة حيث يسعى أفرادها لابتغاء السعادة وابتداع الأشياء الجديدة .

– توجد فى الأسرة الأبوية الكبيرة الوظائف التقليدية للأسرة فى النواحى الاقتصادية والتعليمة والدينية والصحية والترفيهية فلقد تخلصت الأسرة الحضرية الحديثة من معظم هذه الوظائف.

ومما هو جدير بالذكر أن عالم الاجتماع الإنجليزى هربت سبنسر Herbert Spencer ذكر فى عام ١٨٧٦ انه بظهور قانون وحدانية الزوج والزوجة فى ذلك الوقت كانت الناحية القانونية هى الناحية الهامة فى الزواج بينما كادت تنعدم الناحية العاطفية ، وتنبأ سبنسر بأنه سوف يأتى الوقت الذى تكون فيه الناحية العاطفية أساسا للرابطة الزوجية ،ويبدو أن تنبؤات سبنسر فى طريقها حاليا إلى التحقق ليس فقط فى المجتمع الأمريكى وأوربا بل وأيضا فى معظم الزيجات فى الدول المتقدمة أو الدول التقليدية مثل أفريقيا وأسيا [٢٤] .

<u>رابعا : دورة حياة الأسرة</u>

يشير هذا المصطلح إلى تتابع الأحداث التى تمر بأسرة معينة منذ قيام الزوج حتى وفاة الزوجين وما يحدث خلال هذه الفترة . طالت أم قصرت ، من ميلاد أو زواج للأبناء ،وكذلك العمليات والمناسبات المختلفة التى توجهها ،وتربية الأطفال وتنشئتهم وهذا إلى جانب الظروف العديدة التى تصاحب سن الشيخوخة [٢٥] .

<u>١– دورة حياة الأسرة</u>

بصرف النظر عن العدد الضئيل من الأسر الممتدة فى المجتمعات الصناعية المعاصرة يمكن القول بان الأسرة الحديثة تقتصر فى العادة على الزوجين وأبنائهما القصر غير المتزوجين. وهذا هو تعريف الأسرة النووية بالمعنى الدقيق للكلمة ،ولو أن تعريفنا هذا للأسرة النووية لا ينبغى احتمال أن تضم تلك الأسرة أشخاصا آخرين عدا هؤلاء ،وذلك حسب ما تقضيه بعض الظروف المعينة أحيانا ، والتى قد تتضح من مناقشاتنا فيما بعد .

ولاشك أن سيطرة الطابع الفردى العام على الحياة الاجتماعية المعاصرة قد أحدث تغيرات أساسية فى دورة حياة الأسرة النووية التى نتحدث عنها. وتبدو تلك التغيرات بشكل أوضح عندما نأخذ فى الاعتبار انخفاض سن الزواج فى أيامنا هذه ولنأخذ فى اعتبارنا –على سبيل المثال–متوسط سن الزواج فى الولايات المتحدة اليوم وهو٢٣سنة بالنسبة للفتى و ٢٠سنة بالنسبة للفتاة ،ونفترض بعد هذا أن أبناء هذين الزوجين سوف يتزوجان فى نفس العمر تقريبا .معنى هذا أن دورة حياة الأسر الكاملة سوف تستمر ٢٥سنة على الأكثر .

وتبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج ، ثم تنقضى فترة معينة قد تطول أو تقصر (حسب عدد الأطفال الذين تنجبهم الأسرة) حيث تعود الأسرة لتقتصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد والملاحظ هنا أنه كلما ازداد متوسط العمر فى المجتمع كلما طالت المدة الزمنية التى يقضيها الزوجان وحدهما– مع بعضهما– بعد انتهاء دورة حياة أسرتهما .

وتنتهى دورة حياة الأسرة –على أقصى الأحوال– فى اللحظة التى يبلغ فيها الأطفال مبلغ الكبار وينهون تعليمهم (أو إعدادهم المهنى) ويغادرون بيت

الأسرة لكى ينشئوا لأنفسهم أسرا نووية جديدة . ومن هنا نقول بأن مصطلح "الأسرة الزواجية" له وجاهته من الناحية البنائية الصارمة ،من حيث إنه ينصب على ذلك الجانب من الأسرة الذى يحدد مدى استمرارها .

ولا يعنى انفصال الأولاد عن بيت الوالدين –بعد انتهاء دورة حياة الأسرة– أن الاتصال بينهما قد انقطع كلية (على خلاف ما كان يعتقد فى الماضى) . ولكن الاتصال الجديد يتصف ببعض السمات والخصائص التى تميزه عن المرحلة السابقة ،فالصلة بين الأبناء وآبائهم فى مرحلة ما بعد انتهاء دورة حياة الأسرة لم تعد مباشرة ولا شاملة بنفس القدر الذى كانت عليه فى الماضى ومن هنا تفقد الصلة القديمة كثافتها وشدتها كما تفقد انتظامها واتصالها .كذلك تتغير طبيعة العلاقة تغيرا جذريا ،فلم تعد العلاقة بين الطرفين علاقة بين "والدين" "وأطفال" ولكنها علاقة من نوع جديد تم بين أشخاص متساوين فى الحقوق .وبذلك تظهر فى لحظة معينة من دورة حياة الأسرة عملية اختيار حاسمة تمس كيان تلك الأسرة الحديثة [٢٦] .

٢– مراحل دورة حياة الأسرة

الملاحظ أن مفهوم دورة حياة الأسرة Family Cycle قد ازداد أهمية فى الكتابات الحديثة عن الأسرة .ولا عجب فى ذلك لأنه أمكن من خلال هذا المفهوم أن ندرك أن معنى أو مضمون "الأسرة" يختلف من حالة لأخرى حسب نوع المرحلة الزمنية التى تعيشها تلك الأسرة .ولاشك أن هذا الفهم الجديد للأسرة يطرح علينا طائفة جديدة من المشكلات ، نذكر منها: –

(أ) الزوجان الشابان بدون أطفال .

(ب) الزوجان مع أطفالهما فى سن ما قبل المدرسة .

(ج) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة المبكرة .

(د) الزوجان مع أطفال فى مرحلة المراهقة .

(هـ) دخول الأسرة فى مرحلة ما بعد الوالدية ، حيث يبقى الأولاد الكبار فى البيت ،أو يكونوا قد غادروه بالفعل .ومن ثم يعود الزوجان وحيدين كما كانا فى البداية .

(و) الزوجان يعيشان وحيدين إلى أن تحين وفاة أحد الزوجين .

(ز) وعند وفاة احد الزوجين تطرأ حالة جديدة يمكن مواجهتها باحتمالات عديدة : إما معيشة الطرف الباقى على قيد الحياة وحيدا إلى أن يموت ،أو أن يتزوج من جديد أو ينتقل للإقامة مع أحد أولاده الكبار (أو ينتقل بين بيوت أولاده يقضى فى كل بيت منها فترة معينة) ،أو أن ينتقل للإقامة فى احد بيوت رعاية المسنين (على نحو ما هو شائع فى المجتمعات الغربية المعاصرة).

ولاشك أن كل مرحلة من مراحل دورة حياة الأسرة تؤثر على حياة تلك الأسرة من نواح متعددة . وملاحظاتنا هنا مأخوذة عن دراسات الأسرة الغربية ،حيث نجد على سبيل المثال أن مرحلة حياة الأسرة تحدد مكان سكن تلك الأسرة ،إذ نرى أن الأسرة الجديدة ذات الأطفال تفضل فى العادة السكن على

أطراف المدن ،على حين نجد أن الأزواج الشبان بلا أطفال يفضلون فى العادة السكن فى قلب المدينة .

كذلك نلاحظ أن دورة حياة الأسرة لا تتغير حسب سن الزواج فحسب (فتطول إذا تأخر سن الزواج ،وتقصر إذا انخفض سن الزواج)،ولكنها تتحدد كذلك حسب عدد الأطفال (فتقصر فى حالة الأطفال الكثيرين،وتطول فى حالة عدد الأطفال القليل)،وحسب معدل تتابع إنجاب الأطفال (فتطول إذا طالت الفترات بين كل طفل وآخر ، وتقصر إذا أنجب الأطفال الواحد بعد الآخر مباشرة أو بفاصل قصير).

والوضع السائد فى الأسرة المتوسطة الأوربية أن دورة حياة الأسرة العادية تطول بسبب تأخر سن الزواج ،وتباعد الفاصل الزمنى بين كل طفل وآخر . كما دلت الشواهد فى الولايات المتحدة على أن دورة حياة الأسرة تقصر فى حالة إنجاب أطفال كثيرين ،وتطول فى حالة إنجاب عدد قليل من الأطفال. كما أتضح هناك أن تقارب الفواصل الزمنية بين إنجاب كل طفل وآخر يقصر من دورة حياة الأسرة الأمريكية .ولكن النتيجة العامة التى نخرج بها من ملاحظة تلك الحقائق أن حالة الأسرة لا تستمر واحدة أمد الحياة ،ولكنها تتغير حسب مراحل حياة الأسرة [٢٧] .

٣- التنظيم الداخلى للأسرة

يعتبر الانتشار النسبى للأسرة الزوجية أو الأسرة المركبة فى نظام الأسرة مظهرا هاما فى ديناميكية العلاقات الداخلية فى الأسرة .ونلاحظ أن

الاكتفاء الذاتى الذى تتمتع به الأسرة الزوجة يحدد بدرجة كبيرة حق الأقارب فى التدخل فى الشئون الخاصة للأسرة كما يحدد التزاماتهم نحوها .ويختلف هذا عن النمط السائد فى بعض الأسر المركبة عندما يعيش الزوج مع أسرة الزوجة وأخواتها وأزواجهن ويشترك الزوجان فى كثير من أنواع النشاط العام فى الأسرة الكبيرة .

ويبدو الاختلاف الشديد فى مسائل الطلاق فى هذه الأنماط ومشاكل الاستقرار .ونلاحظ أن الطلاق فى الحياة الحضرية بل وحتى مجرد الخلافات والشقاق بين الزوجين يتطلب جهودا باهظة ونفقات متعددة بالنسبة لرعاية الأطفال ،كما يؤثر فى المشاركة الاجتماعية والحياة الانفعالية للطرفين .أما انفصال أحد الكبار عن الأسرة الممتدة فلا يتطلب سوى إجراءات اقتصادية طفيفة ،وقدرة سريعة على استعادة التكيف وسرعة استقرار الأطفال حيث يقوم جميع الكبار فى الأسرة الممتدة بصورة ما بأدوار الآباء . ولما كان الحب بين الزوجين لا يختلف كثيرا عن الحب القائم بين جميع الكبار فى الأسرة المركبة فإن الصعاب تنتج عن تغير موضوع الحب والتوحد بالنسبة للفرد تصبح ضئيلة وتعتبر مجرد مرحلة انتقال [٢٨] .

<u>٤- دورة نمو الجماعة المنزلية</u>

طور فورتس Fortes هذا المفهوم ،حيث أدرك الحاجة إلى دمج المادة التاريخية فى نموذج الجماعة المنزلية الذى يتميز فى جوهره بالنموذج الساكن أو الآنى ،كما تستخدمه المدرسة البنائية الوظيفية فلما اكتشف فورتس التباين فى أنماط بناء الجماعة المنزلية التى تنتمى إلى مجتمع معين فى لحظة معينة

،ذهب إلى القول بأنه يمكن النظر إليها باعتبارها مراحل مختلفة فى دورة نمو ذات شكل واحد عام لكل مجتمع .

وبسبب العوامل الديموجرافية ،والمراحل المختلفة فى عملية إعادة إنتاج الأسرة فسوف نجد أن نسبة معينة– ربما تكون ضئيلة– من الجماعات المنزلية هى التى تتفق مع النمط المثالى فى لحظة بعينها .

ويربط هذا النموذج دورة حياة الفرد ببناء الأسرة والجماعة المنزلية ومن ثم أصبح مفهوم دورة النمو جزءا من الإجراءات الأنثروبولوجية –المتفق عليها– فى تحليل بناء الجماعة المنزلية وأنساق القرابة. وعلى أية حالة فإن مفهوم دورة النمو لا يقدم تفسيرا كاملا لكل أنماط التباين فى أشكال الجماعة المنزلة ،فبعض أوجه التباين قد لا ترجع إلى مراحل فى دورة تكاثر الأسرة ،ولكنها تعود إلى عمليات تغير تاريخية أدت إلى التأثير فى طريقة بناء الأسرة والجماعة المنزلية .وبالمثل قد لا يكون هناك نمط مثالى واحد ،ولكن قد توجد عدة أنماط مثالية لتنظيم الجماعة المنزلية فى مجتمع ما على اعتبار أن الجماعات أو الشرائح الاجتماعية المختلفة قد تتباين فيما بينها فى المثل العليا والممارسات الخاصة بالأسرة والقرابة ،أو لأن تلك الشرائح والجماعات قد تأثرت بصورة مختلفة بعمليات التغير الاجتماعى والثقافى(٢٩).

<u>٥– مفهوم الخصوبة وعملية الإخصاب</u>

تعنى الخصوبة Fertility القدرة على إنجاب الأطفال بالنسبة للمرأة خلال فترة خصوبتها التى تتراوح ما بين ١٥-٤٥ سنة من عمرها ويمثل معدلات الإنجاب عدد المواليد لكل ألف امرأة فى سن الخصوبة .

أما الإخصاب Fertilization فهو يعنى اتحاد بين الحيوان المنوى Sperm والبويضة (Ovum) egg للأنثى ليكونا البويضة المخصبة والتى تتم فى قناة فالوب للأنثى .

كيف تتم عملية الإخصاب تعتبر الخلايا التناسلية الأنثوية (oocytes) والبويضات قبل النضج اكبر خلايا الجسم ، وتتطور فى مبايض الإناث حيث تستمر عملية النضج حتى سن البلوغ عندئذ يكون عدد خلايا البويضة قد وصل إلى ذروته عند ميلاد الأنثى ولا يمكن إنتاج خلايا جديدة ،رغم وجود ما يقرب من نصف مليون خلية فى كل مبيض ،وإن كان عدد الخلايا القابلة للإخصاب أقل كثيرا .وهناك عدد كاف من البويضات تكفى فترات الخصوبة فى كل شهر حتى تصل المرأة إلى مرحلة انقطاع الدورة فى الخمسين من العمر تقريبا ،وعلى النقيض يستمر إفراز البلايين من الخلايا المذكرة حتى سن متأخر من العمر ،وإن كان عدد الحيوانات المنوية وقدرتها على الإخصاب ينخفض بتقدم العمر ،وعدم القدرة على إتمام تلقيح ناجح .وهناك هرمونات تُفرز بواسطة الغدة النخامية الموجودة أسفل المخ تقوم بالتحكم فى الهرمونات الجنسية الموجودة بالدم والتى تفرزها بصورة أساسية خصية الرجل ومبايض الأنثى.وتستعد بطانة جدار الرحم لاستقبال الجنين بواسطة إشارات كيميائية تنطلق من المبيض إلى تيار الدم مما يؤدى إلى زيادة عدد الأوعية الدموية فى سطح بطانة الرحم المعد

لانزراع البويضة فإذا لم يحدث الإخصاب تموت البويضة ،ويبدأ المبيض من جديد عملية الإعداد لإطلاق بويضة جديدة ثم يموت غشاء الرحم المفرط فيترف عندما تبدأ الدورة الشهرية . إما فى حالة حدوث إخصاب البويضة بواسطة حيوان منوى فى قناة فالوب ، عندئذ تمر البويضة المخصبه أوال (زيجوت) zygote إلى الرحم فتجد مع غشاء الرحم الذى ينشئ مزيدا من الأوعية الدموية ، وهكذا يتم بناء المشيمة ،وهى العضو المتخصص فى تغذية الجنين وتتكون من أوعية دموية تدخل وتخرج من الجنين النامى، بينما تحمل أوعية الأم الدموية الغذاء والأكسجين إلى الجنين وتأخذ منه الفضلات وثانى أكسيد الكربون ومن ثم تقوم المشيمة بتزويد الجنين النامى بداخل الرحم بالوظائف التنفسية والغذائية التى تؤديها فيما بعد الرئتان والمعدة والأمعاء .وعندما تحدث الانقسامات الخلوية الجنينية ،وتنشأ أعضاء أولية يستطيع الجنين الحركة "داخل حمام سباحته الخاص " فى التجويف الرحمى "مع نبضات القلب دافعا الدم من خلايا المشيمة ليعود منها الدم محملا بالغذاء والأكسجين ، وبعد تسعة أشهر يكون الجنين قد اكتمل نموه استعدادا للولادة ،إذ لا تستطيع المشيمة مواصلة تغذية اى زيادة فى حجم الجنين ،ويتم إعطاء الإشارة لعملية الولادة فينقبض الرحم ،ويتسع عنقه ،ويندفع الطفل من خلال قناة الولادة إلى خارج المهبل ،حيث يتنفس أول نفس فى حياته ويتم قطع الحبل السرى [٣٠].

المراجع

١- محمد عاطف غيث وآخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩،ص .١٧٦

٢- شارلوت سيمور - سميث ، موسوعة علم الإنسان : المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية ، ترجمة/ محمد الجوهرى وآخرون،المجلس الأعلى للثقافة،١٩٩٨،ص:.٤٩٩

٣- المرجع السابق،ص .٤٩٩

٤- المرجع السابق ،ص .٤٩٩

٥- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص، ١٧٦- .١٧٨

٦- شارلوت سيمور- سميث،مرجع سابق ، ص ٩٥-٩٧ .

٧- المرجع السابق ، ص،٩٧- ٩٩ .

راجع أيضا : جوردون مارشال ، موسوعة علم الاجتماع ، ترجمه : محمد محى الدين وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة،ط١،ج٢ ،٢٠٠١، ص ، ٧١٦-٧٢٢ .

٨- محمود حسن ، الأسرة ومشكلاتها ، دار النهضة العربية ،بيروت ١٩٨١، ص ، ٧ .

٩- محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ، ص ، .١٧٨

١٠- المرجع السابق ، ص، .١٧٩

١١- المرجع السابق ، ص، ١٧٨-١٧٩ .

راجع أيضا : دلال البزى وآخرون ، المرأة العربية الواقع والتصور ، دار المرأة العربية نور ، ط١، القاهرة ،١٩٩٥ .

١٢- المرجع السابق ، ص، ١٧٩.

١٣- المرجع السابق ، ص، ١٧٩.

١٤- شارلوت سيمور – سميث ، مرجع سابق ، ص، ٩٩.

١٥- المرجع السابق ، ص، ٩٩.

١٦- المرجع السابق ، ص، ١٩ .

١٧- إجلال إسماعيل حلمى ، محاضرات فى علم الاجتماع العائلى ، إخوان زريق،مصر الجديدة،١٩٨٧،ص ص ٧-٨ .

١٨- المرجع السابق ، ص ص: ٩-١٠ .

١٩- علياء شكرى ، الاتجاهات المعاصرة فى دارسة الأسرة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦، ص ١٧٤.

٢٠- فاتن محمد شريف ، الرؤية المجتمعية للمرأة و الأسرة : دراسات فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر ،ط١، الإسكندرية، ٢٠٠٧،ص ص٥٧-٥٨ .

٢١- المرجع السابق ، ص ص٥٨-٥٩ .

٢٢- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٧٣- ١٧٤ .

٢٣- إجلال إسماعيل حلمى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨-٣٠.

٢٤- المرجع السابق ، ص ص ٣٠-٣١ .

٢٥ – محمد عاطف غيث ، مرجع سابق ص ١٧٩.

٢٦- علياء شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ١٦٥- ١٦٦ .

٢٧- المرجع السابق ، ص ص ١٦٦- ١٦٨ .

٢٨- محمود حسن ، مرجع سابق ، ص ٧ .

٢٩-شارلوت سيمور-سميث،مرجع سابق،ص ص ٣٦-٣٦٩ .

راجع أيضا : سناء الخولى ، الأسرة والحياة العائلية ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٠، ص ص١٤-٢٣ .

٣٠- فاتن محمد شريف ، مرجع سابق، ص ص ٣١٤-٣١٥

الفصل السابع

الزواج وتكوين العائلة

مقدمه

الأسـرة Family مـن أهـم وأعـرق الجماعـات الأساسـية فـي بنيـات المجتمعات الإنسانية . لها وظائف ثابتة نسبيا – رغم ما عصف به التغير من الوظـائف الأخـرى . فهـي المكـان الاجتمـاعي للإنجـاب وبعـض الإشـباعات العاطفيـة والإنسـانية الأخـرى . وإذا كانـت البحـوث السوسـيولوجية والسـيكولوجية الجـادة قـد بينـت أن أنمـاط الأسـرة وأشـكالها البنائيـة ، وعلاقاتهـا ووظائفهـا ، تشابكت وتفاعلت مع سيرورة التطور الاجتماعي الاقتصادي المتفاوت في عمقه وإيقاعاتـه ، فجعلـت أسـر عـدد كبيـر مـن المجتمعـات تنتقـل مـن الشـكل البنـائي الموسـع أو الممتـد Extended إلـي الشـكل البسـيط أو الصـغير " النـواة " Nuclear ، الـذي نقلهـا فـي الوقـت نفسـه مـن وحـدة اجتماعيـة اقتصـادية ثقافيـة ذات وظـائف شـاملة ومتكاملـة أو تكـاد ، إلـي جماعـة شـبه متخصصـة فـي الإنجاب والتنشئة المبكرة ، حيث آلت وظائفها الأخري إلي مؤسسات ومنظمات أخري ، تربوية وتعليمية وإعلامية واقتصادية و إلخ . كما أكدت تلك البحوث أن الحاجـة الفرديـة والجماعيـة والمجتمعيـة ، لأدوار الأسـرة ووظائفهـا تكـون أكثـر إلحاحا غالبا – كلما انحسرت في المجتمع المحدد فرص إعداد البشر وإشباع حاجـاتهم الأساسـية ، وتمكيـنهم مـن مقـدراتهم، أي كلمـا انحسـرت فـرص تحقـق الأمان النفسـي والاجتمـاعي ، الفردي والجمـاعي ، عبـر كفـاءة وكفايـة مـا يسمـي بشبكات الأمان الاجتماعي Safety Nets .

وإذا كانت العولمة قد غيرت وعلي نحو شبه عميق وشامل وسريع في كثير من أبعاد أو أصعدة المجتمعات الإنسانية ، الاقتصادية والسياسية والثقافية

، فقد كانت تلك التغيرات أكثر تجسدا علي مستوي الأسرة ، فذهب بعض الباحثين ، إلي أنك إذا أردت أن تفهم أوضاع بنية اجتماعية علي نحو بليغ وسريع فعليك بدراسة أوضاع الأسرة وأحوالها فيه ، في علاقاتها بمواقعها الطبقية المحددة لفرصها الاجتماعية ، وفي سياق مجتمعاتها المحلية، بدوية كانت أو ريفية أو حضرية ، خاصة ما يحتضنه هذا السياق من قيم ومعايير ومفردات متنوعة لتوجية الاختيارات الفردية والجماعية .

ولعل من بين أهم التغيرات العامة – رغم الاعتراف بوجود استثناءات في هذا المجتمع أو ذاك – مايلي .

أ – تغيرت الأشكال البنائية للأسرة ، – وكانت مستعدة لهذا – واتجهت في معظمها إلي الشكل الصغير الذي كاد أن يختزل في الزوجين والأبناء الذين يعيشون مع الأسرة ، ولفترات تكاد تتحدد في مرحلة ما قبل المراهقة . وإذا كان هذا قد حدث في المجتمعات الصناعية الغربية ، فمن المحتمل أن تتزايد فرص حدوثها في المجتمعات الأخرى . وإن كان بأشكال ومستويات متباينة تدخل ثقافاتها طرفا فيها . ففي الحالة العربية حتى مع سكني الأبناء بعد الزواج في وحدات مستقلة وشبه مستقلة ، إلا أن ثمة علاقات بينهم وبين الآباء تكاد ترتبط بمدي حاجة الآباء والأبناء لبعضهم البعض، وهو ما جعل البعض يفترض وجود شكل ممتد معدل ، لا يرتبط بالضرورة بالسكني المشتركة ، وإنما بالتفاعلات الممتدة عبر المكان.

ب – حدث تفكيك Deconstruction في العلاقات والتفاعلات الأسرية نتيجة لتفاعل وتدال مجموعة من العوامل: منها تقلص أوقات التفاعلات

الأسرية ، نتيجة لانشغال أحد الأبوين أو هما معا بمشاغل تستغرق أوقاتا أطول من النهار ، وأيضا غياب أحدهما لهجرته خارج النطاق المكاني لإقامة الأسرة – هجرة داخلية أو خارجية – وحتى في حال وجود أعضاء الأسرة معا، فقد صاحب التغير في وسائل الاتصال والإعلام عزلة نسبية لأفراد الأسرة لمشاهدة التليفزيون أو التعامل مع الحاسب الآلي وشبكة المعلومات أو الانشغال بالهاتف الجوال إلخ ، ويعني هذا بروز الفردية والخصوصية في مواجهة الجماعي والمشترك علي مستوي الأسرة. لقد حدا هذا ببعض الباحثين إلي افتراض أن بعض الأسر ، من المواقع الوسطي والعليا، أضحت مؤسسات "إيواء ليلي" لأعضائها.

ت – لقد تفاعل مع ما سبق توتر في علاقات بعض الأسر – يخشي من تزايده في الأحوال العربية – يصل أحيانا إلي صرا عات في القيم بين الأجيال ، وصراعات في الأدوار علي مستوي النوع Gender وصراعات بين المصالح الفردية ، تكشف عنها تزايد حالات العنف الأسري ، الرمزي والمادي ، وأحيانا حالات الانفصال النفسي والاجتماعي داخل " دار الأسرة " تصل ذروتها بالطلاق .

ث – برزت مشكلات نفسية واجتماعية لأعضاء من الأسر : اغتراب الشباب ، نتيجة لعدم التكافؤ بين ثورة التطلعات والمفاهيم والقيم التي يتزايد دور الاتصالات الكوكبية في كثافتها وبين الفرص المتاحة لإنجاز الأهداف . ولعل من بين مظاهر هذا الغبن الواقع علي الشباب اغتراب فقدان القوة Powerlessness نتيجة للانفصال المتزايد بين ما حصله من تعليم وبين

المتطلبات السريعة التغير والتجدد لأسواق العمل ، والذي تدلل عليه زيادة معدلات البطالة ومن ثم تأثير تلك البطالة علي فرص الحراك الجيلي Generational Mobility وأيضا الفجوة بين النضج النفسي والاجتماعي وإلحاح الحاجة للإشباعات ذات الصلة ، واتساع المدى الزمني لفرص إشباعها والذي يدلل عليه من بين أدلة أخري – تأخر سن الزواج ، بل والإحجام عنه لدي فئات ذات وعي نوعي بضرورة الزواج وتكوين الأسرة . كما برزت بعض مشكلات المرأة ، نتيجة لتنامي أفكار ومفاهيم تحريرها وتمكينها وانتشارها عبر وسائط عدة ، وبين واقعها اليومي المباشر . هذا فضلا عن تزايد وطأة مسألة المعمرين أو كبار السن نتيجة لارتفاع معدلات الأعمار ، في مقابل مشكلات أسرية متنامية في الدخل والسكن وتنامي القيم المادية الفردية.(١)

أولا : نشأة الأسرية وأهميتها

تنشأ الأسر بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليها اسم "الزواج" ويعطي المجتمع هذه الخطوة قدرا كبيرا من الأهمية فيتشاور ويرتب ويفاضل ثم يقرر ، ويجتمع الأهل والأصدقاء للاحتفال بالمناسبة ويعلن الجميع أن الزواج قد تم ، وأن في قدرة العروسين ممارسة حياتهم كوحدة مستقلة باعتراف المجتمع وتباريكه، ولكي يتم زواج رجل بامرأة فانهما يكتبان عقدا – يشهد عليه الشهود– يتعهدان فيه ضمنا برعاية بعضهما البعض ويتعهدان برعاية أولادها ، ويتم الزواج – إلا في حالات نادرة لا يقرها المجتمع المصري عامة – عن طريق عقد مسجل بين رجل وامرأة تضمنه الحكومة بقوانينها ويضمنه المجتمع بأعرافه وتقاليده ، ويضع هذا العقد كلا من الطرفين تحت

مسئولية المعيشة المشتركة والعلاقة الدائمة بينهما . وفي جميع أنحاء العالم تحاول المجتمعات بتقاليدها وأعرافها وإحساساتها تدعيم الزواج بكل الطرق المختلفة حتى تنتج عنه أسرة ناجحة .. ومن هنا كانت المراحل والخطوات التي تمر بها كل زيجة .

تبدأ العملية بالتعارف ثم الخطبة والشبكة.. وفي هذه المرحلة تعتبر الوعود التي يقدمها كل طرف لرفيقه ارتباطات هامة وملزمة لدرجة أنه من الممكن أن يقع الطلاق بعد الزواج لعدم وفاء أحد الطرفين بما وعد به في هذه المرحلة ، وتنتهي هذه المرحلة بكتب الكتاب (الزواج الرسمي) ثم الدخلة (الزواج الفعلي) بعد إعداد بيت الزوجية.

ويتزوج الناس لأغراض مختلفة منها الأمان الاقتصادي العاطفي والرغبة في الإنجاب والحاجة إلي الصحبة، كما قد يتزوج الناس في بعض الأحيان لأغراض أخري مثل تحسين المركز الأدبي، أو الحاجة إلي الرعاية الصحية.. الخ. ولقد نظم المجتمع نفسه بطريقة تجعل الزواج أمرا ضروريا وحتميا ويكاد يكون إجباريا في المجتمع المصري حيث يعتبر عدم زواج البنت في أغلب المجتمعات المصرية وصمة .

ويضع القانون في مصر بعض الحدود للزواج مثل "الحد الأدنى للسن عند الزواج" فحدد للفتي ١٨ عاما وللفتاة ١٦ عاما كما نص علي ضرورة تسجيل العقد.

ولا يعترف القانون كذلك بالعقد العرفي بالنسبة للزوج أو الزوجة وإن كان يعترف ببنوة الأطفال الناتجين عن مثل هذا الزواج (نسبهم إلي الأب).

ويتم الزواج في أنحاء مختلفة من العالم بطرق مختلفة، ففي بعض الجهات لابد للمجتمع من قصة حب قبل الزواج، بينما تحرم مجتمعات أخري الزوجات عن مثل هذا الشعور ويعتبر ذلك خارجا عن الآداب والتقاليد في هذه المجتمعات الأخيرة يعتقد الناس أن الزواج يكون ناجحا إذا كانت لدي الزوج القدرة علي الإنفاق علي زوجته، وإذا كانت الزوجة قادرة علي رعاية البيت، وإذا كان الاثنان قادرين علي إنجاب الأطفال ورعايتهم. وبين هذا وذاك (وجود علاقة حب قبل الزواج أو تحريم وجودها) متصل تتوزع عليه طرق الزواج في المجتمعات المختلفة، فبعضها يعترف بالحب في حدود، وبعضها يقبل الحب غير المعلن، بينما لا تزال كثير من المجتمعات تري أن في ذلك مساسا بكرامة الأسرة بل وبشرفها في بعض الأحيان. ولا يخرج المجتمع المصري عن هذا الإطار العام وان كانت العلاقة بين الفتي والفتاة مازالت غير مباحة إلا في حدود في أغلب المجتمعات المصرية ، وعلي الأخص في الطبقات المتوسطة في المدن وذات الدخل المرتفع في الريف.

وتمارس المجتمعات المختلفة ألوانا متنوعة من الزواج، فتمارس أغلب المجتمعات الزواج الفردي أو الأحادي Monogamy بينما تسمح مجتمعات أخري بشكل من أشكال التعدد Polygamy فإذا تزوج رجل بأكثر من زوجة أطلق علي هذا التعددي الذكري Polygany أما إذا تزوجت امرأة بأكثر من رجل سمي هذا الزواج التعددي الأنثوي Polyandry (غير موجود في مصر)

وينتشر في مصر الزواج الأحادي مع بقاء ظاهرة الزواج التعددي الذكري بنسبة محدودة.

قلنا أن القانون – حماية للأسرة – أوجب ألا يقل سن الزواج عند العقد عن ١٨ عاما بالنسبة للرجل وعن ١٦ عاما بالنسبة للمرأة.. ولو تابعنا الوضع في مصر نجد أن هناك ارتفاعا مستمرا في سن الزواج لكل من الذكور والإناث، وقد يرجع هذا إلي انتشار التعليم وتأخر النضج الاقتصادي بالنسبة لكل من الذكر والأنثى، وقد يرجع أيضا إلي ارتفاع تكاليف المعيشة وتفشي أزمة الإسكان وإصرار الزوجين علي المعيشة المستقلة.

وبنظرة عامة، يمكن القول بأن الزواج المبكر بالنسبة للرجل (قبل الثلاثين) هو الأمر الشائع في مصر، وأن الزواج المبكر للفتاة مازال شائعا وخاصة في الريف، ففي عام ١٩٥٢ كان متوسط سن الزواج للفتي حوالي ٢٥ سنة وللفتاة حوالي ٢٠ سنة وفي عام ١٩٨٠ أصبح المتوسط حوالي ٢٩ سنة للفتي و٢٢ سنة للفتاة كما يمكن القول بأن زواج الرجل بأكثر من واحدة أخذ في النقصان بين المتعلمين حتى أنه يكاد يختفي في الزواج بأكثر من زوجتين. (٢)

أما الآن فأصبح سن الزواج يتجاوز في المتوسط ٣٥ سنة للفتي و٣٠ سنة للفتاة .

١ – لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات

لا يحدث الزواج بصورة طبيعية تلقائية، كما أنه ليس نتاجا لأنماط سلوكية وراثية وهي التي تسمي أحياناً بالغرائز Instincts، بل إنه نظام

Institution، أي أنــه يشــمل مجموعــة متناســقة مــن العــادات والتقاليــد ، والاتجاهات والأفكار فضلا عن التعريفات الاجتماعية والقانونية . وهكذا فإن الغريزة الجنسية ليست سوي واحدة من العوامل الجوهرية التي تقوم عليها ، ومعني ذلك أن الزواج يعني أكثر من الاستجابة النظامية لدوافع الجنس، لأنه إذا كان الزواج والتزاوج يعنيان شيئا واحد فإنه لا مجال لمعني الشرعية، فالناس يتزاوجون وهم أيضاً يتزوجون، إلا أنه في حالة الزواج تلعب الغريزة دوراً ثانوياً نسبياً. إذن إذا كان الناس لا يتزوجون بسب الغرائز ، فلماذا يتزوجون؟.

يتزوج الناس لأسباب عديدة، منها: تبادل الحب مع شخص آخر، والبحث عن الأمن الاقتصادي والمنزل المستقل، وإنجاب الأطفال، وتحقيق الأمن العاطفي، والاستجابة لرغبات الوالدين، والهروب من الوحدة أو من منزل الوالدين أو من موقف غير مرغوب فيه أو الحصول علي المال والرفقة، أو الجاذبية الجنسية، أو طلباً للحماية والشهرة، أو الوصول إلي وضع اجتماعي معين، أو الوفاء بالجميل أو الشفقة أو النكاية أو المغامرة ، واهتمامات أخري عديدة لا نهاية لها . وفي بعض الحالات عندما يفشل ما في الحب ، أو يفسخ خطبته أو يعاني من تجربة مؤلمة مشابهة لذلك ، فإنه يحول عاطفته من الحب الأول إلي حب ثان ، ويشعر نحو هذا الثاني نفس شعوره نحو الأول حتى لو كان الثاني مختلفاً عنه تماما ، وحتى لو كان لا يعرفه فترة كافية يبادله أثناءها الحب فهو في هذه الحالة يختار قبل أن يكون قد استعاد توازنه العاطفي ، ويمكن اعتبار مثل هذا الزواج رد فعل مباشر وتلقائي للتعثر أو الأزمة التي مر بها .

ويلاحظ أن بعض الزيجات تحدث نتيجة لضغوط مختلفة تبعا للظروف ، إلا أن هذه الضغوط لم تعد بالصورة التي كانت عليها في الماضي ، فلم يعد مقبولا الآن الضغط علي الشباب لكي يتزوجوا . بالإضافة إلي أنه في بعض الحالات يتزوج الناس لأن معظم أصدقائهم تزوجوا ولا يرغبون في البقاء بمفردهم دون زواج .

وعموما فإن الناس يتزوجون لان الزواج هو النمط الاجتماعي الذي يجد قبولا واسعا ومشروعية لإقامة علاقة بين الجنسين . فاقتصار ممارسة الجنس مع شخص واحد كنوع من العفة والنقاء ، والتعاون من أجل الإبقاء علي الحياة ، والوالدية ، والحياة المنزلية والقيم المتشابهة ، كل هذا يجذب الأفراد نحو الزواج . ولهذا يبحث كل فرد عن الزواج الذي يلائمه ويرضيه ، كما يفشل الكثيرون في الحصول علي الزواج الذي يستطيعون الاستمرار في احتماله ، ولكن بين هذين الطرفين المتناقضين يوجد ملايين الأشخاص يحصلون علي نمط من الزواج يعتبر بالنسبة لهم أفضل من أي بديل حتى وإن لم يصل إلي النموذج المثالي.[٣]

ومع أن الزواج ليس محدداً بمواعيد إلا أن الدراسات الإحصائية في مصر تشير إلي إقبال الناس علي الزواج في أوقات معينة من السنة مثل الأعياد والمناسبات الدينية والعطلات الصيفية ، كما أنها ترتبط بمواسم جني المحاصيل في الريف .. ويحجم المسلمون عن الزواج في شهر رمضان علي سبيل المثال ، كما يحجم المسيحيون عن الزواج في أيام الصوم ، ويبدو أن الأمر ليس قاصرا علي مواسم معينة في السنة وإنما يفضل الناس الزواج في

أيام معينة في الأسبوع تختلف بين الريف والحضر فيتزوج الناس في المدن أيام الخميس والأحد بينما يتزوجون في الريف أيام الجمعة أو الخميس أو السبت.

(بهذا الترتيب) ومن ناحية اختيار الزوج لزوجته يختلف الوضع من الريف إلي الحضر، فالثقافة الريفية توفر الالتقاء بين الذكور الإناث، ولم تكن هناك في يوم ما صعوبة لشباب الريف في اختيار الزوجة – وللوالدين دور كبير في هذا الاختيار في العادة – أما في الثقافة الحضرية فالأمر مختلف كل الاختلاف فقد اتجه الشباب في هذا المجتمع إلي الاعتماد علي نفسه في الاختيار دون الرجوع إلي الوالدين إلا للمشورة أو مجرد التعريف في بعض الأحيان، ويحدث التعارف في المصنع أو في الجامعة أو في النادي ، والواقع المصري يقول بأن الاختيار الحر يكاد يكون هو الأسلوب السائد الآن في القرية والمدينة وأن عمليات الفرض والإجبار قد انحسرت بشكل يكاد يكون تاما – خاصة في ظل ثورة الاتصالات – وأن الزواج المرتب لأسباب اقتصادية أو اجتماعية في طريقه للاختفاء أما من ناحية القرابة فلا يزال كثير من الرجال والنساء (حوالي النصف) يتزوجون من أقاربهم.[٤]

ويفضل الزوج في زوجته صفات معينة فعند سؤال بعض الآباء الحضريين (بحث ميداني) رتب هؤلاء أسس الاختيار علي النحو التالي: [٥]

١ – الأصل	٢ – الأخلاق والسمعة

٣ – الشطارة في عمل المنزل	٤ – الجمال

٥ – التعليم	٦ – الغني

أما الأبناء الحضريون من طلاب الجامعة فيرونها كالآتي :

١ – الأخلاق والسمعة	٢ – الأصل
٣ – الجمال	٤ – التعليم
٥ – الشطارة في شغل المنزل	٦ – الغني

أما الآباء الريفيون فقد رتبوا أسس اختيار الزوجة كما يلي :

١ – الأصل	٢ – الأخلاق والسمعة
٣ – الشطارة في شغل المنزل	٤ – الغني
٥ – الجمال	٦ – التعليم

أما الأبناء الريفيون فيرتبون أسس الاختيار كما يلي:

١ – الأصل	٢ – الأخلاق والسمعة
٣ – الشطارة في شغل المنزل	٤ – الغني
٥ – الجمال	٦ – التعليم

إلا أن هناك استثناءات عديدة فقد يتأثر عامل تكافؤ المكانة الاجتماعية الاقتصادية بعدد من المتغيرات الأخرى التي تقلل من أهميتة لدي كثير من الأسر ، من ذلك عامل السن علي سبيل المثال . فالرجل عندما يتقدم في السن ويرغب في الاقتران بزوجة شابة ، عادة ما يتغاضى عن ضرورة أن تكون من

أسرة تتكافأ إجتماعياواقتصاديا مع أسرته . وكذلك الحال بالنسبة للمرأة المتقدمة في السن إذا ما صادفت شاباً يوافق علي الزواج منها. ويميل كثير من الرجال إلي الزواج بمن هم أقل منهم تعليما ودخلاً وذكاء فهذا يحقق لهم تمام الهيمنة علي زوجاتهم ويضمن لهم تبعية الزوجة وعدم تمردها.

والرجل عادة ، يخشى المرأة التي تكافئة تماماً أو التي تعلو عليه في مكانتها الاجتماعية والاقتصادية لما يرتبط بهذا الوضع من نديه ومشاركة في الحياة الزوجية . ولهذا السبب كلما ارتقت المرأة في السلم الاجتماعي كلما قلت فرصة زواجها ، فالمرأة التي تحصل علي شهادة الدكتوراة ، يتردد الرجل الذي يحصل علي مؤهل دراسي أقل منها في التقدم للزواج بها ، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة التي تنتسب إلي عائلة من الطبقة الراقية المتشددة في قبول أشخاص أدني منهم مرتبة كأعضاء جدد في العائلة . بعبارة أخري ، إن الفتاة التي تنتمي للطبقة العليا تجد منافسة من بنات طبقتها ومن فتيات الطبقات الأدنى اللاتي يطمحن إلي الحراك الاجتماعي لأعلي مما يضيق فرصتها في الزواج.[٦]

ويري بعض علماء علم الاجتماع. أن العوامل العقلية المحددة لعملية "الاختيار الزواجي" Mate - Selection لم تحظ بالدراسة الكافية، كما أن دراسة مدي التماثل والتجانس في الاختيار الزواجي من وجهة النظر السوسيولوجية لا تعني إلا بعرض المشكلة، دون أن تضع لها الحلول، أما التشابه أو الانتماء فإنه يقوم علي أساسين:

أ – إمكان اعتبار الاختيار الزواجي وظيفة للفرص Oppoetunities ومعني ذلك إمكان تفسير التماثل بين الزوجين علي أساس إقامتهما في مناطق محددة ، ويعزز ذلك أن الاختلافات في أنماط الأنشطة بين الفئات الاجتماعية المختلفة يؤدي إلي تحديد نوعية ومدي اتصالات الفرد إلي حد كبير ، الأمر الذي تسنح معه الفرصة لمقابلة أفراد متشابهين في جوانب عديدة مما يزيد من احتمالات التقارب والألفة ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمي بالتفسير التفاعلي .

ب – إمكان اعتبار أنماط التشابه نتيجة لمفاضلات شخصية نابعة من الشخص ذاته الذي يفضل الاتصال بأشخاص يتشابهون معه ، ويشكل ذلك ما يمكن أن يسمي بالتفسير المعياري . وقد حاول عالمان من علماء الاجتماع في دراسة حديثة نسبيا صياغة القضيتين السابقتين في نظرية معيارية تفاعلية واحدة ، تقوم علي فرضين : الأول يري أن الزواج معياري والثاني يري أنه من خلال المجالات المعيارية للمرشحين أو المؤهلين للزواج ، فإن إمكانية الزواج تختلف بصورة مباشرة مع إمكانية التفاعل.(٧)

وهناك صورة أخري للتفسير المعياري يمكن أن توضع موضع الاعتبار إذا إفترضنا وجود معيار أو قاعدة للتشابه أو التجانس تتحقق بدرجات متفاوتة عن طريق الأشخاص في المجتمع. فإذا أمكن التحقق من وجود هذا المعيار بالفعل، جاز لنا أن نفترض وجود قاعدة عامة تؤدي إلي القول بأن "الشبيه يتزوج الشبيه" أو أنه يوجد نسق شامل من المعايير المقررة مثل "المسلم يتزوج المسلمة" و "الزنجي يتزوج الزنجية" و "الجامعي يتزوج الجامعية" وواضح أن هذه المعايير ترتكز أساسا علي الجنس Race والعقيدة Religion والطبقة

الاجتماعية Social Clase الخ . أي أن القاعدة في الاختيار تؤكد الميل بصورة عامة إلي البحث عن الشخص القريب أو الشبيه.

إلا أن الفرص والمعايير تختلف باختلاف قطاعات السكان، ومثال ذلك أن أفراد الطبقة المتوسطة يتميزون بحلقة واسعة من الاتصالات بمقارنتهم بأفراد الطبقة العاملة. كما أن درجة " التجانس، تختلف في الطبقتين، لان تجارب الحياة المختلفة يمكن أن تؤدي إلي اختلاف درجات التجانس، ولهذا يكون الشخص كثير التنقل والاتصالات قادرا علي إنشاء علاقات متعددة أكثر من أمثاله في نفس الطبقة.

وعموما فإن البيانات المتاحة لمعرفة عناصر التجانس تركز علي درجه التشابه بين الزوجين، لأنها تهتم بنتيجة الاختيار الزواجي وليس بالعملية ذاته. وهناك مجموعة من المتغيرات التي يقوم عليها التجانس وهي: الجنس والعقيدة والطبقة الاجتماعية، والتجمعات المهنية الواسعة، ومكان السكن والدخل، والسن، ومستوي أو درجة التعليم ، والذكاء.. الخ. ووظيفة هذه المتغيرات أن "ترشد" أو توجه كل فرد إلي "نوع" الناس الذين يستطيع التفاعل معهم.

وينتج عن هذا أن الناس الذين نعمل أو نلعب معهم أو نرتبط بهم بصورة أو بأخرى يشبهوننا في كثير أو قليل تبعاً لهذه المجموعة من المتغيرات، وكذلك تبعاً للاهتمامات الثقافية والقيم. وإذن طالما أن هذه المتغيرات تحدد "مجال الارتباط" للأفراد والجماعات، فمن المعتقد أنها تحدد أيضاً "مجال ترشيح الزوجة أو الزوج المرغوب فيه" والذي من خلاله نختار شركاء الحياة.[٨]

٢ – التأكيد علي أهمية الزواج:

يلاحظ بعض الكتاب أن ذلك التأكيد غير العادي لأهمية دور الزواج في عملية تكوين الأسرة (بل واتخاذ هذا التأكيد طابعا أيديولوجيا في أحيان كثيرة) ليس ظاهرة إنسانية عامة عبر الزمان والمكان. ولكن الاحتمال الأقرب في رأي أولئك الكتاب أن هذا الاهتمام قد نما وتطور في ظل ظروف معينة وتحت تأثير عوامل محددة يمكن أن نضع أيدينا عليها. ذلك أننا نجد مثلا أن أبسط الثقافات الإنسانية وأكثرها تخلفا كمجتمعات الصيادين ومجتمعات الالتقاط تعرف نظام الأسرة النووية فعلا ، إلا أننا نجد في نفس الوقت أن نظام الزواج عندهم لم يتطور بعد بشكل واضح . بل أنه قد يصعب علي الملاحظ أن يتعرف علي ملامحه الدقيقة في بعض الأحيان ولكن الظاهرة الأكثر غرابة حقا أن بعض تلك الشعوب المعاصرة ذات الثقافة البسيطة كشعب الأوجيبوا Ojibwa في أونتاريو وشعب البابـاجو في أريزونا لا تعرف سوي نوع "غير رسمي من الزواج"، أي أن العلاقة الزوجية تبدأ بين طرفيها دون التزام شكليات وطقوس معينة ينبغي تكرارها والالتزام بها كشرط لصحة هذه العلاقة الزوجية. والنتيجة الطبيعية لهذا أن الطلاق عندهم من النوع غير الرسمي، الذي ينطبق عليه نفس الإيضاح السابق.

والحقيقة أن نظام الزواج لا يبدأ في التبلور واتخاذ شكل محدد وواضح إلا في المستويات الاقتصادية والثقافية الأرقي، ومع ازدياد عمليات تبادل الهدايا بين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة. ولم تكن تلك الهدايا في البداية مهرا (أو ثمنا للعروس، كما يقول البعض)، ولكنها كانت في حقيقتها تعبيرا رمزيا عن

تأسيس علاقات الارتباط والائتلاف بين هاتين الجماعتين وانطلاقا من هذه العملية الأولي، وأعني عملية تبادل الهدايا بين الجماعتين القرابيتين للزوج والزوجة، ظهرت وتبلورت شعائر الزواج التي أخذت بمرور الزمن تزداد تنوعا وثراء، وبدأ نظام المهر يظهر مرة عند شعوب الحضارات القديمة: كالعرب والهندوس والصينيين واليابانيين وعند غيرهم من الشعوب المعاصرة. وقد أساء بعض الكتاب الأوربيين فهم هذه العادة، حتى أن بعضهم سماها "ثمن العروس" أي أنهم فهموا الزواج علي أنه عملية شراء للعروس. وهذا خطأ تماما، ذلك أن هناك إماء ومحظيات وغيرهن كن يشترين بالمال. أما الزوجة فلا تشتري بالمهر. وإنما يؤدي المهر في تلك الحضارات – سواء القديمة منها أو المعاصرة – دور تحقيق مشروعية العلاقة الزوجية، وبصفة خاصة مشروعية الأولاد الذين سوف تثمرهم هذه العلاقة الجديدة.(٩)

ومازال هذا الدور الهام الذي يلعبه المهر قائما ويتصاعد أحيانا في شتي بقاع العالم. ولكننا نصادفه بشكل واضح في أفريقيا وآسيا بوجه خاص، ولدي بعض قبائل الهنود الحمر الأمريكي. ويعد تعديل هذا النظام وتقليمه من أهم أهداف الحركة النسائية والحركات الإصلاحية في كافة بلاد العالم الثالث، حيث يرتبط هذا الأسلوب في الزواج بتحقيق صفقات معينة تهدف في النهاية إلي تحقيق صالح الأسرتين المتصاهرتين أو أحداهما علي الأقل، حتى أن البعض سماه زواج الشراء.

ولما كان هذا النوع من الزواج يقترن في العادة بمعاملات عائلية واقتصادية وأحيانا ينطوي علي اعتبارات سياسية أيضا، لذلك كان من البديهي

ألا تهتم الجماعتان القرابيتان المتصاهرتان برأي العروسين، خاصة الفتاة، فلا يعد ترحيبها أو رفضها لشخص العريس أمراً ذابال بالنسبة للكبار في الأسرتين.

أما "زواج الاتفاق" أو "زواج الرضا" فيختلف عن هذا اختلافا بعيدا، وهو لم يتطور علي نطاق واسع إلا بعد أن قطعت الاتجاهات الفردية في الحياة الاجتماعية شوطا بعيدا في النمو والتطور، وأصبح الفرد هو وحدة التعامل الاجتماعي منفصلا إلي حد بعيد – عن جماعته الاجتماعية. وأصبحت علاقة الحب بين العروسين ركنا أساسيا في قيام هذا النوع من الزواج حتى أنها أصبحت القاعدة العاملة في كثير من المجتمعات المتقدمة.

علي أنه يجب ألا يغيب عن بالنا في الوقت نفسه أن زواج الرضا أو الاتفاق هذا كان ومازال موجودا في تلك القطاعات الاجتماعية التي لا ترتبط فيها علاقة الزواج بمصالح اقتصادية أو مالية، أعني في الطبقات الدنيا. ففي كافة المجتمعات الإنسانية كان هذا الأسلوب في الزواج هو الأسلوب السائد للاعتبارات التي أوضحناها، وسيظل الأمر كذلك طالما أن الاعتبارات الاجتماعية أو الاقتصادية لا تلعب دورا في قيام الأسر الجديدة (أي ليس الزواج فيها صفقة لتحقيق مصلحة مادية أو رفع المكانة الاجتماعية لأحد طرفي العلاقة الزوجية).

ولاشك أن هذه الحقائق تهدم النظرية القديمة التي لعبت في الماضي دورا هاما عند علماء تاريخ القانون ودارسي تاريخ الأسرة والزواج، الخاصة بتطور الزواج. إذ تري النظرية المذكورة (التي كان بوست A.H. Post من أول

الداعين إليها) أن الزواج قد تطور عبر أشكال ثلاثة هي: زواج الخطف ، ثم زواج الشراء، ثم أخيرا زواج الرضا أو الاتفاق.[١٠]

٣ - **السن عند الزواج**:

يبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل علي الزواج. وفي استطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع المصري هو ١٨ سنة للفتي و١٦ سنة للفتاة. ولكن يلاحظ أنه كثيرا ما يحدث انتهاك لهذه القوانين وخاصة في المناطق الريفية، حيث يتم زواج فتيان وفتيات دون سن الزواج بكثير عن طريق استخراج شهادة "تسنين" والادعاء بفقد شهادة الميلاد الأصلية. إلا أنه نتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية العالمية والمحلية، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لابد أن تتلوها فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزوج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين ٢٣ – ٢٨ سنة للفتيات، و٢٧ – ٣٤ سنة للشباب.[١١]

ثانيا: **تعريف الأسرة وتطورها**

لقد انتهت الدراسات المعينة بتتبع أصل الإنسان إلي ترجيح فرضية جديدة حول أصل الأسرة، وبخاصة فيما يتعلق بتطورها إلي تلك الصورة التي تقوم علي وحدانية الزوج والزوجة Monogamy ولقد كانت هناك اتجاهات

مختلفة في تفسير هذا التطور.. فقد رأي العلماء أن ظهور الأسرة التي يتزوج فيها رجل واحد من امرأة واحدة في الغالبية العظمي من الشعوب في الوقت الحاضر إنما يعزي إلي عوامل من أنواع مختلفة اقتصادية واجتماعية – كما يتمثل في كتابات لويس مورجان وانجلز وبريفولت Briffeult – كما يعزي إلي عوامل سيكولوجية وثقافية وعوامل بيولوجية.. مثل ضرورة امتداد فترة العناية بالصغار أو بقول آخر امتداد فترة الطفولة، وهو ما يتبين في كتابات مالينوفسكي. وكانت هناك أيضاً تفسيرات تقوم علي تأصل دوافع جنسية لايمكن البرهنة عليها.

ودون أن ننكر أن هناك بالتأكيد جانباً من الحقيقة في بعض تلك التفسيرات فان هناك اجتهادات أخري حديثة لا بد من الإشارة إليها هنا. ومثال ذلك إن هناك دراسات جادة في الوقت الحاضر ترجح أن نمو الأسرة التي تضم "رجلا" زوجاً واحداً وامرأة "زوجة" واحدة يقوم بصفة جوهرية علي عوامل مختلفة تماماً لم تتح الفرصة لملاحظتها بدرجة كافية حتى الآن. وهي تتمثل في تلك النزعة الغيرية التي تتيح أفضل ظروف ممكنة للتثبت الو راثي Genetic Fixation.. وهي نزعة ذات أهمية قصوي في التطور البشري، حيث يعتمد عليها في الحقيقة التعاون داخل الجماعة الواحدة وبين الجماعات المتمايزة.

والواقع أن الافتراض يقوم علي حقيقة ينذر إبرازها في الكتابات السوسيولوجية والأنثروبولوجية، وهي حقيقة لم يسبق أن رؤى الارتباط بينها وبين مسألة السلوك الغيري.. وهي تتمثل بإيجاز في أن التماسك بين الأبناء في الأسرة الأحادية يبلغ درجة قصوي بالمقارنة بمدي التماسك بين الأبناء في

الجماعات الزوجية الأخرى.. حيث تبلغ درجة هذا التماسك بين الأبناء في الجماعات التي يسودها ما يسمي بالإباحية الجنسية Promiscuous Groups درجة الصفر. وهي تبلغ هذا المستوي في تلك الحالة المتطرفة التي يأتي فيها الأبناء في الجماعة دون تمييز تام بين آبائهم وأمهاتهم، كما إنها تبلغ درجة النصف في تلك الحالات الخاصة أيضاً التي يأتي فيها الأبناء من رجل وامرأة واحدة.

وتتفاوت تلك الدرجة في الجماعات الزوجية التعددية Polygamous بين درجة الربع ودرجة النصف. وهي تبلغ درجة الربع في تلك الحالات القصوي في التطرف التي لا يكون فيها هناك أشقاء من نفس الأب ونفس الأم علي الإطلاق، وتبلغ درجة النصف في الحالة تماماً حيث يكون كل الأبناء في الجماعة الزوجية المتمايزة إخوة أشقاء Siblings . وعلي العكس من هذا تماماً فأننا نجد في أسرة الأحادية أن تلك الدرجة تبلغ النصف حيث يكون الأبناء جميعاً هم كلهم أشقاء من نفس الأب والأم.(١٢)

وهذا بالطبع مع وعينا بأن هناك بعض العوامل التي توجد في ثقافات معينة والتي تتمثل في العلاقات الجنسية غير المشروعة للمرأة، كما أن هناك عوامل أخري مثل ترمل أحد الزوجين – أو الطلاق الذي يتبعه زواج بشخص آخر غير الزوج الأول – تؤدي إلي تدني تلك الدرجة.. نتيجة دخول أبناء جدد إلي الأسرة يولدون من أحد الأبوين الأصليين.

ولعل تلك المقارنة بين معامل التماسك في تلك الأنماط الزوجية المختلفة تكفي لبيان المزايا الواضحة للزوج التعددي في مقارنته بما يعرف

بالإباحية الجنسية، كما تبين مزايا الزوج الأحادي في مقارنته بالزواج التعددي فيما يتعلق بتطور النزعة الغيرية.

والواقع إننا نجد الإنسان في الوقت الحاضر يعتبر هو الكائن الأرضي Terreestrial الوحيد بين الرئيسيات علي الأقل المتكيف بصورة جزئية مع الزوج الأحادي. ولعل البشريات الوحيدة المتكيفة مع الحياة الزوجية التي تنحصر فيها العلاقات الجنسية بين ذكر واحد وأنثي واحدة هي قردة الجيبون Gibbons وقردة سومطرة السوداء Siamangs.. وهما نوعان تؤثر خصائصهما الشجرية في دلالتهما في تطور الحياة البشرية بصورة جوهرية.

ونجد في جانب آخر أن هناك بينات طبية علي أن الإنسان كان يميل إلي الحياة الزوجية التعددية في الماضي أكثر مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر.

ومن المحتمل أن تكيف الإنسان مع ما يسمي بمرحلة الإباحية الجنسية قد حدث علي الأقل في مرحلة متقدمة جداً من تطوره. ولهذا كلة فمن المعقول أن نفترض انه كان هناك اتجاه عام في تطور الإنسان من مرحلة الإباحية الجنسية إلي الزواج التعددي إلي الزواج الأحادي.(١٣)

وإذا كانت الأسرة الإنسانية تختلف علي هذا النحو عن بقية أنواع الأسر البيولوجية، فما هو تعريف الأسرة ؟

يشير المعني الواسع للأسرة إلي مجموعة الأفراد الذين يعتقدون فيما بينهم أنهم ينتمون إلي جماعة مستقلة داخل المجتمع، ويرتبطون الواحد بالآخر

عـن طريـق روابـط الـدم Blood أو الـزواج Marriage ويـدركها بقيـة أفـراد المجتمع، ويرون أن هؤلاء يرتبطون ببعضهم البعض عن طريق علاقات خاصة تجمعهم. وطبقا لبروم L. Broom وسيليزنيك P. Selznick أن الأسرة Family تتوسط بين الفرد والمجتمع وتساعد الفرد علي أخذ مكانته في العالم الواسع.

علي أية حال يشتمل مصطلح "الأسرة" في استعماله العام علي "الأسرة النواة" Nuclear Family التي تتكون من الزوج والزوجة والأولاد فقط ولا تضم أفراد آخرين، وكذلك علي بعض الجماعات مثل الزوجين اللذين لم ينجبا، والأب الذي يعيش مع ابن واحد، غير متزوج أو أكثر من إبن، وكذلك علي "الأسرة الممتدة" Extended Family التي تتكون ليس فقط من الآباء والأطفال وإنما تمتد لتشمل أيضا الأقارب الآخرين الأجداد والأعمام والعمات، وكذلك أيضا علـي رجـل كبيـر وزوجتـه (أو عـدة زوجـات) وأطفـالهم المتـزوجين وزوجـاتهم وأطفالهم، غير المتزوجين ويشكلون حياة اقتصادية اجتماعية تحت رئاسة الأب الأكبر أو رئيس العائلة.

ولقـد أصـبح مـن الشـائع فـي الولايـات المتحـدة الإشـارة إلـي الأسـرة بمصطلح "الأسرة النواة". التي تتكون من الزوج والزوجة وأطفالهما.[١٤]

ويري سمنران أن هناك جاذبية في الرجال والنساء زودتهم بها الطبيعة وهـي السبب فـي دوام وبقاء الجنس البشري، وأدت هذه الجاذبيـة الطبيعيـة إلـي الـزواج الـذي يعتبـر إلـي جانـب ذلك مظهرا للتعاون والإبقاء علي وجود الذات وحفظ الكيان الاجتماعي.

ويعرف وليم اجبرن الأسرة بأنها منظمة دائمة نسبيا مكونة من زوج وزوجة وأطفال أو بدونهم، ويري أن العلاقات الجنسية والوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة وأنها من مميزات الأسرة في كافة المستويات الثقافية.

إما "بل" وفوجل فيعرفا الأسرة بأنها الوحدة البنائية المكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالها بطريقة منظمة اجتماعيا سواء كان هؤلاء الأطفال من صلبهما أو بطريق التبني.

ويعرف ماكيفر الأسرة بأنها "جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم".وقد تكون في الأسرة علاقات أو أخري، وتقوم علي معيشة الزوجين معا ويكونان مع أطفالهما وحدة مميزة.

ويعرف نيمكوف الأسرة بأنها "ارتباط يدوم قليلا أو كثيرا للزوج وللزوجة بأطفال أو بلا أطفال أو هو ارتباط رجل وامرأة فقط بالأطفال.

أما لندبرج فيعرف الأسرة بأنها النظام الإنساني الأول، ومن أهم وظائفهما إنجاب الأطفال والمحافظة علي النوع الإنساني، كما أن النظم الأخرى عند أصولها في الحياة الأسرية إلا أن أنماط السلوك الاجتماعي والاقتصادي والضبط الاجتماعي والتربية والترفيه والدين نمت أول الأمر داخل الأسرة.

والملاحظ علي التعاريف السابقة أنها أعطت الأسرة بعض الخصائص التي تميزها عن غيرها من النظم الاجتماعية وهي:

أ- وجود علاقة جنسية زواجية بين رجل وامرأة.

ب- صورة من صور الزواج أو أي ترتيب نظامي تقوم علي أساسه هذه الرابطة الزوجية وتستمر علي مر الزمن.

ج- طريقة لتحديد سلسلة النسب.

د- مسكن مشترك قد تختص به الأسرة وحدها أو يشاركها فيه عدد من الأسر الأخرى.

خلاصة القول أن الأسرة تعني من الناحية السوسيولوجية معيشة رجل وامرأة أو أكثرها معا، علي أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع، وما يترتب علي ذلك من حقوق وواجبات، كرعاية الأطفال وتربيتهم، أولئك الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات، أو أنها جماعة تقوم علي العلاقة الجنسية بشرط أن تكون محدودة ودائمة بصورة تكفي لا لإعالة الأطفال وتربيتهم.[١٥]

١ - العلاقة بين الزوجين:

الملاحظ في الوقت الذي ضعفت فيه العلاقات، بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتي وشخصي واضح، ازدادت فيه قوة العلاقة بين الزوجين، فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التي يقضيانها مع بعضهما. وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدي، واستمرار العلاقة الزوجية مدي الحياة، أما الأسرة التي ينهي فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها في حديثنا هنا.

ويشير بعض الملفين إلي شواهد واضحة تؤكد هذه الظاهرة الجديدة حيث نجد أغلب التشريعات الحديثة في أكثر البلاد الغربية الصناعية تضع

قانون الزواج أسبق من قانون الأسرة. ولا يرجع ذلك فقط إلي أن الأسرة تبدأ حتما بالزواج، ولكنه يرجع كذلك إلي أن الزوجين في الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبري من الناحية البنائية.

وهكذا أصبح الزواج كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذي عرفناه عن الأسرة الحديثة، والذي يتمتع الأطفال منذ سن مبكرة نسبيا بقدر من الاستقلال والتباعد عن الوالدين. وحتى بلوغ أولئك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركون بيت الأسرة، ويبقي الزوجان وحدهما من جديد. ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية للأسرة فحسب، ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة، منذ عقد الزواج وحتى الموت.

وتؤكد لنا تلك الحقيقة الملاحظة، وهي أن الزواج أصبح يأتي اليوم في مقدمة الاهتمام في حياة الأسرة، وفي دراسات الأسرة علي السواء. كما أن النظم والقواعد التي تتجاوز حدود علاقات التعامل الأسري المختارة آخذة في الضعف والتقلص يوما بعد آخر.

وتؤكد لنا كافة الملاحظات التي أوردناها في سياق هذا الفصل أن مكانة الفرد في مجتمع اليوم لم تعد تتحدد في ضوء انتمائه العائلي بالدرجة الأولي، وإنما هي تتحدد علي أساس إنجازه الفردي الخاص. وهذا هو ما دفع علم الاجتماع المعاصر إلي أن يقابل بين نمطين مختلفين من المجتمعات، نمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء وضعة العائلي (وهو ما يعرف باسم" المكانة

الموروثة"). ونمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء إنجازه الشخصي(الاقتصادي أساسا) وهو ما يعرف باسم "المكانة المكتسبة".[١٦]

وظهرت نظرية التكامل بين الزوجين في مجال الاختيار الزواجي كبديل لنظرية التوافق التي صادفت انتقادات كثيرة نتيجة ظهور افتراضات أخري تقوم علي أساس أن الزوج قد لا يفتش عن الزوجة التي تماثلة تماما وإنما عن الزوجة التي لها شخصية تختلف عن شخصيته. وهذه الفكرة هي جوهر النظرية التكاملية بين الزوجين، بمعني أن كل طرف منهما يكمل الطرف الآخر، بحيث إذا كان أحدهما طموحا يكون الآخر متواضع الطموح وإذا كان الأول متسرعا يكون الثاني أكثر روية... وهكذا.

وقد صيغت نظرية شاملة عن الاختيار الزواجي وذلك في ضوء الاحتياجات التكاملية للشخصية، وقام باختيار هذه النظرية" روبرت وينش" R. Winch وعدد آخر من الباحثين في علم الاجتماع. وتنطلق النظرية التكاملية من افتراض مؤداه أن كل السلوك الإنساني يوجه إلي إشباع الحاجات، وهناك حاجات مهمة تؤثر في الشخصية الإنسانية وتكسبها نمطا معينا من السلوك. وكثير من حاجات الإنسان تكمن في اللاشعور. ولما كان قدر كبير من حاجات الإنسان مكتسب عن طريق عملية تكوين الشخصية ونموها، وهي في جوهرها عملية ثقافية، فإنها تصبح خاضعة لتنظيم معياري، أي أن المرء لا يستطيع أن يعبر عنها إلا في إطار من المعايير التي تحظي بقبول الجماعة التي هو عضو فيها والتي تتفق مع معايير الجماعات الأخرى المحيطة بها. وهذه المعايير داخل الجماعة أو خارجها تحدد لكل فرد مجال الأشياء المسموح بها

والمتاحة له وتعين له الأشخاص الذين يمكنه أن يختار من بينهم شريك أو شريكة حياه.

وفي هذا الإطار يذهب "وينش" إلي أن الحب كخطوة أولي نحو اختيار الزوجة ما هو إلا تعبير عن عاطفة إيجابية لشخص معين يتوجه بها إلي شخص آخر يري فيه أنه يتمتع بصفات شخصية تحظي باحترامه وترفع مقداره وقيمته عنده ويشعر أن هذه الصفات تكمل حاجات أساسية لديه. ولعل هذا المنظور التكاملي هو الذي جعل بعض الناس يطلقون علي المرأة النصف الآخر أو النصف الحلو المكمل للرجل. وهكذا يختار الرجل زوجته إذا توافرت فيها السمات التي تحقق له ارضاءات معينة وتكمل ما لديه من نقص. أي أن الاختيار يتم علي أساس التكامل وليس التكافؤ.[١٧]

ولكن إذا كان الرجل يري أن المرأة التي وقع عليها اختياره للزواج بها تتمتع بصفات مكملة لصفاته، فهل سيكون للمرأة بالضرورة وجهة النظر ذاتها، أي أنها ستشعر بأن هذا الرجل له سمات مكملة لديها من سمات شخصية ؟. والواقع أن المرأة قد لا تشعر بمسألة التكامل بين صفاتها وصفات الرجل وربما يحدث العكس. ولكن بوجه عام، يستطيع كل شريك إدراكه الصفات الظاهرة في شريكه ليقرر ما إذا كانت تلك الصفات مكملة له أم لا، وعندما يتيسر له ذلك، تصبح عملية الاختيار الزواجي علي درجة كبيرة من السهولة. ولكن إذا كانت الصفات كامنة ولن يتنسي لأحد الزوجين معرفتها إلا في مسار الحياة الزوجية فإن آثارها الايجابية أو السلبية وما قد تولده من تكامل أو صراع بين الزوجين تتأخر في الظهور إلي حد ما.

علي كل حال، لقد أشارت نظرية التكامل بين الزوجين إلي زاوية مهمة كانت خافية عن الباحثين الذين تركز اهتمامهم علي فكرة التكافؤ بين الزوجين. فقيام الزواج علي أساس التكافؤ لا يعني ضمنا أنه سيكون زواجا ناجحا ومستقرا، هذا فضلا عن أن الصفات السلبية التي قد تكون لدي أحد الزوجين يستحب ألا تتوافر لدي الزوج الآخر. فالرجل الذي يميل إلي السيطرة إذا ما تزوج من امرأة تنزع إلي السيطرة سيكون هذا التوافق في الميول بعثا للصراع وليس للتكامل. ولذلك ينبغي علي كل من يقبل علي الحياة الزوجية أن يختار شريكا لحياته يتكافأ معه في ميول معينة كالميل إلي البحث العلمي ومحبة الموسيقى ويتكامل معه في ميول أخري كالميل إلي السيطرة والميل إلي الإنفاق واقتناء الأشياء. (١٨).

<u>٢- توقعات الدور والتوافق في الزواج</u>:

إن تكوين أسرة جديدة يتضمن تغيرا أساسيا في الأدوار المشُكله لأنماط السلوك لكل من الفتيان والفتيات. فمعظم هؤلاء يكون جديدا علي هذه الأدوار وليس لهم خبرة في تكييف أنفسهم لمتطلبات التفاعل مع شخصية أخري. ومفهوم الدور نستخدمه هنا للإشارة إلي التوقعات الاجتماعية المرتبطة بموقف معين. والموقف هنا هو الزواج، وأجزائه هي مكانات الزوج والزوجة، فالشخص الذي يعرف ماذا يتوقع في موقف معين ويستطيع الاستجابة بصورة ملائمة يكون "متوافقا" للدور الذي يلعبه ومن المناسب هنا أن نعرض العوامل الرئيسية التي تشكل أهمية كبيرة في التوافق الزواجي من منظور تحليل الدور كمحور أساسي.

أ – التوجيه المعياري:

إن الطريقة التي يمارس بها الفرد دوره في أي موقف اجتماعي تعتمد أساسا علي فهمه للمعايير الثقافية، أو مستويات السلوك التي توجه تفكيره نحو الموقف. وكل زوج جديد أو زوجة جديدة لديهما ما يشكل الاتجاهات الأساسية عن الأسرة من خلال تجربتهما في أسريتهما ومن قراءاتهما ومشاهداتهما وما يسمعانه عن الأسر الأخرى. ونتيجة لذلك يؤكد الزوجان عادة علي وحدانية الزواج وضرورة إتمام مراسم الزواج التقليدية وغير ذلك من الطقوس المتعارف عليها في الثقافة الخاصة بالمجتمع الذي ينتميان إليه. إلا أن انتماء الزوجين إلي أنساق اجتماعية مختلفة. وبالتالي تعرضهما لعمليات تنشئة اجتماعية مختلفة يمكن أن يوجههما إلي أنساق معيارية قد تكون متعارضة أو علي الأقل غريبة بالنسبة لكل منهما.

ويري كل من نايNye وماكدوجال Macdougal أنه بالرغم من أن كل أسرة جديدة تتبني ثقافة فرعية خاصة بها، ناتجة عن ظهور وضع جديد وهو قيام الأسرة. نجد أن الزوجين الجديدين يحافظان علي جزء رئيسي من نسق أسريتهما (السابقتين) حيث يتعرضان لبعض الضغوط الخارجية والداخلية من أجل التطابق مع معايير أسرتي التوجيه لكل منهما، فإذا كان الزوجان ينتميان إلي أنساق اجتماعية مختلفة من حيث العقيدة الدينية أو الاجتماعية أو السكنية أو السياسية أو الثقافات الفرعية، فهناك احتمال كبير لنشوء الصراعات وعدم التفاهم، لأن سلوك كل منهما يعبر في المحل الأول عن المعايير الخاصة التي ينتمي إليها أحدهما والتي تختلف عن معايير شريكه.

ب – وضع الدور:

يتحدد وضع الدور Role Position بناء علي المعايير التي يعتنقها الأفراد فكل من الزوجين يدخلان في العلاقة الجديدة بأفكار مسبقة عن، كيف يجب أن يكون هو أو تكون هي كزوج أو زوجة. وهذا يشتمل علي مظهرين أو اتجاهين:

١- اتجاه معين عن وضع الشريك النسبي أو مركزه في التنظيم الجديد.

٢-اتجاه نحو تحديد "الفعل" أو دور للفرد وماذا يجب أن يفعل باعتباره عضوا في أسرة.

ويستخدم مفهوم الدور هنا بطريقتين: الأولي، لتصوير المجموع الكلي للسلوك المقبول معياريا في أي وضع معين. والثانية، للدلالة أو الإشارة إلي المتطلبات السلوكية المختلفة للوضع أو المركز، ذلك أن كل سلوك متوقع يصبح دورا وترجع أهمية هذين التصورين للدور إلي أن الزوج والزوجة في وضعيهما الجديدين يكون عليهما حلقة واسعة من الواجبات المحددة معياريا بالنسبة لهما. وللمشكلة الرئيسية في القيام بهذه الأدوار ترجع إلي أن الزوجين يكونان في المادة بدون خبرة تقريباً بهذه الأدوار الجديدة.

وجدير بالذكر أن الوضع أو المكانة لا ينفصل عن الدور (لأنهما وجهان لشئ واحد) ولهذا فإن المشاكل الرئيسية لاختلافات الوضع تنشأ عندما يؤدي شخص ما دوره بناء علي تصوره لوضعه الخاص. فإذا كان الزوج يشعر بأن وضعه له مكانة أعلي في الأسرة، فإنه يظهر هذا الشعور عادة عند أدائه

لدوره. وإذا حدث وكانت لـه المكانـة الأعلـى بالفعل، فإن ذلك يعطيـه الحق فـي بلـورة القرار الأخير، وإصدار الأوامر، ويصبح من المألوف أن يتوقـع فـي كل موقف التأييد والامتياز.(١٩)

جـ – توقعات الدور:

تشير توقعات الدور Role Expectations إلي الطرق التي يتوقع بها الفرد كيفيـة(أسلوب) سلوك الآخرين. وبنـاء علـي ذلك وبـالتطبيق علـي الأسرة، فـإن الشـريكين إلـي جانـب الأفكـار المعينـة عـن كيـف يجـب أن يكـون الـزوج أو الزوجة في الوضـع الجديد، فان كـلا منهما يـأتي ولديـه توقعات معينـة عن دور الشـخص الآخـر ومثـال ذلك أن الـزوج فـي العلاقـة الزوجيـة الجديـدة، تكـون لديـه بعض الأفكار عن كيفيـة سلوكه (دوره) كزوج وكذلك بعض الأفكار عن كيفيـة سـلوك الزوجـة (توقعاتـه لـدور الزوجـة) وفـى المقابـل يكـون عنـد الزوجـة بعـض التحديد لدورها وتوقعات معينة لدور زوجها.

وتتمثـل إحـدى المشـاكل الهامـة فـي موضـوع سـلوك الـدور Role Behavior في التحديد العلمي (المجرد) لتعريفات الدور ثم مقارنتها بأداة الدور بالفعل. لأن هناك اختلافا بين ما يجب أن يكون وبين ما هو قائم بالفعل. فمن المعروف أن الزوجين يوافقان علي أن الاهتمام بـالابن الذكر وتخطيط مستقبله يشكل جزءا من دور الزوج في الأسرة، ولكن في الواقع لا يقوم الزوج بشئ من هذا.

ومن المحتمل في مطلع الزواج أن يبدأ كل شريك بتوقعات معينة من الآخر ومن ثم تطبق التوقعات في كل مناسبة علي سلوك الشريك، ولكن بمرور الوقت، يمكن أن يتغير مضمون هذه التوقعات، لتشمل مضمونات أخري تتصل بعناصر الدور الخاصة المستقاة من تجربتها معاً. ويجب أن يوضع في الاعتبار أن كل شريك لا تكون توقعاته فقط عن "ماذا يجب أن يفعل الآخر بل أيضاً عن"كيفية للأداء" فالزوجة قد لا تتوقع من زوجها أن يشارك في الأعمال المنزلية فقط، بل تتوقع أيضا أن يقوم بها بطريقة تعاونية وسعيدة. ولكن توقعاتنا قد تخيب إذا لم يؤد الزوج عمله هذا كما يجب، أو إذا قلم به بطريقة لأرضي عنها الزوجة ونتيجة للتعارض بين التوقعات وما يحدث في الواقع فإنه من المحتمل أن تحدث الصراعات، فالزوج قد يتصور أنه علي كفاءة عالية، وأنه مقبل علي التعاون ويسلك سلوك الصديق المحب، بينما تراه الزوجة غير ذلك تماماً.

<u>د- الجزاءات</u>

الجزاءات Sanctions هي المكافآت، أو العقوبات التي يفرضها فرد علي الآخر تبعا لدرجة نجاحه أو فشله في القيام بتوقعات الدور. وفي حالة الأسرة، إذا كان أداء الزوج لدوره يلتقي مع توقعات دور الزوجة فإنها سوف تطبق عليه جزاءات إيجابية مثل الإطراء، وإظهار العواطف، والشعور الودي.. الخ أما إذا كان أداءه للدور يتعارض مع توقعاتها فإنها في الغالب سوف تطبق عليه جزاءات سلبية مثل: نزف الدموع، والشجار أو الارتداد بالعواطف(سلوك النكد).[٢٠]

٣ – علاقة الأب بالأبناء

من الدراسات التي اهتمت اهتماما ملحوظا بعلاقة الأب بالأبناء دراسة "أوني ويكان" التي عالجت في مواقع متفرقة منها تلك العلاقة من عدة جوانب. فمن حيث ممارسة السلطة رأت أن الأب أكثر سيطرة علي الأطفال من الأم حيث يتحكم في كثير من سلوكياتهم. كما أشارت إلي غياب الآباء لفترات طويلة عن بيوتهم، وترك التربية إلي الأمهات،وتصبح الفترة القصيرة التي يقضيها الآباء كافية فقط لأداء أدوار محدودة مع الأطفال.

وأشار جوزيف تامني إلي أن علاقة الوالدين بالأبناء تختلف باختلاف أعمار الأبناء، لذا عقد مقارنة بين تلك العلاقات في أعمار مختلفة وأيضا في جماعات مختلفة هي جماعات السود والبيض.

وفي مجتمع الدراسة، فمن الجدير بالذكر أن علاقة الآباء بالأبناء الأطفال من الجنسين – لا يتعدى دقائق أو ساعات من اليوم. ويرجع ذلك في المقام الأول إلي طبيعة العمل ومواقيته. فالأبناء من الحرفيين – في مواسم العمل – يستيقظون من نومهم في ساعة مبكرة من اليوم، وتستمر رؤيتهم لأبنائهم الأطفال لدقائق يخرجون بعدها للعمل وكسب الرزق. وبعد العودة من العمل، لا تتعدي العلاقة دقائق أيضا، بل أنه في كثير من الأحيان يكون الطفل قد ذهب إلي فراشه للنوم ولا يري والده.

أما في المواسم التي يقل فيها العمل الحرفي، فان فرصة لقاء الأبناء تزداد بعض الشئ، وان كان الآباء يفضلون في تلك الفترات قضاء الغالبية العظمي من ساعات اليوم علي المقهى للترفيه، وانتظار فرص عمل.

والأمثلة التي تشير إلي ذلك كثيرة، أذكر منها الأب الذي يخرج إلي عمله يوميا، ولا يعود إلا في المساء متعبا حتى أنه لا يجد الوقت الكافي للجلوس مع أبنائه، وبناته من صغار السن وقد زاد الأمر سوءا زواجه من أخري أصبحت تأخذ من وقته الكثير، ولا تترك لأسرته سوي أيام قليلة معدودة كل أسبوع.

والجدير بالذكر، أنه إذا اعتبرنا العطلات الأسبوعية فرصة للقاء الأبناء إلا أن الحرفيين ليست لديهم أيام محددة للعطلات، حيث يعملون طوال أيام الأسبوع طالما هناك فرصة عمل: كالنقاشين والمبلطين. أما الذين يعملون في ورش خاصة بهم أو بغيرهم: نجارة، نجف، فإنهم يغلقون تلك الورش يوما واحدا في الأسبوع. ومع ذلك لا تصبح الفرصة مواتية للقاء الأبناء، فالعطلة غالبا في يوم الأحد، بينما تعطل المدارس في الحي في يوم الجمعة من كل أسبوع.[٢١]

٤ – مهام الزواج

للزواج وظائف عديدة يفاد فيها الفرد والمجتمع. وتختلف وظائف الزواج باختلاف بنائه، فعندما يكون الزوج من داخل النسق القرابي أو الأسر الممتدة يصبح الإنجاب والمحافظة علي اسم الأسرة وملكيتها من وظائفه الأساسية.

وفـي المجتمعـات الآن نجـد أن الـزواج تكـون لـه وظـائف عديـدة منهـا: الاستقلال والاستقرار وتأسيس أسرة خاصـة والإنجـاب وتحقيـق السـعادة والحـب والاعتمـاد علـي الـنفس والأمـن الاقتصـادي والعلاقـة الجنسـية المشـروعة وتبـادل العواطف واستبعاد مشاعر الوحدة...الخ.

وللأسرة وظائف عديدة سنتحدث عنها فيما بعد ولكننا نستطيع أن نجمل هذه الوظائف في.

أ – تنظـيم السـلوك الجنسـي والإنجاب:حيث إن الـزواج يعتبـر اتفاقـا تعاقديا يعطـي العلاقـات الجنسـية والاجتماعيـة التـي تكـون الأسـرة طابعـا رسـميا وثابتـا. فـالمجتمع لا يسـمح بالعلاقـات الجنسـية بغيـر زواج، وان كـان ذلـك قـد يسمح في بعض المجتمعات الاخري.

ب – العنايــة بالأطفــال وتــربيتهم: فمــن أهــم وظــائف الأســرة إنجــاب الأطفال والإشراف علي رعايتهم وتربيتهم ولذلك تكون للأسرة مسئولية تامـة عن عملية التنشئة الاجتماعية التي يتعلم الطفل من خلالها خبرات الثقافة وقواعدها من صورة تؤهله وتمكنه من المشاركة مع غيره من أعضاء المجتمع.

جـ – التعاون وتقسيم العمل: يكون داخل الأسرة بين الرجل والمراة فـي المسـائل المتعلقـة براحـة الأطفـال وطمأنينـة النفسـية، وتربيتـه وتوجيهـه، وتختلـف المجتمعـات فـي مبلـغ مشـاركة الرجـل والمـرأة فـي النهـوض بهـذه المسـتويات، ويلاحظ أن الإشراف علي المنزل ورعايته من الأعمال التي تتحملها المرأة.

د – الإشباع: تعتبر الأسرة الجماعة الأولية التي توفر للطفل أكبر قدر من الحنان والعطف ولذلك يتوقف قدر كبير من التكامل الانفعالي والعاطفي عند أعضاء الأسرة علي مبلغ ما يتوفر لهم من إشباع لرغباتهم المتعددة، ويلاحظ إن هذا الإشباع لا يقتصر علي الأطفال فقط، ذلك إن الكبار يجدون مسرة كبيرة في مداعبة الأطفال واللعب معهم.

هـ – تهيئه أسلوب الحياة في المجتمع: تعتبر الأسرة مدرسة لأفرادها فهي التي تقوم بدور التنشئة الاجتماعية كما أنها تعمل علي نقل التراث الاجتماعي من جيل إلي جيل وتعودهم علي التقاليد المرعية في المجتمع وخاصة ما يتعلق منها بالسلوك والآداب العامة والدين– ومن ثم فهي نواة المجتمع وأساس تكوينه، فإذا كان النظام الأسري في مجتمع ما منحلا وفاسدا فان هذا الفساد يتردد صداه في المجتمع بأكمله، وإما إذا كان النظام سليما وقويا فان هذا ينعكس في حياة المجتمع ويساعد علي تدعيمه وتقويته ومن ثم يتبين إن وظائف الأسرة تعدت من ناحية الإشباع الجنسي والإنجابي إلي وظيفة التنشئة الاجتماعية وإعداد المواطنين.[٢٢]

فالأسرة هي رابطة طبيعية تكونت للعناية بالصغار في فترة عدم قدرتهم علي العناية بأنفسهم، وبمقارنة أطفال الجنس البشري بغيرهم من الأنواع الأخرى نجد أنهم يولدون بإعداد قليلة وبطريقة غير مستمرة، ويظلون عاجزين لفترة طويلة، لذلك فان العناية المستمرة ضرورية حتى يتسنى بقاء عدد كاف يضمن استمرار الجنس البشري. قد يكون ذلك صحيحا، ولكن الأسرة الإنسانية تتميز بوجود الدساتير التي هي بلا شك اجتماعية، ووجود هذه الدساتير الاجتماعية،

وماتمثله من المعايير الثقافية التي تنقل عبر الأجيال المتلاحقة مع غيرها من الخصائص الادراكية يميز الأسرة الإنسانية عن غيرها مما يعرف باسم" الأسر البيولوجية" الأخرى Families of other species .

وعلي الرغم من أن الأسرة الإنسانية ترتبط بشبكة من المؤسسات في المجتمع، فان رباطها الأقوى يكون بالزواج Marriage الذي ينظم العلاقات بين أفراد الأسرة ويعطيها طابعا رسميا، ومن ثم يكون للزواج أهمية بالغة لفكرة الأسرة في كل المجتمعات. حيث يري وستر مارك Wester Marck أن الزواج هو علاقة رجل أو أكثر مع امرأة أو أكثر تقرها القوانين أو العادات وتشتمل علي حقوق وواجبات في حالة الطرفين المشتركين وكذلك في حالة اطفالهما. ويصور لنا تعريف "وستر مارك" الزواج علي أنه اجتماعي بحت ومميز تماما عن مجرد الزواج البيولوجي، ويؤكد علي الخصائص التي تشكل جوهر الزواج في كل المجتمعات، وبخاصة يجب أن يقره المجتمع أولا، وأن هناك حقوق وواجبات ترتبط به ثانيا. لذلك فإنه يستبعد العلاقات الجنسية العارضة. وكذلك العلاقات الثابتة غير المنتظمة، أي التي لا يقرها المجتمع، وذلك علي الرغم من أن بعض هذه العلاقات الأخيرة يمكن إن تسمي" أسرا" ولكن لا يمكن أن نسميها زواج.(٢٣)

٥ – أشكال الزواج:

أما عن أشكال الزواج فإننا نستطيع أن نميز هنا بين هذه الأنواع:

أ – الزواج الاجتماعي: من المعتقد أن هذا الشكل من الزواج كان سائدا في المجتمعات البدائية في العصور القديمة، إلا إن هذا الرأي لم يتأكد بصورة علمية دقيقة حتى الآن. وهو يعني زواج عدد من الذكور مع عدد مساولهم من الإناث. إلا أن هذا الشكل من الزواج نادر الحدوث في الوقت الحالي إلا في حالات فردية تعتبر شاذة إلي حد كبير.

ب – تعدد الأزواج: وهو أن تتزوج امرأة واحدة بعدد من الرجال وهذا الشكل من الزواج محدود الحدوث، ولا يوجد إلا في بعض القبائل الأفريقية ذات التقاليد الصارمة. وقد تبين من عينة عالمية أخذت من ٥٥٤ مجتمعا وأن تعدد الزوجات يلقي قبولا وتأثيرا ثقافيا من ٤١٥ مجتمعا أي بنسبة ٧٧ % بينما لم يجد زواج امرأة واحدة من عدة رجال قبول سوي في أربع مجتمعات فقط أي بنسبة أقل من(١%) وهذه النسب خير دليل علي إن هذا النوع من الزواج نادر جدا.

جـ – تعدد الزوجات: وهو من أكثر الأشكال الزوجية انتشارا ويوجد في المجتمعات البدائية والنامية – ويدل من ناحية منه علي المكانة العالية والثراء – أما لماذا يتخذ الرجل أكثر من زوجة، فهناك ظروف ودوافع عديدة تؤدي إلي ذلك، فإلي جانب إظهار المكانة العالية والهيبة، توجد في بعض الحالات الحاجة أو الرغبة في الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور. هذا وعادة يراعي في الأسرة التي تتعدد فيها الزوجات عدة اعتبارات مثل:

١ – أن يكون للزوجات حقوقا متساوية.

٢ – أن تقيم كل زوجة في مكان مستقل.

٣ – أن يكون للزوجة الأولي (الأكبر سنا في العادة) مميزات ونفوذ معروف.

د – وحدانية الزواج: ويعتبر هذا الشكل من الزواج من الأشكال المفضلة في كثير من المجتمعات. ومعناه زواج رجل واحد من امرأة واحدة. وهذا الشكل منتشر علي أوسع نطاق عالميا، بل أن هناك مجتمعات ترفض كل أشكال الزواج عدا الوحدانية. إلا أن هذا لا يعني أن الزواج لا بد وأن يحدث مرة واحدة طوال العمر فقط، بل يمكن السماح بالزواج مرة أخري في حالة الطلاق أو وفاة أحد الزوجين.[٢٤]

أ – الأسرة النووية:

مع اعترافنا التام بعمومية الأسرة النووية كمؤسسة اجتماعية(في كل المجتمعات تقريبا). إلا أن ذلك لا يعني أن هذا النمط الأسري ظل علي حال واحد ولم يتعرض لتغيرات داخلية علي امتداد التاريخ الإنساني وعلي اتساع رقعة المعمورة. إذ من البديهي أن هذا النموذج قد مر بمراحل وأطوار عديدة وشهد تحولات كثيرة سواء في العمليات المؤدية إليه(كالزوج وشعائره) أو نطاق ونوعية الوظائف التي يؤديها. أو حجم الأفراد الذين يضمهم... الخ. ولعل أبرز مظاهر التغير التي تمر بها الأسرة النووية في المجتمع المعاصر سيطرة الطابع الفردي علي كل عملياتها وفي كل وظائفها بشكل يفوق ما كان معروفا في عصر مضي وأهم ميدان ظهر فيه هذا الطابع الفردي هو ميدان العلاقة بين

الزوجين في الأسرة النووية. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العلاقة بين الزوجين محور الارتكاز ومناط الاهتمام في الأسرة النووية الحديثة وهذا هو السبب في أن البعض يفضل إن يطلق علي النموذج المعاصر من الأسرة النووية اسم"الأسرة الزواجية" Conjugal Family ويدل اسم الأسرة الزواجية هذا علي أن الزوجين هما مركز الأسرة النووية المعاصرة. ولكن الدلالة الأهم لهذه التسمية أنهما طرفي العلاقة الدائمين في تلك الأسرة. فالعلاقة بينهما تسبق علاقتهما بأطفالهما" ثم هي تستمر بعد خروج أولئك الأطفال (بعد أن يكبروا) من الأسرة النووية وتكوين أسرة نووية خاصة بهم. (وتفترض هذه الملاحظة استبعاد مسألة الطلاق من الحسبان. علي أساس أنه استثناء من الوضع العادي، أو هو وضع عرضي، ولم يحسب حسابه، أي لم يكن معتمدا عن بدء العلاقة الزوجية).

ويرجع الفضل إلي أميل دور كايم في إدخال مصطلح "الأسرة الزواجية" إلي التراث السوسيولوجي المعاصر وإن كان قد تعرض بالطبع فيما بعد لمزيد من الدقة والإحكام علي يد علماء الاجتماع العائلي المحدثين. ولعل أبرز الإسهامات في تعريف هذا المفهوم ملاحظة ويليام جود التي نبه فيها إلي أن "الأسرة الزوجية" هي عبارة عن نمط مثالي، ولكنه ليس نمطا مثاليا بمفهوم ماكس فيبر (أي ليس أداة تصنيفية) فقط، ولكنه كذلك مثل أعلي تعتبره قطاعات متزايده من الناس النموذج الصحيح المشروع للأسرة الإنسانية بعض النظر عما إذا كان الواقع يسير في اتجاه آخر غير ذلك ولكن المهم في هذا الصدد أن التحول إلي الطابع الفردي في الأسرة النووية وفي شئون حياتها

المختلفة مرتبط بسيطرة الطابع الفردي علي المجتمعات الإنسانية الحديثة بصفة عامة. وإن كانت هذه السيطرة أكثر بروزا واتضاحا في المجتمعات الصناعية، علي حين تقل تدريجا بسيطرة التقاليد والتراث علي حياة المجتمع. حيث تختفي بشكل شبه كامل، ونجد الفرد مقيداً في فكره وسلوكه بالجماعة التي يعيش داخلها وينتمي إليها ماديا وروحيا.[٢٥]

ب – الأسرة والزواج:

من الواضح أن السيطرة المتزايدة للطابع الفردي علي الثقافة الإنسانية الحديثة قد أدت إلي ظهور مشكلة من نوع خاص لم تعرفها من قبل المجتمعات القديمة والتقليدية، وأعني مشكلة وجود نوع من التقابل أو التميز بين الزواج والأسرة فالزواج بالنسبة لنا هو في جوهره عبارة عن علاقة شخصية جدا بين فردين مستقلين لكل منهما فرديته المتميزة. هما الرجل والمرأة (الزوج والزوجة) أما الأسرة فهي عبارة عن جماعة اجتماعية تضم في جميع الأحوال تقريبا أشخاصا آخرين عدا الزوج والزوجة. ولذلك فالواجب ألا نطلق علي الزوجين اللذين لم ينجا أطفالا اسم أسرة. ولو أننا ندرك أن مجرد إبرام عقد الزواج بين الرجل والمرأة يفتح أمامهما الطريق لتكوين الأسرة بكل ما يترتب علي الزواج من نتائج (الأطفال) وعلاقات المصاهرة.. الخ حقيقة أنهما لم يستفيدا من كل الإمكانيات التي إتاحتها لهما علاقة الزواج، ولكن ذلك لا ينفي إطلاقا وجود تلك الإمكانيات.

وهناك عدة عوامل واعتبارات تفرض علينا أن نعالج دائما موضوع الزواج مستقلا عن موضوع الأسرة، ذلك أن عمليات الاختيار

(اختبار الزوجين) واتخاذ القرارات الخاصة بعدد ونوعية الأقارب الذين ستقيم معهم الأسرة الجديدة علاقات، وكذلك القرارات الخاصة بعدد الأطفال الذين ستنجبهم الأسرة ومواعيد ولادتهم.. الخ. إن الغالبية العظمي من دارسي الاجتماع العائلي مازالوا يتجاهلون هذه النقطة تجاهلا تاما، (أحيانا عن وعي وغالبا دون قصد) علي أساس أنهم يعتبرون "ثمار" الزواج أمرا بديهيا سوف يتبع تلقائيا إبرام عقد الزواج ولكن الحقيقة أن تحرر الزواج من الأسرة قد أدي إلي بعض النتائج الحتمية. نذكر منها أولا، تحول الزواج إلي مسألة شخصية خاصة بالفرد الذي سيدخل طرفا فيها، وثانيا: بروز عمليات الاختيار واتخاذ القرارات،وهي العمليات التي أصبحت تتم بإرادة الفرد.

جـ - الزواج تحت وصاية الأسرة والجماعات القرابية:

إذا قلنا أن مكانة الفرد في الثقافات القديمة والتقليدية كانت تتحدد في ضوء انتمائه العائلي (أي أنها كانت مكانة موروثة). فمعني ذلك أن الأسرة أو الجماعة القرابية التي ينتمي إليها الفرد هي التي ترسم الزيجات لأفرادها وهي التي تحدد – إلي مدي بعيد – طبيعة العلاقة بين زوجين من أعضائها. بمعني آخر أن الأسرة كانت فوق الزواج.[٢٦]

أسئلة على الفصل الثالث

١- لماذا يتزوج الناس : الأسباب والتطلعات ؟

٢- اعرض لنشأة الأسرة وأهميتها .

٣- ما هى توقعات الدور والتوافق فى الزواج ومهام كل من الزوجين ؟

٤- ما أشكال الزواج المختلفة ؟

المراجع

١ – عبد الباسط عبد المعطي، العولمة والتعليم والتنمية البشرية، جامعة الدول العربية، ٢٠٠١ ، ص ص ٦١ – ٦٣.

٢ – المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري ١٩٥٢ – ١٩٨٠، القاهرة،١٩٨٥، ص ص ١٤٦ – ١٤٧ .

٣ – سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية،ب. ت، ص ص ١٣١ – ١٣٢.

– انظر أيضا: أمل سالم العواودة، العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني، مكتبة الفجر، الأردن، ط١، ٢٠٠٢،ص ص ٢١ – ٣٦.

٤ – سامية الساعاتي، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٠٨.

٥ – المرجع السابق،ص ص ٢٤٤ – ٢٤٦.

٦ – السيد عبد العاطي وآخرون، الأسرة والمجتمع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ٣٦.

٧ – سناء الخولي، مرجع سابق، ص ١٣٣.

انظر أيضا محمد أحمد بيومي، المشكلات الاجتماعية: دراسات نظرية وتطبيقية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص ص ١١٣ – ٢٠٠.

٨ – المرجع السابق،ص ص ١٣٤ – ١٣٥.

٩ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٨١، ص ص ١٤٩ – ١٥٠.

١٠ – المرجع السابق، ص ١٥١.

١١ – سناء الخولي، مرجع سابق،ص ١٣٥.

١٢ – محمد عبده محجوب، أنثروبولوجيا الزواج والأسرة والقرابة، السلسلة السوسيو أنثروبولوجيه، الكتاب الأول، دار المعرفة الجامعية، ب. ت، ص ص ١١٧ – ١١٨.

١٣ – المرجع السابق، ص ١١٩.

١٤ – غريب سيد أحمد وآخرون،دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥،ص ١٧.

١٥ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق، ص ص ٨ –٩.

١٦ – علياء شكري وآخرون، مرجع سابق، ص ص ١٧٤ – ١٧٥.

راجع أيضا سامية الساعاتي، علم اجتماع المرأة: رؤية معاصره لأهم قضاياها، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ص ص ٤٥ – ٧٤.

١٧ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق، ص ٣٧.

راجع أيضا: هادي مختار رضا، عدم الاستقرار الأسري، دراسة ميدانية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ١٩٩٨، ص ص ١٤ -٣١.

١٨ – المرجع السابق، ص ٣٨.

١٩ – سناء الخولي، مرجع سابق، ص ص ١٩٦ – ١٩٨.

راجع أيضا: بسامة خالد المسلم، أنماط التزاور الأسري وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد ١٠١، ابريل– يونيو، ٢٠٠١، ص ص ٤٧ – ٧٧.

٢٠ – المرجع السابق، ص ص ١٩٩ ،٢٠٠.

٢١ – علياء شكري(اشراف)، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية،١٩٩١،ص ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

راجع أيضا: فاطمة نذر، التنشئة الديموقراطية كما يدركها الوالدان والأبناء في الأسرة الكويتية: دراسة ميدانية، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد٤، شتاء،٢٠٠١، ص ص ٨٧ – ١١٤ .

٢٢ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق،ص ص ١٢ – ١٣.

٢٣ – السيد رشاد غنيم، في غريب سيد أحمد (وآخرون)، مرجع سابق، ص ١٦.

٢٤ – السيد عبد العاطي وآخرون، مرجع سابق،ص ١١.

٢٥ – علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، مرجع سابق،ص ص ١٣٥ – ١٣٦.

– راجع أيضا: سامية الساعاتي، علم اجتماع المرآة: رؤية معاصرة لأهم قضاياها، مرجع سابق، ص ص ١٩ –٣٥ .

٢٦ – المرجع السابق، ص ص ١٣٧.

المصادر والمراجع

1) http://mnwat.net/qs/t158686.html

2) http://follarose.maktoobblog.com/1536650/

3) http://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source

4) (٦)http://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&sourc e٥٣-٤٥ ص ص

٥) أحمد محمد عبد الخالق، أسس علم النفس، الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ص ١٩ – ٢٠.

٦) عبد الرحمن عيسوي، علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٠.

٧) المرجع السابق، ص ص ٢٨ – ٢٩.

٨) عبد الرحمن عدس ومحي الدين توق، المدخل إلى علم النفس، الطبعة الثانية، دار جون وايلي، إنجلترا، ١٩٨٦، ص ص ٨ – ١٠.

٩) عبد الرحمن عيسوي، مناهج البحث في علم النفس(دراسة في طرق تصميم البحوث النفسية) مع دراسة حقلية مقارنة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠، ص ص ١٩ – ٢٢)

١٠)محمود عبد الحليم منسي، المدخل إلى علم النفس التعليمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ص ١٨– ٢٢.

١١)عبد الرحمن عدس و محي الدين توق، مرجع سابق، ص ص ١٦ – ١٨.

12) http://www.google.com.eg/url?sa=t&rct=j&q

١٣)بدر الدين عامود، علم النفس في القرن العشرين دراسة (الجزء الأول)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ص ٣٤٣– ٣٦١.

14) http://www.uae7.com/vb/t1323.html

15) http://follarose.maktoobblog.com/1536650/

16) http://articles.slssa.com/8649
17) http://www.kids-psychology.com/site/2/6.shtml

الفهرس